3

JENNY HAN

چيني هان

سنحظى بالصيف دائمًا



WE'LL ALWAYS HAVE SUMMER



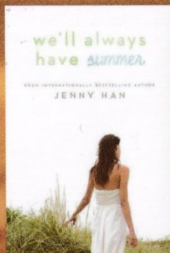
رواية

ترجمة: مي أشرف

سنحظى بالصيف دائمًا

هل ستتمكن بيلي من اتخاذ خيار نهائي بين جيرمايا وكونراد؟ ستكتشف ذلك في ختام ثلاثية «الصيف الذي أصبحتُ فيه جميلة».

لم تحب بيلي قط أو تتحرك مشاعرها طوال حياتها سوى تجاه فتييْن، كلاهما يحمل الاسم الأخير نفسه: فيشر. وبعد كونها في علاقة مع جيرمايا في العامين الماضيين، صارت شبه واثقة من أنه توأم روحها. *شبه واثقة*. وبينما لم يتجاوز كونراد غلطة تخلّيه عن بيلي وتركها تذهب، كان جيرمايا يعرف دائمًا أن بيلي هي الفتاة المناسبة له. لذا عندما تقرر بيلي وجيرمايا أن تتخذ علاقتهما شكلًا جديًّا وأن يكونا معًا للأبد، يدرك كونراد أنه إما الآن، وإما فلا.. إما أن يفصح لبيلي عن حبه، وإما أن يفقدها إلى الأبد.



سيتعين على بيلي مجابهة مشاعرها تجاه جيرمايا وكونراد ومواجهة ما لا مفر منه: أنها ستضطر لكسر أحد قلبيهما.

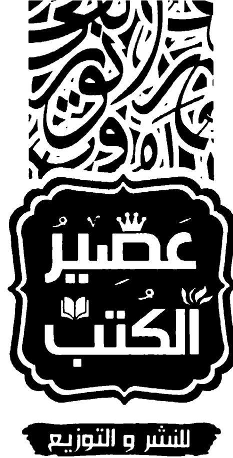


www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

JENNY HAN

چيني هان

سنحظى بالصيف دائمًا



مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

- العنوان الأصلي:
We'll Always Have Summer
- العنوان العربي: سنحظى بالصيف دائمًا

- الطبعة الأولى: يناير/2025م

- ترجمة: مي أشرف
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: آلاء الشربيني
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 23610/2024م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-422-9

إلى إيميلِيَّتيَّ:

إيميلي فان بيك، أنتِ مثالي الحي للكمال

والتحقق وسفيرتي للَّامحدودية،

وإيميلي توماس ميهان، فلنبقَ معًا إلى الأبد...

مع حُبِّي،

فتاتكما

في ليالي الأربعاء عندما كنتُ صغيرة، كنتُ أنا وأمي نشاهد الأفلام الموسيقية القديمة. كان ذلك تقليدنا الخاص. في بعض الأحيان قد يأتي أبي وستيفن ليشاركانا المشاهدة لبعض الوقت، ولكن غالبًا ما كنَّا أنا وأمي نجلس على الأريكة ومعنا بطانية ووعاء من الفشار الحلو والمالح، كل أربعاء. شاهدنا «رجل الموسيقى» (The Music Man)، و«قصة الحيِّ الغربيِّ» (West Side Story)، و«قابلنِي في سانت لويس» (Meet Me in St. Louis)، وقد أعجبتني جميعها، غير أن «الغِناء تحت المطر» (Singin' in the Rain) هو ما استهواني حقًّا. ولكنني لم أحب أيًّا منها بقدر ما أحببتُ «وداعًا بيردي» (Bye Bye Birdie). من بين جميع الأفلام الموسيقية، كان «وداعًا بيردي» هو المفضل لديَّ. لقد شاهدته مرارًا وتكرارًا، بقدر المرَّات التي كانت أمي قادرة على تحمُّل إعادته. وتمامًا مثل «كِيم ماكفي» من قَبلي، أردتُ أن أضع الماسكارا وأحمر الشفاه، وأن أنتعل الكعبَ العالي وأحظى بذلك الشعور المتعلق بكوني امرأةً ناضجةً سعيدةً. أردتُ أن أستمع إلى الأولاد يُصَفِّرون فأعرف أنه من أجلي، أنا. أردتُ أن أكبر لأكون تمامًا مثل كِيم، لأنها حظت بكلِّ تلك الأشياء.

وبعد ذلك، عندما يحين وقت النوم، سأغنِّي في الحمَّام بفم مليءٍ بمعجون الأسنان: «نحبُّك يا كونراد، آه، أجل نحبُّك. نحبُّك يا كونراد، وسيستحيل حُبنا حقيقة».

سأُغني بأقصى حماسةٍ يسعُها قلبي الصغير ذو الثماني - تِسع - عشر سنوات. ولكنني لم أُغنِّ لكونراد بيردي، بل سأُغني لكونراد الخاص بي. كونراد بيك فيشر، فتى أحلامي في مرحلةِ ما قبل المراهقة.

لم أُحب في حياتي غير وَلَدين فقط، وكلاهما اسمه الأخير فيشر. كونراد كان الأول، وقد أحببتُه بطريقةٍ لا يمكن فعلها حقًّا إلا في المرة الأولى. إنه هذا النوع من الحب الذي يفتقرُ إلى الوعيِ والخبرةِ وحسن التصرف.. إنه غبيٌّ، وجامحٌ، ويصيبك بالدوار. ذلك النوع من الحب الذي لا يتكرر إلا مرةً واحدةً فقط.

ومن ثم كان هناك جيرمايا. عندما نظرتُ إلى جيرمايا، رأيتُ الماضي، والحاضر، والمستقبل. فهو لم يكن فقط يعرف الفتاةَ التي كنتُها في الماضي، بل يعرف أيضًا ما أنا عليه الآن، وأحبَّني في جميع الأحوال.

حُبَّاي الكبيران. أعتقدُ أنني لطالما كنتُ أعرف أنني سأصبح بيلي فيشر ذات يوم. فقط لم أتصوَّر أن الأمر سيحدث بهذا الشكل.

الفصل الأول

عندما تكونُ في أسبوع الاختبارات النهائية وتظل تدرُس لخمسِ ساعاتٍ متواصلة، ستحتاج إلى ثلاثة أشياء لتجاوُز الليل. أكبر كوب من مزيج السلاش يمكنكَ إيجاده، نصفه من عصير الكرز، والنصف الآخر من الكولا. سروال بيجامة، من النوع الذي غُسِلَ مراتٍ عديدة، حتى أصبحت قماشته في رقَّة المناديل الورقية. وأخيرًا، فواصل الرقص. الكثير من فواصل الرقص. عندما تبدأُ في إغماض عينيك، ويصبح كل ما تريده هو سريرك، ستساعدك فواصل الرقص على تجاوُز ذلك.

كانت الساعة الرابعة صباحًا، وكنتُ أذاكر لآخر اختباراتي النهائية في سنتي الأولى في جامعة فينش. قضيتُ الليلة معسكِرةً في مكتبة مسكنِي الجامعيِّ مع صديقتي المُقَرَّبة الجديدة، أنيكا جونسون، وصديقتي المُقَرَّبة القديمة، تايلور جويل.

باتت العطلة الصيفية قريبة جدًّا لدرجة أنني صرتُ أكاد أستشعر مذاقها. لم يتبقَّ سوى خمسة أيامٍ أخرى فحسب. كنتُ أحسب الأيام منذ شهر أبريل.

أمَرَتْ تايلور بصوتٍ مبحوح قائلة: «امتَحِنيني».

فتحتُ دفتر ملاحظاتي على صفحةٍ عشوائية: «عَرِّفي الأنيما مقابل الأنيموس».

عضَّتْ تايلور على شفَّتها السفلية: «أعطيني تلميحًا».

فقلتُ: «امممم... فكِّري باللاتينية».

- إنني لم أدرس اللاتينية. هل سيكون ثمَّة شيء ما باللاتينية في هذا الامتحان؟

- كلَّا، كنتُ فقط أحاول أن أعطيكِ تلميحًا. فإن أسماء الأولاد اللاتينيين تنتهي بـــ «ـــيوس» وتنتهي أسماء الفتيات بـــ «ـــا»، والأنيما اسم مؤنث والأنيموس هو اسم مذكر. فهمتِ؟

تنهدَتْ تنهيدةً كبيرة: «كلَّا، على الأرجح سأرسب».

رفعَتْ أنيكا عينيها عن مفكرتها، وقالت: «لربما لو توقفتِ عن إرسال الرسائل النصية وبدأتِ في المذاكرة، لن ترسبي».

حدَّقَتْ تايلور إليها: «إنني أساعد أختي الكبيرة في التخطيط لوجبةِ إفطارِنا الخاصة بنهاية العام، لذا عليَّ أن أظل على أهُبَّة الاستعداد لاستقبال المكالمات الليلة».

- على أهُبَّة الاستعداد لاستقبال المكالمات؟ (بدت أنيكا ساخرة). كالأطباء؟

فقالت تايلور منفعلة: «أجل، تمامًا كالأطباء».

- إذًا هل ستتناولان «البان كيك» أم «الوافلز» على الفطور؟

- الخبز الفرنسي المُحمَّص، شكرًا جزيلًا لكما.

كنَّا ثلاثتنا جميعًا في الصفِّ نفسه الخاص بمادة علم النفس للطلاب الجُدد، وكان امتحان تايلور وامتحاني في الغد، وامتحان أنيكا في اليوم الذي يليه. كانت أنيكا أقرب صديقاتي في الجامعة إلى جانب تايلور. وبالنظر إلى أنَّ تايلور شخصية تنافُسية بطبعِها، فإن صداقتي مع أنيكا تحفِّز غِيرتها بعض الشيء، ولكنها لن تعترف بذلك أبدًا، ولو بعد مليون سنة.

إن صداقتي مع أنيكا مختلفة عن صداقتي مع تايلور. كانت أنيكا شخصًا هادئًا وسهل المَراس. لم تكن سريعةً في إطلاق الأحكام. والأهم من ذلك كلِّه، أنها كانت تعطيني المساحة لأكون مختلفة. لم تكن تعرفني طِيلة حياتي، لذا لم تكن لديها توقعات أو تصورات مُسبقة. منحني ذلك شعورًا بالحرية. ولم تكن تشبه أيًّا من أصدقائي في الديار. إنها من نيويورك، وكان والدها عازف جاز ووالدتها كاتبة.

بعد مرورِ ساعتين، بدأت الشمس تُشرق وتَغمر القاعة بضوءٍ يميل إلى الزرقة، وكان رأس تايلور مطأطأً، بينما كانت أنيكا تُحدِّق إلى الفضاء كما الزومبي.

لففتُ كُرتين من الورق في حِجري ورميتهما على صديقتيَّ.

قلتُ بنبرةٍ غنائية وأنا أضغط زر التشغيل في جهاز الكمبيوتر: «فاصل للرقص».

هززتُ جسدي هزَّةً صغيرة راقصة وأنا جالسة على كرسيَّ.

حدَّقَتْ أنيكا إليَّ وقالت: «لماذا أنتِ مبتهجةٌ جدًّا بهذا الشكل؟».

فقلتُ وأنا أصفِّق يديَّ معًا: «لأنه.. بعد بضعِ ساعاتٍ فحسب، سننتهي من هذا كلِّه».

كان لا يزال اختباري في الساعة الواحدة ظُهرًا، لذا كانت خطتي هي الذهاب إلى غرفتي والنوم ساعتين، ثم الاستيقاظ مع وجود وقتٍ فائض لمزيدٍ من المراجعة.

استغرقتُ في النوم طويلًا، ولكن تمكنتُ من الحصول على ساعةٍ أخرى من المذاكرة. لم يسعني الوقت للذهاب إلى قاعة الطعام وتناوُل الإفطار، لذا اكتفيتُ بشرب عبوةٍ من الكولا بنكهة الكرز من ماكينة البيع الآلي.

كان الاختبار صعبًا كما توقعنا، غير أني كنتُ واثقةً للغاية من أنني سأحصل على تقدير «جيد جدًّا» على الأقل. وكانت تايلور واثقةً للغاية من أنها لن ترسب، وهو لأمرٌ جيد. حلَّ علينا التعب بعد الاختبار لدرجة أننا لم نقدر على الاحتفال، لذا اكتفينا بتحيةٍ ومن ثم مضت كلٌّ منَّا في طريقها المنفصل. عدتُ إلى غرفة مسكنِي الجامعي، على استعداد ليُغمى عليَّ حتى وقت العشاء على أقلِّ تقدير، وعندما فتحتُ الباب، وجدتُ جيرمايا، نائمًا في سريري. لقد بدا وكأنه صبيٌّ صغير وهو نائم، حتى مع لحيته الخفيفة. كان ممددًا فوق لِحافي، وقدماه معلقتان فوق حافة السرير، ودُبِّي القُطبي مضمومٌ إلى صدره.

خلعتُ حذائي وزحفتُ على سريرِي المزدوج الطويل للغاية بجانبه. تقلَّب وفتح عينيه، وقال: «مرحبًا».

قلتُ: «مرحبًا».

- كيف تجري الأمور؟

- بشكلٍ جيدٍ للغاية.

- عظيم. (ترك جونيور مِنت وضمَّني إليه). أحضرتُ إليكِ نصف شطيرتِي من وجبة الغداء.

فقلتُ وأنا أستكن برأسي على كتفه: «يا له من لطفٍ منكَ».

طبع قبلةً على شعري: «لا يمكنني ترك فتاتي تفوِّت وجباتِ الطعام كلَّ حين».

- لقد كان فطورًا فحسب. (وكفكرةٍ لاحقة أردفت قائلةً..) وغداء.

- أتريدين شطيرتِي الآن؟ إنها في حقيبة كُتبي.

بمجرد أن فكرتُ في الأمر، شعرتُ بالجوع، ولكنني كنتُ نعسةً أيضًا.

قلتُ وأنا أغمض عينيَّ: «ربما بعد قليل».

ثم راح في النوم مرةً أخرى، ورحتُ في النوم أنا أيضًا. عندما استيقظتُ، وجدتُ الظلام مُخيمًا في الخارج، ورأيتُ جونيور مِنت على الأرض، وكانت ذراعا جيرمايا تطوقانني. وهو لا يزال نائمًا.

كنَّا قد بدأنا نتواعد قبل أن أبدأ في سنتي النهائية من المرحلة الثانوية. غير أن «مواعدة» لم تكن الكلمة الأدق للتعبير عن الأمر. كنَّا معًا وحسب، بتلك البساطة. فقد حدث كل شيءٍ بسهولةٍ فائقة وسرعةٍ كبيرة لدرجة أنني شعرتُ أننا لطالما كنَّا على هذا النحو. في لحظةٍ ما كنَّا صديقين، ثم صِرنا نتبادل القُبل، والشيء التالي الذي أعرفه هو أنني كنتُ أقدِّم للالتحاق بنفس الجامعة التي يدرس فيها. أخبرتُ نفسي والآخرين (بمن فيهم هو، وبمن فيهم أمي على وجهِ الخصوص) أنها جامعةٌ جيدة، وأنها لا تبعُد عن الديار سوى بضع ساعاتٍ فقط ومن المنطقيِّ أن أقدِّم هناك، وأنني كنتُ أُبقِي جميع خياراتي مفتوحة. كل تلك الأشياء كانت صحيحة. ولكن الأصح والأصدق من ذلك كله هو أنني أردتُ فقط أن أكون بالقُرب منه. لقد أردته في جميع المواسم، وليس في الصيف وحسب.

والآن ها نحن أُولاء، مستلقيان بجانب بعضنا بعضًا على سرير غرفة مسكنِي الجامعي. هو طالب في السنة الثانية، وأنا على وشك الانتهاء من سنتي الأولى. بدا جنونًا إلى أيِّ مدى قد وصلنا. إننا نعرف بعضنا منذ نعومةِ أظفارنا، لذا من بعض النواحي، بدا الأمر وكأنه مفاجأةٌ كبيرة... ومن نواحٍ أخرى بدا حتميًّا.

الفصل الثاني

كانت أخويَّة جيرمايا تقيم حفلة نهاية العام. خلال أقل من أسبوع سيعود جميعنا إلى الديار لقضاء الصيف، ولن نرجع إلى فينش حتى نهاية شهر أغسطس. لطالما أحببتُ فصل الصيف أكثر من أيِّ شيءٍ آخر، لكن الآن وأنا عائدةٌ إلى الديار أخيرًا، أصبحت حلاوته يشوبها شيءٌ من المرارة. كنتُ معتادةً على مقابلة جيرمايا في قاعة الطعام لتناوُل الإفطار كل صباح وغسل ملابسي معه في منزلِ الأخويَّة متأخرًا في الليل. كان بارعًا في طيِّ ملابسي.

في هذا الصيف، سيتدرب في شركة والده مرةً أخرى، وأنا سأعمل نادلةً في مطعم عائليٍّ يُدعى «بيرس» (Behrs)، كما فعلتُ في الصيف الماضي. كانت خطتُنا هي أن نلتقي في منزل الشاطئ في كازينز بقدر ما نستطيع. في الصيف الماضي لم نستطع الذهاب هناك ولا مرة واحدة. كنَّا مشغولَين جدًّا بعملنا.

لقد أخذتُ كل مناوبة عمل استطعتُ أخذها لأوفر المال اللازم للجامعة. وطوال الوقت، كنتُ أشعر بشيءٍ من الفراغ بداخلي، في أول صيفٍ لي بعيدًا عن كازينز.

رأيتُ بِضعًا من الحشرات المضيئة. كان الظلام قد بدأ يحل، ولم تبْدُ ليلة حارَّة جدًّا. كنتُ أنتعل حذاءً ذا كعبين عاليين، وكان قرارًا غبيًّا لأنني قررتُ المشي في اللحظة الأخيرة بدلًا من ركوب الحافلة. فكرتُ في أنها من الممكن أن تكون المرة الأخيرة لفترةٍ طويلة التي سأسير فيها عبر الحرمِ الجامعي في ليلةٍ جميلة كهذه.

لقد دعوتُ أنيكا وصديقتنا شاي للقدوم معي، ولكن كانت لدى أنيكا حفلة مع فريق الرقص الخاص بها، وشاي قد انتهت بالفعل من امتحاناتها وسافرت عائدةً إلى منزلها في تكساس. وكان لدى سكن الطالبات الخاص بتايلور حفلة تعارُف، لذا لم تكن آتيةً هي الأخرى. لم يكن هناك غيري أنا وقدماي المتألمتان.

لقد أرسلتُ إلى جيرمايا رسالةً نصية أخبره أنني في طريقي وأنني آتية سيرًا على قدميَّ، لذا سيستغرق الأمر مني بعض الوقت. كان عليَّ أن أتوقف بين كل حين لأضبُط حذائي لأنه كان يحزٌّ في مؤخرة قدمي. الكعب العالي.. ليس إلا غباء، قررتُ ذلك.

في منتصف الطريق، رأيته يجلس على مقعدي المفضل. نهض واقفًا عندما رآني. وقال: «مفاجأة!».

فقلتُ وقد شعرتُ بسعادةٍ عارمة: «لم يكن عليكَ القدوم لمقابلتي».

جلستُ على المقعد.

- تبدين فاتنة.

حتى الآن، بالرغم من كونِنا حبيبين لعامين كاملين، ما زلتُ أحمرُّ خجلًا بعض الشيء عند قوله أشياء كهذه.

- شكرًا.

كنتُ أرتدي فستانًا صيفيًّا استعرتُه من أنيكا. لونه أبيض وتُزينه زهورٌ زرقاء وحمَّالتيه عبارة عن شريطين مُكشكشين.

- ذلك الفستان يذكِّرُني بفيلم «صوت الموسيقى» (The Sound of Music) ولكن على نحوٍ مثير.

فقلتُ مجددًا: «شكرًا».

هل جعلني الفستان أُشبه الآنسة ماريا، تساءلتُ؟ لم يبدُ هذا وكأنه أمرٌ حميد. فردتُ شريطتَي الحمَّالتين قليلًا.

توقف شابَّان لا أعرفهما وألقيا التحية على جيرمايا، ولكنني بقيتُ فوق المقعد لأتمكن من إراحة قدميَّ.

وعندما رحلا، قال: «مُستعدة؟».

تأوهتُ.

- قدماي تقتلانني. الكعب العالي.. غباء.

فانحنى جيرمايا لأسفل قائلًا: «اركبي يا فتاة».

وسط ضحِكاتي، صعدتُ إلى ظهره. لطالما كنتُ أضحك عندما يدعوني «فتاة». لا أستطيع تمالك نفسي. كان الأمر مضحكًا.

رفعني لأعلى ووضع ذراعيَّ حول رقبتِه.

سألني جيرمايا بينما كنَّا نعبر الحديقة الرئيسية قائلًا: «هل سيأتي والدكِ يوم الإثنين؟».

- أجل، وأنت ستساعد، صحيح؟

- رويدكِ. إنني أحملكِ عبر الحرمِ الجامعي. والآن عليَّ مساعدتكِ في نقل أغراضكِ أيضًا؟

ضربتُه ضربةً عنيفة على رأسه، غير أنه تفاداها.

قال: «حسنًا، حسنًا».

نفختُ في ظهر رقبتِه بقوة، فصرخ مثل فتاةٍ صغيرة. ظللتُ أضحك طوال الطريق إلى هناك.

الفصل الثالث

في منزل أخويَّة جيرمايا، كانت الأبواب مفتوحةً على مصراعيها وكان الناسُ يتسكعون في الحديقة الأمامية.

كانت أضواءُ عيد الميلاد متعددة الألوان معلَّقة بشكلٍ عشوائيٍّ في كل مكان.. على صندوق البريد، في الشُّرفة الأمامية، وحتى على طول حافة الممشى المؤدي إلى المدخل. لديهم ثلاثةُ أحواض سباحة مطاطية للأطفال من النوع القابل للنفخ مُجَهَّزِين حيث كان الناس يسترخون فيها كما لو كانوا في حمامات مياه ساخنة. الشُّبَّان يركضون في الأرجاء حاملين مُسدسات المياه الرشَّاشة المُعبأة بالبيرة ويقذفون البيرة في فم بعضهم بعضًا. وكانت توجد بعض الفتيات في زيِّ البيكيني الخاص بهن.

قفزتُ من فوق ظهر جيرمايا وخلعتُ حذائي على العُشب.

قال جيرمايا وهو يومِئ برأسه برضا ناظرًا إلى أحواض السباحة المطاطية: «لقد أحسن المتعهدون بخصوص هذه. هل أحضرتِ ثوب سباحتكِ؟».

هززتُ رأسي بالنفي.

فعرض قائلًا: «أتريدين مني أن أسأل ما إذا كان لدى إحدى الفتيات واحدٌ إضافيٌّ؟».

فقلتُ مسرعة: «لا، شكرًا».

كنتُ أعرف الفِتيان من أعضاء أخويَّة جيرمايا من خلال قضاء الوقت معهم والتسكع في المنزل، ولكنني لم أكن أعرف الفتيات جيدًا. كانت معظمهن من «زيتا فاي» (Zeta Phi)، السكن الجامعي للطالبات التابع لأخويَّة جيرمايا. وذلك يعني أنهم جمعتهم من قبل حفلات تعارُف وحفلات عادية، وهلُم جرًّا. لقد أراد جيرمايا مني أن أتقدم بطلب للانضمام إلى زيتا فاي، ولكنني رفضت. أخبرته أن السبب في ذلك هو أنني لا أستطيع تحمُّل التكاليف ودفع المزيد من المال للعيش في سكن طالبات، ولكن في واقع الأمر أن السبب وراء ذلك هو أنني كنتُ أتمنى أن أصادق كلَّ أنواع الفتيات، وليس فقط اللاتي سألتقي بهنَّ في سكن الطالبات. كنتُ أطمح في الحصول على تجربةٍ جامعية أوسع نطاقًا، كما كانت تقول أمي دائمًا. بالنسبة لتايلور، كانت زيتا فاي من أجل فتيات الحفلات والعاهرات. على عكس سكن الطالبات الخاص بها الذي يُزعَم أنه أرقى وأكثر تميُّزًا. وأكثر تركيزًا على الخدمة المجتمعية، قد أضافت ذلك لاحقًا كفكرة مُستدرَكة.

استمرَّت الفتيات في المجيء ومعانقة جيرمايا. ألقين عليَّ التحية، ورددتُ التحية لهن، ثم صعدتُ إلى الطابق العلوي لأضع حقيبتي في غرفة جيرمايا. وأنا في طريقي نزولًا على الدرج، رأيتها.

لاسي بارون -مرتدية بنطالًا ضيقًا من الجينز وبلوزة من الحرير وتنتعل حذاء أحمر ذا كعبين عاليين، الذي زاد من طولها ليجعله على الأرجح نحو ٤-٥ أقدام على أقصى تقدير- تتحدث إلى جيرمايا. كانت لاسي هي الرئيسة الاجتماعية لزيتا فاي، وهي من طُلاب السنة قبل الأخيرة.. تكبر جيرمايا بسنة، وتكبرُنِي بسنتين. كان شعرها بنيًّا داكنًا، يصل طوله إلى نهاية رقبتها، وجسدها ضئيل الحجم. كانت فاتنة، وفقًا لمعايير أي شخص. وبحسب رأي تايلور، فإن لديها مشاعر تجاه جيرمايا. أخبرتُ تايلور أن الأمر لا يزعجني مطلقًا، وكنتُ أعني ذلك. لماذا عساي أهتم؟ بالطبع الفتيات يُعجبن بجيرمايا.

إنه من النوع الذي تُعجب به الفتيات. ولكن حتى فتاة جميلة مثل لاسي لم تكن تشكل أيَّ تهديد علينا. إننا حبيبين قد نما حبهما على مدى سنوات وسنوات. كنتُ أعرفه أكثر من أيِّ شخص آخر، تمامًا كما كان يعرفني، وكنتُ أعلم أن جيرمايا لن ينظر أبدًا إلى أي فتاة أخرى.

رآني جيرمايا حينها وأشار إليَّ مُلَوِّحًا لآتي. سرتُ متجهة إليهما وقلتُ: «مرحبًا لاسي».

قالت: «مرحبًا».

وقال جيرمايا وهو يضمُّني إليه: «إن لاسي ستدرس في الخارج، في باريس، هذا الخريف (ثم أردف قائلًا موجهًا كلامه إلى لاسي) نحن نود الذهاب في رحلة جوَّالة عبر أوروبا في الصيف القادم».

فقالت وهي ترتشف بيرتها: «هذا رائع. أي دولٍ تودان زيارتها؟».

قال جيرمايا: «من المؤكد أننا سنذهب إلى فرنسا. إن بيلي تتحدث الفرنسية بطلاقة».

فقلتُ لها، في حرج: «في الحقيقة، أنا لستُ كذلك. لقد درستها بالمدرسة الثانوية فحسب».

قالت لاسي: «أوه، أنا شنيعة فيها أيضًا. إنني حقًّا أريد أن أذهب فقط لآكل الكثير من الجُبن والشوكولاتة».

بدا صوتها أجش على نحوٍ مفاجئ بالنسبة إلى فتاة في ضآلةِ جسدها. تساءلتُ عما إذا كانت تدخن. ابتسمَت لي، وجالت في خاطري الفكرة التالية: كانت تايلور مُخطئة بشأنها، إنها فتاةٌ لطيفة.

عندما غادرَتْ بعد بضع دقائق لتُخضِر لنفسها مشروبًا، قلتُ: «إنها لطيفة».

فهزَّ جيرمايا كتفيه قائلًا: «أجل، إنها لطيفة. أتريدينني أن أُحضر لكِ مشروبًا؟».

- بالتأكيد.

وضع يده على كتفيَّ وقادني إلى الأريكة: «فلتجلسي هنا. لا تُحركي ساكنًا. سأعود في الحال».

شاهدته وهو يشقُّ طريقه وسط الحشد، وشعرتُ بالفخر لكوني أستطيع القول بأنه ينتمي إليَّ. حبيبي، جيرمايا الخاص بي. أول فتى على الإطلاق أغفو بجانبه. أول فتى أُخبره عن المرة التي دخلت فيها مصادفةً على والديَّ وهما يطارحان الغرام عندما كنتُ في الثامنة من عمري. أول فتى يخرج ليشتري لي حبوبًا مُسكنة للآلام لأن تقلصات بطني كانت شديدةً للغاية، أول فتى يطلي أظفار قدميَّ، أول مَن أمسك بشعري للوراء عندما تقيأت في تلك المرة التي ثملتُ فيها أمام جميع أصدقائه، أول فتى يكتب لي رسالة حب على السبورة البيضاء المُعَلَّقة خارج غرفتي في السكن الجامعي.

أنتِ الحليب لمخفوق الحليب المفضل لديَّ،

إلى أبد الآبدين. أحبكِ، ج.

إنه أول فتى أُقَبِّله في حياتي. صديقي المفضل. وكلما مرَّ الوقت، استوعبتُ أكثر وأكثر. هكذا يجب أن تكون الأمور. إنه الفتى المناسب. فتايَ المناسب. حبيبي.

الفصل الرابع

حدث ذلك في وقتٍ لاحق من تلك الليلة.

كنَّا نرقص. وقد وضعتُ ذراعيَّ حول رقبة جيرمايا، وكانت الموسيقى تنبض من حولنا. شعرتُ بالاحمرار يضرب في وجهي وبالضجيج يعجُّ في رأسي، من أثر الرقص والكحول. كانت الغرفة مكتظَّة بالناس، ولكن عندما ينظر جير إليَّ، لم أكن أرى سواه. أنا وهو فحسب. مدَّ يده إلى أسفل ووضع خصلةً من شعري خلف أذني. قال شيئًا لم أستطع سماعه.

صحتُ قائلة: «ماذا؟».

فصاح قائلًا: «لا تقصِّي شعركِ أبدًا، حسنًا؟».

- عليَّ فعل ذلك! إنني أبدو وكأنني.. ساحرةٌ شمطاء!».

نقر جيرمايا على أذنه وقال: «لا أستطيع سماعكِ!».

- ساحرةٌ شمطاء.

هززتُ شعري من حول وجهي للتأكيد وقلَّدتُ حركة تقليب المَرجل وضحكة الساحرات الشريرات الأشبه بالقوقأة.

قال في أذني: «تُعجبينني أيتها الساحرة. ما رأيكِ بقص الأطراف وحسب؟».

فصحتُ قائلة: «أعدُك بألا أقص شعري قصيرًا إذا وعدتني بالتخلِّي عن حُلم إطلاق لحيتك!».

لقد كان يتحدث عن إطلاق لحيته منذ عيد الشكر، عندما أقام بعض أصدقائه من المدرسة الثانوية مسابقة لمعرفة مَن سيكون صاحب أطول لحية. قلتُ له مستحيل، فذلك يذكرني كثيرًا بأبي.

قال، وهو يقبِّلني: «سأفكر في الأمر».

بدا طعم شفتيه يشبه البيرة، وربما كانت شفتايَ كذلك أيضًا.

ومن ثم، رآنا توم -أحد زملاء جيرمايا في الأخويَّة، وهو معروفٌ أيضًا بالطائر الأحمر لأسباب غير معلومة بالنسبة لي- وانقضَّ على جيرمايا كالثور. كان مرتديًا سرواله الداخلي ويحمل زجاجة ماء. ولم يكن «سروال واسع» بل سروالًا داخليًّا أبيضَ ضيقًا.

صاح قائلًا: «تفرقا، تفرقا!».

بدآ يعبثان معًا، وعندما أحكم جيرمايا ذراعيه حول رقبة توم، انسكبت زجاجة ماء توم عليَّ وعلى فستان أنيكا.

تمتم قائلًا: «آسف. آسف».

عندما يكون توم ثملًا يقول كل شيءٍ مرتين.

قلتُ وأنا أعصر تنورتي وأحاول ألا أنظر إلى الجزء السفلي من جسده: «لا بأس».

غادرتُ لتنظيف ملابسي في الحمَّام، غير أنني وجدتُ طابورًا طويلًا، فذهبتُ إلى المطبخ. وهناك رأيتُ أشخاصًا يلعقون الخمر من فوق أجساد بعضهم بعضًا على طاولة المطبخ. كان لوك، زميل جيرمايا في الأخويَّة، يلعق الشَّراب من سُرَّة فتاة ذات شعر أحمر.

قال وهو يرفع رأسه: «مرحبًا إيزابيل».

قلتُ: «امم، مرحبًا لوك».

ومن ثم رأيت فتاةً تتقيأُ في الحوض، فخرجتُ مسرعة، توجهتُ إلى الحمَّام في الطابق العلوي. وعلى قمة الدَّرج، مررتُ بجانب شاب وفتاة يتبادلان القُبل، وقد وطأتُ يد الشاب بالخطأ.

قلتُ: «أنا آسفة جدًّا».

ولكنه بدا أنه لم يلاحظ على أي حال، إذ كان واضعًا يده الأخرى فوق قميص الفتاة.

عندما وصلتُ أخيرًا إلى الحمَّام، أغلقتُ الباب خلفي وتنفستُ الصعداء. كانت تلك الحفلة أكثر جموحًا من المعتاد. خمنتُ أنه مع اقترابِ آخر العام وانتهاء الاختبارات النهائية، أطلق الجميع العنانَ لأنفسهم. كنتُ سعيدة نوعًا ما لأن أنيكا لم تتمكن من المجيء. تلك ليست أجواؤها، ولا أجوائِي أيضًا.

وضعتُ بعضًا من الصابون فوق الأجزاء المُبللة ومرشتُها بأصابعي كي لا تتبقَّع.

حاول أحدهم فتح الباب، فصحتُ قائلة: «لحظةً واحدةً فقط».

وبينما أنا واقفة هناك، أمسح الفستان، سمعتُ فتياتٍ على الجانب الآخر يتحدثن. لم أنتبه حقًّا لكلامهن حتى سمعتُ صوت لاسي.

- إنه يبدو فاتنًا الليلة، أليس كذلك؟

فقال صوتٌ آخر: «إنه يبدو فاتنًا على الدوام».

بدا كلامها مدغمًا وهي تقول: «أجل إنه كذلك بحق الجحيم».

قالت الفتاة الأخرى: «أشعر بغيرةٍ شديدة لكونكِ ستواعدينه وتتسكعين معه».

وبنبرة غنائية قالت لاسي: «ما يحدث في كابو يظل في كابو».

شعرتُ بالدوار فجأة. وأسندتُ ظهري إلى باب الحمَّام. مستحيل أنها كانت تتحدث عن جيرمايا، مستحيل.

طرقت إحداهنَّ الباب بقوة، فجفلتُ. ودون تفكير، فتحتُه. طارت يد لاسي إلى فمها عندما رأتني. بدت النظرة على وجهها وكأنها لكمةٌ في المعدة. شعرتُ بألمٍ جسدي. كان بإمكاني سماع شهقات الفتيات الأُخريات الحادة، غير أنها بدت وكأنها بعيدةٌ جدًّا. شعرتُ كما لو أنني أسير نائمةً عندما عبرتُ من أمامها هي والفتيات في الردهة.

لم أستطع تصديق الأمر. لا يمكن أن يكون حقيقة. ليس جير الخاص بي، ليس جير الذي أعرفه. ذهبتُ إلى غرفته وأغلقتُ الباب خلفي. جلستُ على سريره، وركبتاي مضمومتان إلى صدري، وأخذتُ أعيد كل ما حدث داخل رأسي. *ما يحدث في كابو يظل في كابو*. النظرة التي ارتسمت على وجه لاسي، وكيف شهقت الفتيات الأُخريات. تُعاد داخل رأسي كما الفيلم، مرارًا وتكرارًا. وهما يتحدثان الليلة. والطريقة التي هزَّ بها كتفيه عندما قلتُ إنها لطيفة.

كان عليَّ أن أتأكد. كان عليَّ سماع ذلك من جيرمايا. خرجتُ من غرفته وذهبتُ للبحث عنه. وفي أثناء بحثي، بدأتُ أشعر بالصدمة تتحول إلى غضب. شققتُ طريقي عبر الحشد.

قالت فتاة ثملة متلعثمة عندما دستُ على قدمها: «مهلًا!».

غير أنني لم أتوقف لقول «معذرةً».

وأخيرًا وجدته واقفًا بالخارج يشرب البيرة مع رفاقه.

قلتُ من خلال الباب المفتوح: «أحتاج إلى التحدث معك».

- ثانية واحدة يا بيلز.

- كلَّا. الآن.

بدأ جميع الفِتيان في الضحك قائلين: «أوووه، أحدهم في ورطة. يبدو أن فيشر خاضعٌ للغاية».

انتظرتُ.

لا بدَّ أن جيرمايا قد رأى شيئًا ما في عينيَّ، لأنه تبعني إلى الداخل، صعودًا على الدرج، وإلى داخل غرفته. أغلقتُ الباب خلفي.

سألني وقد بدا غاية في القلق: «ما الذي يحدث؟».

وحرفيًّا، كنتُ أبصق الكلمات وأنا أقول: «هل واعدتَ لاسي بارون خلال عُطلة الربيع؟».

ابيضَّ وجه جيرمايا، وقال: «ماذا؟».

- هل واعدتَها؟

- بيلي..

همستُ قائلة: «كنتُ أعرف. كنتُ أعرف».

رغم أنني لا أعلم، لم أعرف أيَّ شيء.

- انتظري، فقط انتظري.

صرختُ قائلة: «أنتظر؟ يا إلهي يا جير. يا إلهي».

جلستُ على الأرض. لم تقوَ قدماي حتى على حملي.

ركع جيرمايا بجانبي وحاول مساعدتي على النهوض، غير أنني صفعتُ يديه بعيدًا.

- لا تلمسني!

جلس على الأرض جواري، ورأسه يتدلى من بين ركبتَيه: «بيلي، لقد حدث ذلك خلال الانفصال.. عندما كنا منفصلَين».

حدَّقتُ إليه.

ما يسميه انفصالًا قد دام أسبوعًا واحدًا أولًا عن آخر. لم يكن انفصالًا حقيقيًّا حتى، ليس بالنسبة لي. كنتُ دائمًا أعتقد أننا سنعود إلى بعضنا. لقد بكيتُ طوال أسبوعٍ كامل، بينما كان هو في كابو يقبِّل لاسي بارون.

- أنت تعلم أننا لم ننفصل حقًّا! أنت تعلم أن هذا لم يكن حقيقيًّا.

ببؤس قال: «كيف كان من المُفترض أن أعرف ذلك؟».

- «إن كنتُ أعلم ذلك، فكان عليكَ أن تعرفه!».

ابتلع ريقه، وارتفعت تفاحة آدم خاصته لأعلى ثم هبطت لأسفل.

- لقد استمرَّت لاسي في مُلاحقتي طوال الأسبوع. لم تتركني وشأني. أقسم لكِ، لم أُرد مواعدتها. لقد حصل ما حصل وحسب.

تلاشى صوته.

نما شعورٌ قذر بداخلي عندما سمعته يقول ذلك. شعرتُ باشمئزازٍ خالص. لم أرغب في التفكير فيهما، لم أُرِد تصوُّر ذلك.

قلتُ: «فلتصمت وحسب. لا أريد سماع ذلك».

- كان خطأ.

- خطأ؟ أتسمي هذا خطأ؟ الخطأ هو عندما تركتَ حذاء الاستحمام الخاص بي في الحمَّام وتعفَّن واضطررتُ إلى التخلص منه. هذا ما يسمى خطأ يا أحمق.

انفجرتُ في البكاء.

لم يقل أيَّ شيء. ظلَّ جالسًا هناك مستمعًا فحسب، ورأسه مُطأطأ.

- لم أعد أعرف مَن تكون بعد الآن. (تقلَّصَتْ معدتي). أعتقد أنني سأتقيَّأ.

أحضر لي جيرمايا سلَّة المهملات الموجودة بجانب سريره، وتقيَّأتُ. حاول فرك ظهري، غير أنني انتفضتُ مبتعدةً عنه.

تمتمتُ قائلة وأنا أمسح فمي بظهر ذراعي: «لا تلمسني».

لم يكن هذا منطقيًّا. ولا أي شيء حياله. ليس هذا جيرمايا الذي عرفته. جيرمايا الخاص بي لم يكن ليجرحني بهذا الشكل. لم يكن لينظر إلى فتاةٍ أخرى. جيرمايا الذي عهدته كان صادقًا وقويًّا وراسخًا. لم أعرف مَن يكون هذا الشخص.

قال: «أنا آسف. أنا آسف حقًّا».

صار جيرمايا يبكي الآن أيضًا. قلتُ في نفسي: جيد. تألم كما آلمتني.

- أريد أن أكون صادقًا معكِ تمامًا يا بيلي. لا أريد مزيدًا من الأسرار. (لقد انهار حقًّا حينها، وبكى بشدة. أما أنا، بقيتُ ساكنة تمامًا). لقد مارسنا الجنس.

وقبل أن أُدرك الأمر، كانت يدي تصفع وجهه. لقد صفعته بأقصى ما أستطيع من قوة. لم أفكر حتى، كنتُ أتصرف تلقائيًّا. لقد تركتْ يدي علامةً حمراء على خده الأيمن.

حدَّقنا إلى بعضنا بعضًا. لم أستطع تصديق أنني قد ضربته، ولا هو كذلك. كانت الصدمة قد بدأت تظهر على وجهه للتو، وعلى الأرجح أن نفس النظرة قد ارتسمت على وجهي أيضًا. لم يسبق لي أن ضربتُ أيَّ شخص في حياتي من قبل.

قال وهو يفرك خدَّه: «أنا آسف للغاية».

اشتدَّ بكائي. لقد تصورتهما وهما يتغازلان، ويتبادلان القُبَل. لم أقوَ حتى على التفكير في الجنس. كم كنتُ غبية!

قال: «ذلك لم يكن يعني شيئًا. أقسم لكِ، لم يعنِ شيئًا».

حاول لمس ذراعي، ولكنني جفلتُ.

قلتُ وأنا أمسح خدَّيَّ: «ربما بالنسبة لك الجنس لا يعني شيئًا. ولكنه يعني شيئًا بالنسبة لي، وأنت تعرف ذلك. لقد دمَّرتَ كل شيء. لن أثق بك أبدًا مرةً أخرى».

حاول أن يجذبني نحوه، ولكنني دفعته بعيدًا.

قال في يأس: «أؤكد لكِ، ما حدث مع لاسي لم يكن يعني أيَّ شيء».

- إنه يعني شيئًا بالنسبة لي. ومن الواضح أنه يعني شيئًا بالنسبة لها.

صرخ قائلًا: «أنا لا أحبها! إنني أحبكِ أنتِ!».

زحف جيرمايا إلى حيث كنتُ جالسة. وضع ذراعيه حول ركبتيَّ.

توسَّل قائلًا: «لا ترحلي. أرجوكِ لا ترحلي».

حاولتُ التملُّص منه، ولكنه كان قويًّا. لقد تشبَّث بي كما لو كنتُ طوق نجاةٍ وهو في عرض البحر.

قال، وجسده كله يرتجف: «أحبكِ كثيرًا. لطالما أحببتكِ أنتِ يا بيلي».

أردتُ أن أستمر في الصراخ والبكاء وأن أجد بشكلٍ ما طريقة للخروج من هذا الموقف. ولكنني لم أرَ مخرجًا. عندما نظرتُ إليه، شعرتُ وكأنني مصنوعة من حجر. لم يخيب أملي من قبل قط. وفعلته قد زادت الأمر صعوبة، لأنني لم أتوقعها. من الصعب تصديق أنه قبل ساعات قليلة فقط كان يحملني على ظهره عبر الحرم الجامعي وأنني كنتُ أحبه أكثر من أيِّ وقت مضى.

قلتُ: «لا يمكننا إصلاح الأمر. ما كان بيننا، قد انتهى. لقد فقدناه الليلة».

وقد قلتُ ذلك لأجرحه.

قال مُتَحَرِّقًا: «بلى، يمكننا. أعلم أننا نستطيع».

هززتُ رأسي نافية. عادت الدموع تسيل مجددًا، ولكني لم أعد أرغب في البكاء بعد الآن، لا سيما أمامه. أو معه. لم أرغب في الشعور بالحزن. لم أرغب في الشعور بأيِّ شيء. مسحتُ وجهي مرةً أخرى ونهضتُ واقفة: «سأرحل».

وقف على قدميه في غير اتزان: «انتظري!».

دفعته وأخذتُ حقيبتي من على سريره.

ومن ثم صرتُ خارج الباب، أركض نزولًا على الدَّرج وإلى خارج المنزل. ظللتُ أركض طوال الطريق إلى محطة الحافلات، حقيبتي تقرع كتفي، وكعب حذائي يُطقطق على الرصيف. كدتُ أتعثر وأسقط، ولكنني نجحتُ في الوصول. لحقتُ بالحافلة كآخر راكب يصعد إليها، وانطلقنا. ولم أنظر إلى الوراء لأرى ما إذا كان جيرمايا قد تبعني.

كانتِ جيليان، شريكتي في الغرفة، قد عادت إلى الديار من أجل قضاء إجازة الصيف في وقتٍ سابق من ذلك اليوم، لذا على الأقل سأحظى بالغرفة لنفسي وسأتمكن من البكاء وحدي. استمر جيرمايا في الاتصال وإرسال الرسائل النصيَّة، أغلقتُ هاتفي. غير أنني قبل الذهاب إلى الفراش، شغَّلته مرة أخرى لأرى ما كتبه لي.

أنا خجِلٌ من نفسي كثيرًا.

أرجوكِ حدثيني.

أحبكِ وسأظل أحبكِ دائمًا.

بكيتُ أكثر.

الفصل الخامس

عندما انفصلنا في أبريل، بدا الأمر حقًّا وكأنه جاء من العدم. أجل، كانت تنشب بيننا بعض الشجارات الصغيرة بين كل حينٍ وحين، ولكن من الصعب حتى تسميتها شجارات. مثلًا؛ هناك تلك المرَّة عندما أقامت شاي حفلة في بيت عَرَّابتها[1] الريفي. دعت عددًا كبيرًا من الناس، وقالت إن بإمكاني إحضار جيرمايا أيضًا. كنا جميعًا متأنقين وظللنا نرقص في الخارج طوال الليل. قالت شاي إنه بإمكاننا جميعًا المَبيت هناك طوال عطلة نهاية الأسبوع. وسيكون الأمر ممتعًا. كنتُ سعيدة فقط لكوني مشمولة في خططهم. أخبرتُ جيرمايا الأمرَ، وقال إن لديه مباراة كرة قدم وِديَّة مع فريقه الجامعي، وأخبرني بأنني عليَّ الذهاب على أي حال.

فقلتُ: «ألا يمكنكَ تفويتها؟ إنها ليست مباراة حقيقية».

---

(1) العرَّابة أو العرَّاب هو الشخص الذي يرعى معمودية الطفل في الكثير من الطوائف المسيحية.

كانت أنانيَّة مني أن أقول ذلك. ولكنني قلته، وكنتُ أعنيه. ذلك كان شجارنا الأول. لم يكن شجارًا حقيقيًّا، لا يتضمن صراخًا أو أي شيء من هذا القبيل، ولكنه كان غاضبًا، وكذلك أنا.

كنا دائمًا نتسكع مع أصدقائه. وبشكل ما كان ذلك منطقيًّا. لأنه قد كوَّن صداقاته بالفعل، بينما أنا كنتُ لا أزال أشكِّل علاقاتي. يستغرق الأمر وقتًا لتصبح قريبًا من الناس، ولأني أقضي طوال الوقت في منزل الأخويَّة الخاص به، كانت الفتيات زميلاتي في قاعة المحاضرات يقوين أواصر علاقاتهن من دوني. شعرتُ كما لو أنني قد تنازلتُ عن شيءٍ ما من دون حتى أن أدرك ذلك. عندما دعتني شاي، عنى ذلك الكثير بالنسبة لي، وكنتُ أرغب أن يعني الكثير بالنسبة إلى جير أيضًا.

وهنالك أشياء أخرى أيضًا قد أزعجتني. أشياء لم أعرفها قط عن جيرمايا، أشياء لم تكن لتُتاح لي معرفتها بمجرد رؤيته في الصيف في منزل الشاطئ. مثل أنه يصير بغيضًا عندما يدخن الحشيش مع زملائه في الغرفة وهم يتناولون بيتزا «هاواي» ويستمعون إلى أغنية «جنة العصابات» (Gangsta's Paradise) لـ«كوليو» (Coolio) ويظلون يضحكون قرابة الساعة.

وأيضًا، حساسيته الموسمية. لم أره قط في فصل الربيع، لذا لم أعرف أنه يصاب بها.

كان يتصل بي، وهو يعطس بجنون، وأنفه مسدود بالكامل بشكل يُرثى له.

سأل حينها وهو يتمخَّط قائلًا: «أيمكنكِ المجيء لقضاء الوقت معي؟ وهل يمكنكِ إحضار المزيد من المناديل الورقية؟ وعصير البرتقال؟».

عضضتُ على شفتيَّ لأمنع نفسي من قول: «أنت مصاب بالحساسية، وليس إنفلونزا الخنازير».

كنتُ قد ذهبتُ إلى منزل أخويَّته في اليوم السابق. وظلَّ هو ورفيقه يلعبان ألعاب الفيديو بينما أحل واجباتي الدراسية. ومن ثم شاهدنا أحد أفلام «الكونغ فو» وطلبنا طعامًا هنديًّا، رغم أنني لا أحب حقًّا تناول الطعام الهندي

لأنه يسبب لي اضطرابًا في المعدة بعد تناوله. قال جيرمايا إنه عندما تزداد معاناته مع الحساسية سوءًا، فإن الطعام الهندي هو الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يرفع من معنوياته. أكلتُ خبز النان والأرز في انزعاج بينما كان جيرمايا يلتهم دجاج «التِّكَّة مسالا» ويشاهد فيلمه. يسهو جيرمايا عني حقًّا في بعض الأحيان وكان عليَّ التساؤل عمَّا إذا كان الأمر متعمَّدًا.

قلتُ، محاولة أن أبدو متفكرة بشأن الأمر: «أريد حقًّا المجيء، ولكن لديَّ ورقة يجب تسليمها غدًا. لذا ربما لا ينبغي لي ذلك. آسفة».

قال: «حسنًا، أعتقد أنني يمكنني المجيء إليكِ. سآخذ طنًّا من «البينادريل» وأنام بينما تُنهين كتابة ورقتك. ومن ثم يمكننا طلب الطعام الهندي مجددًا».

قلتُ، في امتعاض: «أجل، يمكننا فعل ذلك».

على الأقل لن أضطر إلى ركوب الحافلة. لكن سيتعين عليَّ الذهاب إلى الحمَّام الرئيسي لإحضار لفافة من ورق المراحيض، لأن جيليان ستغضب إذا استخدم جيرمايا كل المناديل الورقية خاصتها مجددًا.

لم أعلم حينها أن كل ذلك كان يمهد الطريق لشجارنا الأول الحقيقي. لقد نشب بيننا أحد تلك الشجارات التي تتضمن صراخًا وبكاءً، ذلك النوع من الشجارات التي كنتُ قد وعدتُ نفسي بألا أخوضه أبدًا. لقد سمعتُ جيليان تخوض شجارات كهذه عبر الهاتف، وأيضًا زميلاتي في قاعة المحاضرات، وكذلك تايلور. لم أتصور يومًا أنني سأفعل ذلك. كنتُ أعتقد أن بيني وبين جيرمايا تفاهم كبير، وأننا نعرف بعضنا بعضًا منذ فترة طويلة، وأن ذلك سيكون كفيلًا بمنع نشوب ذلك النوع من الشجارات. الشجار أشبه بالنيران. تعتقد أن الأمر تحت سيطرتك، وتظن أن بإمكانك إيقافه وقتما تشاء، ولكن قبل أن تدرك الأمر، يتحول أمامك إلى شيء حيٍّ، يتنفس، لا يمكنك التحكم فيه، وستدرك كم كنت أحمق حين ظننت بأنك تستطيع.

في اللحظة الأخيرة، قرر جيرمايا ورفاقه من الأخويَّة الذهاب إلى مدينة «كابو» (Cabo) خلال عطلة الربيع. لقد وجدوا صفقة جنونية على الإنترنت.

كنتُ بالفعل أخطط للعودة إلى الديار في العطلة. سنذهب أنا وأمي إلى المدينة ونشاهد عرضًا للباليه، وسيكون ستيفن قد عاد إلى الديار أيضًا. لذلك أردتُ العودة، لقد أردتُ ذلك حقًّا. ولكن عندما شاهدتُ جيرمايا يحجز رحلته، ازداد شعوري بالاستياء أكثر وأكثر. كان من المفترض عليه العودة إلى الديار كذلك. فبوجود كونراد الآن في كاليفورنيا، أصبح السيد فيشر وحيدًا تمامًا. لقد قال جيرمايا إنه يريد الذهاب وقضاء بعض الوقت معه، وربما يزوران قبر سوزانا معًا. وكنا تحدثنا أيضًا عن الذهاب لقضاء يومين في كازينز. كان يعلم كم يعني ذلك بالنسبة لي. لقد كبرتُ في ذلك المنزل أكثر مما كبرتُ في منزلي. ومع رحيل سوزانا، صارت العودة إلى هناك أهم حتى من ذي قبل.

والآن هو ذاهب إلى كابو. من دوني.

سألته: «أتعتقد حقًّا بأنه يجب عليك الذهاب إلى كابو؟».

كان جالسًا إلى مكتبه، محنيًّا على جهاز الحاسوب ويكتب على لوحة المفاتيح. وكنتُ أنا جالسة على سريره.

رفع رأسه ونظر إليَّ متفاجئًا: «إنها صفقةٌ رائعة يصعب تفويتها. وعلاوة على ذلك، جميع رفاقي في الأخويَّة ذاهبون. لا أستطيع تفويتها».

- أجل، ولكنني اعتقدتُ أنك ستعود إلى الديار لقضاء الوقت مع والدك.

- يمكنني فعل ذلك في العطلة الصيفية.

- لا يزال الصيف على بُعد أشهر!

عقدتُ ذراعيَّ ثم فككتُهما.

عبس جيرمايا قائلًا: «عمَّا يدور الأمر؟ هل أنتِ قلقة بشأن قضائي لعطلة الربيع من دونك؟».

كان بإمكاني الشعور باحمرار وجنتيَّ: «كلَّا! يمكنك الذهاب إلى حيث تريد، لا يهمني. فكرتُ فقط في أنه سيكون من اللطيف لو قضيتَ بعض

الوقت مع والدك. وقد وُضِعَ شاهدٌ لقبر والدتك. اعتقدتُ أنك تود الذهاب لرؤيته».

- أجل، أود ذلك، ولكن يمكنني فعل كل ذلك بعد انتهاء السنة الدراسية. يمكنكِ المجيء معي. (حدَّق إلى وجهي). هل تغارين؟

- لا!

صار يبتسم ابتسامةً عريضة الآن.

- أقلقة بشأن الجدال حول التي-شيرتات المبللة؟

- لا!

لقد كرهتُ كونه يحوِّل الأمر إلى مزحة. أمرٌ يثير الغيظ، أن تكون أنت الشخص الوحيد الذي يشتعل غضبًا.

- إذا كنتِ قلقة للغاية، فلتأتي معنا وحسب. سيكون الأمر ممتعًا.

لم يقل إذا كنتِ قلقة، فلا ينبغي لكِ القلق. وإنما قال *إذا كنتِ قلقة، فعليكِ المجيء معنا*. كنتُ أعلم أنه لم يقصد قول الأمر بتلك الطريقة، ولكنه لا يزال يضايقني.

- تعلم أنني لا أستطيع تحمُّل تكلفة رحلة كهذه. وعلاوة على ذلك، فأنا لا أود الذهاب إلى كابو معك أنت ورفاقك. لن أذهب لأكون الفتاة الوحيدة، والتي ستفسد عليكم متعتكم.

- لن تكوني كذلك. أليسون، حبيبة جوش، ستكون هناك.

- إذًا، دُعيت أليسون، وأنا لا؟ (استقمتُ في جلستي) أليسون ذاهبة معكم يا رفاق؟

- الأمر ليس كذلك. أليسون ذاهبة مع رفيقات سكنها الجامعي. سيحصلن على مجموعة من الغرف في المنتجع نفسه الذي سنمكث فيه. هكذا علمنا بشأن الصفقة. ولكن ليس الأمر كما لو أننا سنتسكع معهن طوال الوقت. سنقوم بأشياء خاصة بالشباب؛ سباقات الطرق الوعرة

في الصحراء. وتأجير بعض مَركبات الدفع الرباعي، والهبوط من أعلى الجبال متشبثين بالحبال، وأشياء من هذا القبيل.

حدَّقتُ إليه.

- إذًا بينما تتسابق مع أصدقائك في الصحراء، تريد مني أن أتسكع مع مجموعة من الفتيات اللاتي لا أعرفهن؟

نظر إليَّ في ضجر: «أنتِ تعرفين أليسون. شكلتما ثنائيًّا في لعبة شرب البيرة في البطولة التي أقمناها في منزلنا».

- أيًّا كان. لن أذهب إلى كابو. أنا عائدة إلى الديار. أمي تفتقدني.

وما لم أقله هو.. أن والدك يفتقدك أيضًا. ولكن عندما هزَّ جيرمايا كتفيه، وكأنه يقول افعلي ما تشائين، قلتُ في خاطري: *أوه، ما هذا بحق الجحيم، سأقولها.*

- والدك يفتقدك أيضًا.

- يا إلهي. بيلي، فقط اعترفي أن الأمر لا يتعلق بوالدي. أنتِ مذعورة بشأن قضائي عطلة الربيع من دونكِ.

- ولماذا لا تعترف بأنك أصلًا لا تريد مني المجيء؟

تردَّد. لقد رأيتُ تردده.

- حسنٌ. أجل، لن أمانع لو كانت تلك رحلة شباب فقط.

قلتُ وأنا أنهض واقفة: «حسنًا، يبدو أنه ستوجد الكثير من الفتيات هناك. استمتع بوقتك مع فتيات زيتا».

الآن بدأت رقبته تتحول إلى اللون الأحمر الباهت.

- إذا كنتِ لا تثقين بي إلى الآن، فلا أعرف ماذا عساي أن أقول لكِ. لم أفعل أيَّ شيء قط يجعلك تستجوبينني. ويا بيلي، أنا حقًّا لا أحتاج إليك لتُشعريني بالذنب بشأن أبي.

بدأتُ أنتعل حذائي، وكنتُ غاضبة جدًّا، رأيتُ يديَّ ترتعشان وأنا أحاول ربط أربطة حذائي الرياضي.

- لا أستطيع أن أصدِّق حتى مدى أنانيتك.

- أنا؟ أنا الشخص الأناني الآن؟

هزَّ رأسه، وقد زمَّ شفتيه. ثم فتح فمه وكأنما أراد قول شيءٍ ما، ولكنه ما لبث أن أغلقه.

- نعم، بالتأكيد أنتَ الشخص الأناني في هذه العلاقة. إن الأمر دائمًا ما يتعلق بك وبأصدقائك وبأخويَّتك الغبية. هل أخبرتك بأن أخويَّتك غبية؟ لأنني أعتقد ذلك حقًّا.

بصوت خفيض، قال: «وما الغبي للغاية بشأنها؟».

- إنهم مجرد مجموعة من الشبان الأثرياء الذين ينفقون أموال والديهم، ويغشُّون في الاختبارات باستخدام بنك الأسئلة الخاص بكم، ويحضرون المحاضرات ثملين.

قال وقد بدا متألمًا: «لسنا جميعًا هكذا».

- لم أقصدكَ أنت.

- بلى، تقصدين. ماذا، ألمجرد أنني لست طالبًا في المرحلة التمهيدية للطب أصبحتُ الفتى الكسول؟

- لا تُحَمِّلني عُقدة نقصك.

قلتُها من دون تفكير. لقد كان شيئًا قد فكرت فيه من قبل ولكن لم أعبِّر عنه قط. كان كونراد هو مَن يدرس في المرحلة التمهيدية للطب. كان كونراد هو من يدرس في جامعة ستانفورد، ويعمل بدوامٍ جزئي في أحد المختبرات. وكان جيرمايا هو من أخبر الناس بأنه قد تخصصَ في علم البيرة.

حدَّق إليَّ قائلًا: «ما الذي يعنيه ذلك بحق الجحيم، عُقدة نقص؟».

قلتُ: «انسَ الأمر».

ولكن بعد فوات الأوان، كان بإمكاني أن أرى كيف ذهبت الأمور إلى أبعد مما قصدت. أردتُ التراجع عن كل ما قلته.

- إذا كنتِ تعتقدين أنني غبيٌّ للغاية وأناني وسفيه، فلماذا أنتِ معي من الأساس؟

وقبل أن أتمكن من الإجابة، قبل أن أتمكن من قول أنت لست غبيًّا ولا أنانيًّا ولا سفيهًا، قبل أن أتمكن من إنهاء الشجار، قال جيرمايا: «اللعنة على هذا. لا أريد إهدار وقتكِ أكثر من ذلك. فلنُنهِ هذا الآن».

وقلتُ: «حسنٌ».

أمسكتُ بحقيبة كتبي، ولكنني لم أغادر على الفور. كنتُ أنتظره ليوقفني. بيدَ أنه لم يفعل.

بكيتُ طوال الطريق إلى المنزل. لم أستطع تصديق أننا انفصلنا. لم يبدُ الأمر حقيقيًّا. توقعتُ أن يتصل بي جيرمايا في تلك الليلة. كان يوم جمعة. وقد غادر إلى كابو صباح يوم الأحد، ولم يتصل حينها أيضًا. تكونت عطلتي الربيعية من تجولي في أرجاء المنزل في كآبة، وتناول رقائق البطاطس، والبكاء.

قال ستيفن: «هدِّئي من روعكِ. السبب الوحيد لعدم اتصاله بكِ هو أن إجراء مكالمة من المكسيك مكلِّف للغاية. ستعودان لبعضكما بعضًا يا رفيقيَّ بحلول الأسبوع القادم، هذا مضمون».

كنتُ متأكدةً تمامًا من أنه على حق. يحتاج جيرمايا فقط إلى بعض المساحة. حسنًا، لا بأس في ذلك. عندما يعود، سأذهب إليه وأخبره عن مدى أسفي، وأصلح الأمور، وسيكون كما لو أن الأمر لم يحدث قط.

اتضح أن ستيفن كان محقًّا. لقد عدنا إلى بعضنا بعضًا بعد أسبوع. ذهبتُ إليه بالفعل واعتذرت، وهو اعتذر كذلك. لم أسأله ما لو حدث أيُّ شيء في كابو. لم يخطر ببالي حتى أن أتساءل. هذا فتى أحبني طوال حياتي، وأنا فتاة صدَّقت وآمنت بهذا الحب. وبهذا الفتى.

اشترى لي جيرمايا سوارًا من الأصداف. أصداف «بوكا» صغيرة الحجم وبيضاء اللون. غمرتني السعادة. لأنني عرفتُ أنه كان يفكر بي، أنه افتقدني بقدر ما افتقدته. كان يعلم مثلما أعلم تمامًا أن الأمر لم ينتهِ بيننا، ولن ينتهي

أبدًا. لقد قضى الأسبوع الذي يلي عطلة الربيع بأكمله في غرفتي، يتسكع معي وليس مع رفاقه من الأخويَّة. لقد دفع ذلك جيليان -زميلتي في الغرفة- إلى الجنون، ولكنني لم أكترث. شعرتُ بأنني صرتُ أقرب إليه من أيِّ وقت مضى. كنتُ أفتقده حتى في أثناء حضوره لمحاضراته.

ولكني الآن بتُّ أعرف الحقيقة. لقد اشترى لي ذلك السوار الرخيص الغبي لأنه شعر بالذنب. وأنا كنتُ متلهفةً لإصلاح الأمور بيننا، ولم ألحظ ذلك.

الفصل السادس

عندما أغمضتُ عينيَّ، رأيتُ كليهما، معًا، يتبادلان القُبَل في حوض استحمام ساخن. على شاطئ. في أحد النوادي. على الأرجح أن لاسي بارون كانت تعرف حيلًا لم أسمع بها يومًا. ولكن بالطبع هي تعرفها.

إني ما زلتُ عذراء.

لم أمارس الجنس قط، لا مع جيرمايا، ولا مع أي شخص آخر. عندما كنتُ أصغر سنًّا، لطالما كنتُ أتخيَّل أول مرةٍ لي ستكون مع كونراد. لم يكن الأمر أنني ما زلتُ أنتظره. لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق. كنتُ فقط أنتظر اللحظة المثالية. أردتها أن تكون مميزةً وخاصةً، أن أشعر من كل قلبي بأنني أفعل الشيء الصحيح تمامًا.

تخيلتُ أننا نفعل ذلك أخيرًا في منزل الشاطئ، والأنوار جميعها مطفأة والشموع في كل مكان كيلا أشعر بالخجل. تخيلتُ كم سيكون جيرمايا لطيفًا وحنونًا معي. لقد بتُّ أشعر مؤخرًا بأنني صرت أكثر استعدادًا. فكرتُ في هذا الصيف، كلانا معًا هناك في كازينز.. فكرتُ في أن الأمر سيكون على هذا النحو.

كان من المهين التفكير في الأمر الآن، كم كنتُ ساذجة. اعتقدتُ أنه سينتظر بقدر ما سيستغرق مني الأمر لأكون جاهزة. كنتُ أصدِّق ذلك حقًّا.

ولكن كيف لنا أن نكون معًا الآن؟ عندما فكرتُ في كونه معها، مع لاسي، التي تكبرني سنًّا وتفوقني جاذبية وخبرة بكثير -على الأقل في رأيي- جرحني الأمر لدرجة صعَّبَتْ عليَّ التقاط أنفاسي. حقيقة أنها عرفته بطريقة لم أعرفه بها، واختبرت معه شيئًا لم أختبره، تلك كانت أكبر خيانة على الإطلاق.

قبل شهرٍ مضى، بالقُرب من موعد الذكرى السنوية لوفاة والدته، كنا مستلقيَين على سرير جيرمايا المزدوج. انقلب على جانبه ونظر إليَّ، وبدت عيناه تشبهان عينَي سوزانا كثيرًا، مددتُ يدي وغَطَّيتُهما.

قلتُ: «أحيانًا يكون النظر إليك مؤلمًا».

أحببتُ أن أكون قادرة على قول ذلك وأنا أعلم تمامًا أنه يعرف بالضبط ما قصدته.

قال لي: «أغمضي عينيكِ».

فعلتُ، واقترب مني للغاية حتى أصبحنا وجهًا لوجه وأمكنني الشعور بأنفاسه المُنعنعة دافئة على خديَّ. لففنا ساقينا حول بعضهما بعضًا. كنتُ مفعمة بتلك الحاجة المفاجِئة بأن أبقيه بالقرب مني دائمًا.

سألته: «أتعتقد أننا سنظل هكذا دائمًا؟».

- ماذا عسانا أن نكون غير ذلك؟

نمنا ونحن على هذا النحو. كالأطفال. ببراءةٍ تامة.

لا يمكننا العودة إلى ذلك أبدًا. وكيف عسانا؟ لقد بات كل شيء ملوثًا وفاسدًا الآن. كل شيء من شهر مارس إلى الآن، ملوثٌ تمامًا.

الفصل السابع

عندما استيقظتُ في صباح اليوم التالي، وجدتُ عينيَّ منتفختَين للغاية، كانتا فعليًّا منتفختين لدرجة أنني لم أستطع فتحهما. رششتُ وجهي بالماء البارد، ولكنه لم يُجدِ نفعًا. فرَّشتُ أسناني. ومن ثم عدت مجددًا إلى السرير. كنتُ أستيقظ وأسمع الناس يرحلون من السكن الجامعي، ومن ثم أغفو في النوم مرةً أخرى. كان عليَّ أن أحزم أمتعتي، ولكن كل ما أردتُ فعله هو النوم. لقد نمتُ طوال اليوم. استيقظتُ مرةً أخرى عندما حلَّ الظلام، ولم أُشعل الأضواء. ظللتُ مستلقية على السرير حتى غفوت مجددًا.

نهضتُ أخيرًا ظهيرة اليوم التالي. وبقولي «نهضتُ» فأنا أعني «نهضتُ جالسة». نهضتُ أخيرًا جالسة على سريري. كنتُ عطشى. شعرتُ بالجفاف من كل ذلك البكاء. دفعني هذا فعليًّا إلى النهوض من السرير والمشي مسافة خمسة أقدام إلى الثلّاجة الصغيرة وأخذ إحدى زجاجات المياه التي تركَتها جيليان وراءها.

زاد النظر عبر الغرفة إلى سريرها الخاوي وجدرانها الخالية من اكتئابي أكثر. الليلة الماضية أردتُ أن أكون وحدي. اليوم اعتقدتُ أنني سأفقد عقلي لو لم أتحدث إلى شخصٍ آخر. ذهبتُ إلى غرفة أنيكا في نهاية الردهة.

أول ما قالته عندما رأتني: «ما الخطب؟».

جلستُ على سريرها وضممتُ وسادتها إلى صدري. لقد جئتُ إليها راغبة في التحدث، في إخراج كل ما بصدري، ولكني الآن أجد صعوبة في النطق بالكلمات. شعرتُ بالخجل والعار. منه ومن أجله. لقد أحب جميع أصدقائي جيرمايا. كانوا يظنون أنه فعليًّا شخص مثالي. وكنتُ أعرف أنني حالما أحكي لأنيكا، سيتبخر كل ذلك. وسيصبح الأمر حقيقة. لسبب ما، كنتُ ما زلتُ راغبة في حمايته.

- إيز، ما الذي حدث؟

اعتقدتُ حقًّا أنني قد انتهيتُ من البكاء، غير أن بعض الدموع قد تسربت على أي حال. أمضيتُ قدمًا وقلتُها.

- لقد خانني جيرمايا.

جلست أنيكا على السرير في صدمة: «أغلقي فمك. لا تقولي هذا!»، ثم استنشقَتْ نَفَسًا وأردفت: «متى؟ مع مَن؟».

- مع لاسي بارون، تلك الفتاة من سكن الطالبات التابع لأخويَّته. خلال عطلة الربيع. عندما انفصلنا.

أومأت وهي تستوعب ما أقوله.

- أنا غاضبة جدًّا منه. لإقامته علاقة مع فتاة أخرى ومن ثم عدم إخباري طوال هذا الوقت. إخفاء الحقيقة يساوي الكذب. أشعر بأنني غبية للغاية.

ناولتني أنيكا علبة مناديل ورقية من فوق مكتبها: «اسمحي لنفسك الشعور بكل ما تحتاجين إليه».

نظَّفتُ مخاط أنفي: «أشعر بأنني.. لربما لا أعرفه كما كنتُ أعتقد أنني أعرفه. أشعر بأنني لا أستطيع الوثوق بعد الآن مطلقًا».

- إن إخفاء سرٍّ كهذا عن الشخص الذي تحبه هو أسوأ مما حدث.
- ألا تعتقدين أن الخيانة الفعلية هي الجزء الأسوأ؟
- لا. أعني.. أجل، إنه أمرٌ بشع. ولكن كان يجب أن يخبركِ فحسب. كتمان الأمر هو ما زاد من سوءِه.

خيَّم عليَّ الصمت. كان لديَّ سرٌّ أيضًا. سر لم أخبر إياه أحدًا، ولا حتى أنيكا أو تايلور. كنتُ قد أخبرتُ نفسي أنني أخفيه لأنه ليس مهمًّا، ومن ثم أبعدتُ الأمر عن ذهني.

في العامين الماضيين، كنتُ أحيانًا أستحضر إحدى ذكرياتي عن كونراد وأتأمل فيها، بحُب، بالطريقة نفسها التي كنتُ أتأمل بها مجموعتي القديمة من الأصداف. كانت ثمة متعة في مجرد لمس كل صدَفة، وحوافها وتعرجاتها، واستشعار نعومتها الباردة. حتى بعد أن تواعدتُ أنا وجيرمايا، بين كل حين وآخر، في أثناء جلوسي في الصفِّ أو انتظاري الحافلة أو محاولتي لأن أغفو، كنتُ أستحضر ذكرى قديمة. ذكرى لأول مرة أتغلب عليه في سباق السباحة. المرة التي علَّمني فيها الرقص. الطريقة التي اعتاد أن يبلل بها شعره في الصباح.

لكن كانت ثمة ذكرى واحدة على وجهِ الخصوص، ذكرى لم أسمح لنفسي بلمسها. هذا غير مسموح.

الفصل الثامن

في اليوم الذي يلي عيد الميلاد. كانت أمي قد ذهبت في رحلة مدتها أسبوع إلى تركيا، رحلة اضطرت إلى تأجيلها مرتين.. مرة بعد عودة السرطان إلى سوزانا ومرة بعد وفاة سوزانا. كان أبي مع عائلة حبيبته، ليندا، في واشنطن العاصمة. وكان ستيفن في رحلة تزلُّج مع بعض أصدقائه من الجامعة. أما جيرمايا والسيد فيشر فكانا يزوران أقاربهما في نيويورك.

وأنا؟ كنتُ في المنزل، أشاهد فيلم «قصة عيد الميلاد» (A Christmas Story) على التلفاز للمرة الثالثة. مرتدية بيجامة عيد الميلاد خاصتي، تلك التي أرسلتها إليَّ سوزانا قبل عامين تقريبًا.. كانت عبارة عن بيجامة نوم حمراء اللون من قماش الفلانيلَّة مع رسمة نبات الهَدَال البهيجة، وبنطالها طويلٌ جدًّا. وكان جزءٌ من متعة ارتدائها هو تشمير الأكمام والبنطال من جهة الكاحلين. انتهيتُ للتو من تناول العشاء.. بيتزا مُجمَّدة بشرائح البيبروني وبقية بسكويت السكر التي خبزها أحد الطلَّاب لأمي.

كنتُ قد بدأتُ أشعر وكأنني «كيفن» في فيلم «وحدي في المنزل» (Home Alone). كانت الساعة الثامنة من مساء يوم السبت، وكنتُ أرقص في غرفة

المعيشة على أنغام أغنية «الرقص حول شجرة عيد الميلاد» (Rockin' Around The Christmas Tree)، شاعرةً بالأسف على نفسي. فقد كانت درجاتي لفصل الخريف الدراسي مزرية. وقد غادرت عائلتي بأكملها. وكنتُ آكل البيتزا المجمَّدة وحدي. وعندما رآني ستيفن في اليوم الأول لعودتي إلى المنزل، كان أول ما خرج من فمه: «يا للهول! لقد زادت طالبتنا الجامعية الجديدة في الوزن، هاه؟».

لكمته في ذراعه، وقال إنه يمزح، ولكنه لم يكن يمزح. لقد زاد وزني عشرة أرطال في أربعة أشهر. لقد اعتقدتُ أن تناول أجنحة الدجاج الحارة والرامن وبيتزا «دومينوز» (Dominos) في الرابعة صباحًا مع الأولاد هو الذي من شأنه أن يفعل ذلك بفتاة. ولكن ماذا في ذلك؟ إن زيادة الوزن بالنسبة للطلاب الجامعيين الجُدد يعتبر من طقوس العبور[1].

ذهبتُ إلى حمَّام الطابق السفلي وصفعتُ خدَّيَّ مثلما يفعل كيفن في الفيلم.

صحتُ قائلة: «ماذا! وإن يكن!».

لم أكن لأدع ذلك يحبطني. وفجأة خطرت لي فكرة. ركضتُ صعودًا إلى الطابق العلوي وبدأتُ في إلقاء أغراضٍ في حقيبة ظهري.. الرواية التي اشترتها لي أمي لعيد الميلاد، بنطالٌ رياضي ضيق، جوارب ثقيلة. لماذا عليَّ البقاء في المنزل بمفردي وأنا أستطيع الذهاب إلى مكاني المفضل في هذا العالم؟ وبعد خمس عشرة دقيقة، بعد أن شطفتُ أطباق عشائِي وأطفأتُ جميع الأنوار، كنتُ بداخل سيارة ستيفن.

سيارته أجمل من سيارتي. وبما أنه لن يعرف، لن يجرحه الأمر، فلا ضرر. علاوة على ذلك، سيكون هذا جزاءه على ما قاله بشأن وزني.

---

(1) طقوس العبور: مصطلح في علم الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان، يشير إلى الطقوس التي تجري بمناسبة العبور من حالة سابقة أو وضع سابق إلى حالة لاحقة أو وضع جديد ذي طبيعة ارتقائية في حياة الإنسان.

كنتُ متوجهة إلى كازينز، وأستمع إلى أغنية «أرجوك عُد إلى الديار في عيد الميلاد» (Please Come Home for Christmas) (نسخة فرقة «بون جوفي» (Bon Jovi)، بالطبع)، وأتناول مقرمشات البريتزيل المُغطاة بالشوكولاتة وعليها رشَّات سكر باللونين الأحمر والأخضر (هديةٌ أخرى من أمي). كنتُ أعلم أنني اتخذتُ القرار الصحيح. سأصل إلى منزل كازينز في لمح البصر. سأشعل نارًا، وأعد بعضًا من مشروب الشوكولاتة الساخنة مع مقرمشات البريتزيل خاصتي، وسأستيقظ على شاطئٍ شتوي. بالطبع كنتُ أحب الشاطئ خلال الصيف أكثر، ولكن الشاطئ الشتوي كان يحمل سحرًا خاصًّا بالنسبة لي. قررتُ عدم إخبار أحدٍ بذهابي. عندما يعود الجميع من رحلاتهم، سيصير هذا سرِّي الصغير.

بالفعل وصلتُ إلى كازينز في لمح البصر. كان الطريق السريع مهجورًا إلى حدٍّ كبير، وحرفيًّا طرتُ إلى هناك. عندما ركنتُ السيارة أمام المنزل، أطلقتُ صيحةَ مرحٍ كبيرة. كان من الجيد أن أعود. هذه هي المرة الأولى لي في المنزل منذ أكثر من عام.

وجدتُ النسخة الاحتياطية من المفاتيح تمامًا حيث تكون دائمًا.. تحت لوح الأرضية السائب في التراس. شعرتُ بالدوار عندما دخلتُ وأشعلتُ الأضواء. كان المنزل باردًا إلى حدِّ التجمُّد، ووجدتُ إشعال النار أصعب بكثير مما ظننته. سرعان ما استسلمتُ، وأعددتُ لنفسي كوبًا من مشروب الشوكولاتة الساخنة بينما أنتظر ظهور تأثير الحرارة. ثم أحضرتُ مجموعةً من البطانيات من خزانة الأغطية واستلقيتُ على الأريكة تحتها في دفء، برفقة مُقرمشات البريتزيل المُغطاة بالشوكولاتة وكوب مشروب الشوكولاتة الخاص بي. وكان فيلم «كيف سرقَ جرينش عيد الميلاد» (How the Grinch Stole Christmas) على التلفاز، وغفوت على صوت «الهوز» (Whos) في

بلدة «الهوفيل» (Whoville) يُغنون «مرحبًا بعيد الميلاد» (Welcome Chritsmas).

استيقظتُ على صوت شخصٍ يقتحم المنزل. سمعتُ قرعًا على الباب ثم صوتًا لشخص يعبث بمقبض الباب. في البداية، بقيتُ مستلقية تحت أغطيتي فحسب، ويكاد الخوف أن يفجِّر عقلي وأنا أحاول ألا أتنفس بصوتٍ عالٍ. ظللتُ أفكر، يا إلهي، يا إلهي، الأمر تمامًا مثل فيلم «وحدي في المنزل»، ماذا كان سيفعل كيفن؟ ماذا كان سيفعل كيفن؟ على الأرجح أن كيفن كان ليفخِّخ الرواق الأمامي، ولكن ليس ثمة وقت لأيٍّ من ذلك.

ومن ثم صاح اللص قائلًا: «ستيفن؟ هل أنت بالداخل؟».

فجالَ في خاطري: *يا إلهي، اللص الآخر موجود بالفعل في المنزل واسمه ستيفن!*

اختبأتُ تحت البطانية، ثم فكرتُ في أن كيفن ما كان ليختبئ تحت بطانية. كان سيحمي منزله. أخذتُ عصا المدفأة النحاسية وهاتفي المحمول وتسللتُ إلى البهو. كنتُ خائفة جدًّا أن أنظر من النافذة لم أرِده أن يراني، لذا ضغطتُ بجسدي البابَ وأصغيتُ.

- ستيف، افتح الباب. هذا أنا.

كاد قلبي يتوقف عن النبض. أنا أعرف هذا الصوت. لم يكن صوت لص. كان كونراد.

فتحتُ الباب بقوة. كان هو، حقًّا. حدَّقتُ إليه، وحدَّقَ إليَّ كذلك. لم أعلم أن شعوري سيكون هكذا عند رؤيته مجددًا. شعرتُ بقلبي وقد قفز من مكانه، وصار من الصعب عليَّ التقاط أنفاسي. في تلك الثواني القليلة، نسيتُ كل شيء ولم يكن هناك سواه.

كان يرتدي معطفًا شتويًّا لم أره من قبل، جمليَّ اللون، وفي فمه عود حلوى صغير. سقط من فمه.

قال، وفمه لا يزال مفتوحًا: «ما هذا بحق السماء؟».

عندما عانقته، بدت رائحته كالنعناع الفلفلي وعيد الميلاد. شعرتُ بخدِّه باردًا على خدِّي.

- لماذا تحملين عصا المدفأة؟

أخذتُ خطوة للوراء: «حسبتُكَ لِصًّا».

- لا بدَّ أنكِ فعلتِ.

تبعني إلى غرفة المعيشة، وجلس على الكرسي المقابل للأريكة. كانت لا تزال نظرة الدهشة مرسومة على وجهه.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

هززتُ كتفيَّ ووضعتُ عصا المدفأة على طاولة القهوة. كان اندفاع الأدرينالين في عروقي يتلاشى سريعًا، وبدأت أشعر بأنني قد بدوت سخيفةً إلى حدٍّ كبير.

- كنتُ وحدي بالمنزل، وشعرتُ برغبةٍ في القدوم. ما الذي تفعله أنتَ هنا؟ لم أكن أعرف حتى أنك ستعود.

كان كونراد يعيش في كاليفورنيا حاليًّا. ولم أره منذ أن انتقل إلى هناك في العام الماضي. بدا وكأنه لم يحلق ذقنه منذ أيام. غير أن ذقنه بدا ناعمًا، وليست شائكة. وقد بدت بشرته مُسمرَّة كذلك بفِعل الشمس، وهو ما اعتقدتُ أنه غريب، بالنظر إلى كوننا في فصل الشتاء، ومن ثم تذكرتُ أنه يدرُس في كاليفورنيا، حيث يكون الجو مشمسًا على الدوام.

- لقد أرسل إليَّ أبي تذكَرة في اللحظة الأخيرة. لقد استغرق الأمر دهرًا للهبوط، بسبب الثلوج، لذا وصلتُ إلى هنا متأخرًا. وبما أن جير وأبي لا يزالان في نيويورك، فكرتُ في المجيء إلى هنا وحسب.

حدَّق إليَّ بعينين نصف مفتوحتين.

سألتُ وقد شعرتُ بخجلٍ مفاجئ: «ماذا؟».

حاولتُ تسوية الجزء الخلفي من شعري، فقد كان منفوشًا من أثر النوم، وخِفيةً لمستُ زاويتَي فمي. هل كان يسيل لعابي؟

- لديكِ شوكولاتة على جميع أنحاء وجهكِ.

مسحتُ فمي بظهر يدي.

- لا، غير صحيح. (كذبتُ). على الأرجح أنه مجرد وَسَخ.

رفع حاجبيه وقد نظر إلى علبة مقرمشات البريتزيل المُغطاة بالشوكولاتة شبه الفارغة.

- ماذا؟ هل وضعتِ للتو رأسكِ كله بداخلها لتوفير الوقت؟

- اصمت.

غير أنني لم أستطع تمالُك نفسي وابتسمت.

كان الضوء الوحيد في الغرفة هو ضوء التلفاز المُرتعِش. بدا الأمر سرياليًّا للغاية، أن أكون معه هكذا. انعطافٌ عشوائي لما بدا وكأنه القَدَر. ارتجفتُ وقرَّبتُ بطانيتي إليَّ.

قال وهو يخلع معطفه: «أتريدينني أن أشعل نارًا؟».

وعلى الفور قلتُ: «أجل! لم أستطع إشعالها لسببٍ ما».

فقال بطريقته المتغطرسة: «الأمر يتطلب لمسةً خاصة».

بتُّ أعرف الآن أن الأمر متعلق بالتموضُع فحسب.

كان كل شيء مألوفًا جدًّا. لقد كنا هنا من قبل، هكذا تمامًا، فقط قبل عيدَي ميلادَين مضيا. لقد حدث الكثير منذ ذلك الحين. لقد صارت لديه حياة جديدة كُليًّا الآن، وكذلك أنا. ومع ذلك، بشكلٍ من الأشكال، بدا الأمر كما لو أنه لم يفرقنا وقتٌ أو مسافات. بشكلٍ من الأشكال، بدا شعوري هو نفسه.

لربما كان يفكر في الشيء نفسه الآن، لأنه قال: «ربما الوقت قد تأخر لإشعال النار. أعتقد أنني سيغمى عليَّ، أنا مُتعب وأرغب في النوم».

وفجأة، همَّ واقفًا وتوجه نحو الدرَج. ومن ثم عاد وسألني: «هل ستنامين هنا بالأسفل؟».

- أجل. مُدَفَّأة كحشرة صغيرة في بُساط.

وعندما وصل إلى الدرَج، توقف كونراد ثم قال: «عيد ميلادٍ مجيد يا بيلي، من الرائع حقًّا رؤيتكِ من جديد».

- وأنتَ كذلك.

في صباح اليوم التالي، فور ما استيقظتُ مباشرةً، راودني شعورٌ مضحك بأنه قد غادر بالفعل. لا أعلم لماذا. ركضتُ إلى الدرَج لأتفقد الأمر، وبينما كنتُ أدور حول زاوية الدرابزين، تعثرتُ في بنطال بيجامتي وسقطتُ على ظهري، وقد أخذ رأسي يتخبَّط على طول الطريق إلى الأسفل.

استلقيتُ هناك والدموع في عينيَّ، أحدِّق إلى السقف. كان الألم لا يُصَدَّق. ثم ظهر رأس كونراد فوقي من العدم.

سأل وفمه مليء بالطعام، بحبوب الإفطار على الأرجح: «هل أنتِ بخير؟».

حاول مساعدتي على النهوض، غير أني لوَّحتُ له ليبتعد.

غمغمتُ قائلة -آملة لو أنني رمشتُ عينيَّ بسرعةٍ كافية، فإن دموعي ستجف-: «اتركني وشأني».

- هل تأذيتِ؟ هل تستطيعين الحركة؟

- ظننتُ أنك رحلت.

- كلَّا. لا أزال هنا. (ركع على ركبتيه بجانبي). فقط دعيني أحاول رفعكِ.

هززتُ رأسي بالرفض.

تمدَّد كونراد على الأرض جواري، وظلَّ كلانا مستلقيًا على الأرضية الخشبية كما لو كنا على وشك البدء في صُنع ملائكة الثلج[1].

- ما مدى حدة الألم، على مقياس من واحد إلى عشرة؟ هل تشعرين وكأنكِ تعانين تمزُّقًا أو كسرًا ما أو شيئًا من هذا القبيل؟

---

(1) ملائكة الثلج: الشكل الذي يخلفُه الأشخاص بعدما يتمددون فوق الثلج ويبدأون في تحريك أيديهم وأرجلهم.

- على مقياس من واحد إلى عشرة... هذا يؤلم بمقدار أحد عشر.

- تصبحين مجرد طفلة، عندما يتعلق الأمر بالألم.

غير أن نبرته بدت قَلِقة.

- لستُ كذلك.

كنتُ على وشك إثبات أنه محق. حتى أنا أمكنني سماع كم كانت نبرتي باكية.

- اسمعي، هذا السقوط الذي تعرضتِ له ليس مزحة. إن الأمر أشبه بانزلاق الحيوانات وسقوطها في الرسوم المتحركة، كما هو الأمر مع قشرة الموز.

وفجأة لم أعد أشعر برغبةٍ في البكاء بعد الآن.

سألتُ وقد أدرتُ رأسي لأنظر إليه: «أتدعوني بحيوان؟».

كان محافظًا على تعبير وجهه الجاد، غير أنَّ ظِلَّ ابتسامة لاح على وجهه. ثم أدار وجهه لينظر إليَّ، وبدأ كلانا في الضحك. ضحكتُ بقوة زادت من حدَّة ألم ظهري. وفي منتصف الضحك، توقفتُ وقلتُ: «أوه».

فنهض جالسًا وقال: «سأحملكِ إلى الأريكة».

- لا. (اعترضتُ بنبرة ضعيفة). إنني ثقيلة جدًّا عليك. سأنهض في خلال دقيقة، فقط اتركني هنا الآن.

عبس كونراد، ويمكنني القول إنه قد شعر بالإهانة: «أعرف أنني لا أستطيع رفع أثقال تساوي وزن جسدي مثل جير، ولكني أستطيع حمل فتاةٍ يا بيلي».

رمشتُ عينيَّ: «الأمر ليس هكذا. إنني أثقل مما تعتقد. كما تعلم، قد زاد وزني مؤخرًا كطالبة جامعية جديدة أو أيًّا ما كان».

أصبح وجهي ساخنًا، ونسيتُ للحظات مدى شدة ألم ظهري أو مدى غرابة أنه قد ذكر جير. شعرتُ بالحَرَج وحسب.

بصوتٍ هادئ قال: «حسنًا، تبدين كما أنتِ بالنسبة لي».

ومن ثم، برفقٍ شديد، رفعني عن الأرض ووضعني بين ذراعيه. تمسكتُ به بذراعٍ واحدة حول رقبته. وقلتُ: «يبدو أن وزني لم يزد لتلك الدرجة إذن».

- لا تقلقي. أنتِ معي، سأتولى الأمر.

حملني إلى الأريكة، وأجلسني عليها.

- سأحضر لكِ بعضًا من دواء «أدفيل» (Advil). يمكنه أن يساعد في تحسين الوضع قليلًا.

وعندما نظرتُ إليه، راودتني هذه الفكرة المفاجئِة: *يا إلهي. ما زلتُ أحبك.*

لقد ظننتُ أن مشاعري تجاه كونراد باتت مطويةً بعيدًا. مثل مزلاجي القديم والساعة الذهبية الصغيرة التي اشتراها لي أبي عندما تعلمتُ كيفية معرفة الوقت لأول مرة. ولكن لمجرد أنك قد دفنت شيئًا، فلا يعني ذلك أنه سيُمحى من الوجود. تلك المشاعر، كانت موجودة دائمًا. طوال ذلك الوقت. كان عليَّ مواجهة الأمر وحسب. إنه جزءٌ من حمضي النووي. لديَّ شعر بُني، ونمش، وحبٌّ دائم لكونراد في قلبي. كان يسكن فقط في ذلك الجزء الضئيل منه، الجزء الخاص بالفتاة الصغيرة، الجزء الذي لا يزال يُصدق في الأفلام الغنائية، ولكن هذا كل شيء. كان ذلك جزءٌ يملكه. وسيملك جيرمايا كل شيءٍ آخر.. سيملك حاضري، ومستقبلي. هذا هو المهم. وليس الماضي.

ربما يكون هذا هو الحال مع جميع قصص الحب الأول. تظل محتلة لجزء صغير من قلبك، دائمًا. كونراد في الثانية عشرة، والثالثة عشرة، والرابعة عشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة، وحتى السابعة عشرة. ولبقية حياتي، سأظل أفكر فيه بشغفٍ وحب، بالشكل الذي تفكر به في حيوانك الأليف الأول، وأول سيارة قُدتها. تجاربك الأولى مهمة. ولكنني كنتُ واثقة تمامًا من أن التجارب الأخيرة هي الباقية، وهي الأهم. وأن جيرمايا، سيكون الأخير. إنه حُبي الحاضر، والأبدي.

قضيتُ أنا وكونراد بقية ذلك اليوم معًا، ولكن ليس معًا. لقد أشعل النار، ثم أخذ يقرأ على طاولة المطبخ، بينما كنتُ أشاهد فيلم «إنها حياةٌ رائعة» (It's a Wonderful Life). وعلى الغداء، تناولنا حساء الطماطم المُعَلَّب وما تبقى من مُقرمشات البريتزيل المُغطاة بالشوكولاتة خاصتي. ثم ذهب إلى الركض على الشاطئ وأنا بقيتُ في الداخل لمشاهدة فيلم «كازبلانكا» (Casablanca). وعندما عاد، كنتُ أمسح الدموع من زاويتَي عينيَّ بكمِّ التي-شيرت الذي أرتديه.

- هذا الفيلم يؤلم قلبي.

فقال كونراد وهو يخلع معطفه الصوفي: «لماذا؟ إن نهايته سعيدة. لقد كانت أفضل حالًا مع لاسلو».

نظرتُ إليه في دهشة: «هل شاهدتَ «كازبلانكا»؟».

- بالطبع. إنه من الكلاسيكيات.

- حسنًا، من الواضح أنك لم تكن منتبهًا إلى حدٍّ كبير في أثناء المشاهدة، لأن ريك وإِلسا كانا مُقَدَّريْن لبعضهما بعضًا.

استنشق كونراد نَفَسًا وقال: «قصة حبهما الصغيرة لا تعدُّ شيئًا مقارنةً بالعمل الذي كان يقوم به لاسلو من أجل المقاومة».

تمخطتُ: «بالنسبة لشاب صغير، فأنت متهكِّم للغاية».

شخصَ بعينيه لأعلى وقال: «وبالنسبة لفتاةٍ من المفترض أنها ناضجة، فأنتِ عاطفيةٌ للغاية».

توجَّه إلى الدرَج.

فصرختُ في ظهره قائلة: «وأنت إنسانٌ آلي! رجلٌ حديدي!».

سمعته يضحك وهو يغلق باب الحمَّام.

وفي صباح اليوم التالي، كان كونراد قد رحل. غادر تمامًا مثلما اعتقدتُ أنه سيغادر. بلا وداع، بلا أيِّ شيء. رحل وحسب، كالشبح. كونراد، شبحُ عيد الميلاد الماضي.

اتصل بي جيرمايا في أثناء طريق عودتي إلى المنزل من كازينز. سألني عما كنتُ أفعله، وأجبته بأنني أقود السيارة عائدةً إلى المنزل، غير أنني لم أخبره من أين كنتُ عائدة. كان قرارًا لحظيًّا. في تلك اللحظة لا أعرف لما كذبتُ. كنتُ أعرف فقط أنني لا أريده أن يعلم. قررتُ أن كونراد كان محقًّا في نهاية المطاف، كانت إِلسا مُقدرة للاسلو. تلك هي الطريقة التي كان من المفترض دائمًا أن ينتهيَ عليها الأمر. لم يكن ريك سوى جزءٍ ضئيل من ماضيها، جزء ستعتز به دائمًا. ولكن هذا كلُّ شيء، لأن الماضي يظلُّ هكذا فحسب. مجرد ماضٍ.

الفصل التاسع

بعد أن غادرتُ غرفة أنيكا، فتحتُ هاتفي المحمول. كانت هناك رسائل نصية ورسائل بريد إلكتروني من جيرمايا، ورسائلَ جديدة تستمر في الظهور. دخلتُ تحت أغطيتي وقرأتُها كلها، واحدة واحدة. ثم أعدتُ قراءتها، وعندما انتهيتُ، كتبتُ إليه الرد أخيرًا، وقلتُ: *امنحني بعض المساحة*. وكتبَ: *حسنًا*، وكانت تلك آخر رسالة تلقيتُها منه في ذلك اليوم. بقيتُ أتحقق من هاتفي لأرى ما إذا قد وصلني أيُّ شيء منه، وعندما لم أجد شيئًا، شعرتُ بخيبة أمل، على الرغم من أنني أعرف أنه لم يكن لديَّ الحق في ذلك. لقد أردته أن يتركني وشأني، وأردته أيضًا أن يستمر في محاولة إصلاح الأمور. ولكن إذا كنتُ لا أعرف ما أريد، فكيف له أن يعرف هو؟

بقيتُ في غرفتي، أحزم أمتعتي. كنتُ جائعة، وكانت لا تزال لديَّ وجبات متبقية في بطاقة الوجبات خاصتي، ولكني كنتُ أخشى مقابلة لاسي في الحرم الجامعي، أو الأسوأ، مقابلة جيرمايا. ومع ذلك، من الجيد أن يكون لديَّ شيء أفعله وأن أكون قادرةً على تشغيل الموسيقى بصوت عالٍ دون الحاجة إلى سماع تذمُّر جيليان، زميلتي في السكن.

عندما لم أستطع تحمُّل الجوع أكثر، اتصلتُ بتايلور وأخبرتُها بكل شيء. لقد صرختْ بصوت عالٍ لدرجة أنني اضطررتُ إلى إبعاد الهاتف عن أذني. جاءت تايلور مباشرةً ومعها بوريتو الفاصوليا السوداء وعصير الموز بالفراولة. ظلَّت تهز رأسها وتقول: «آه من عاهرة زيتا فاي تلك».

قلتُ بين قضمات البوريتو: «الأمر ليس مقتصرًا عليها وحدها، هو أيضًا متورط في ذلك».

- أوه، أعرف. فقط انتظري. سأخمش وجهه بأظفاري عندما أراه. سأتركه مصابًا بندوبٍ شديدة، لن تواعده أيُّ فتاة أخرى طوال حياته. (تحققَتْ من أظفارها المطلية كما لو أنها مدفعيات). عندما أذهب إلى الصالون غدًا، سأطلب من دانييل جعلها حادة.

انتشى قلبي. كانت ثمة أشياء لا يمكنك قولها إلا لصديق عرفك طوال حياتك. وعلى الفور، شعرتُ بتحسن طفيف.

- ليس عليكِ منحه ندوبًا.

- ولكنني أريد ذلك. (عقدَتْ خنصرها بخنصري). هل أنتِ على ما يرام؟

أومأتُ برأسي قائلة: «أفضل حالًا، الآن بعد أن أصبحتِ هنا».

وبينما كنتُ أرتشف آخر ما تبقى من عصيري، سألتني تايلور: «هل تعتقدين أنكِ ستعودين إليه؟».

فوجئتُ، وارتحتُ حقًّا لعدم سماعي لأي نبرة تنظير أو إصدار أحكامٍ في صوتها.

- ماذا كنتِ ستفعلين لو كنتِ مكاني؟

- القرار قراركِ.

- أعرف، ولكن... هل كنتِ لتعودي إليه؟

- في الظروف العادية، لا. إذا خانني فتى ما بينما نحن في فترة استراحة مؤقتة من علاقتنا، إذا نظر مجرد نظرة إلى فتاةٍ أخرى، فلا. سيكون

أمره قد انتهى. (ثم عضَّت على شفَّاطة كوبها وأردفت...) ولكن جيرمي ليس مجرد فتى ما. لديكما ماضٍ كبير معًا.

- وماذا بشأن كل ذلك الحديث عن تقطيع وجهه؟

- لا تُخطئِي الفِهم، أنا أكرهه حدَّ الموت الآن. لقد أفسد الأمور على نحوٍ كارثي. ولكنه لن يصبح أبدًا مجرد فتى، ليس بالنسبة لكِ. هذه حقيقة. (لم أقل شيئًا. لكنني عرفتُ أنها كانت على حق). لا يزال بإمكاني جمع زميلاتي في سكن الطالبات والذهاب لتقطيع إطارات سيارته الليلة. (وضعت تايلور يدها على كتفيَّ بقوة). همم؟ ما رأيكِ؟

كانت تحاول إضحاكي. وقد نجح الأمر. ضحكتُ لأول مرة -فيما شعرتُ أنه- منذ فترة طويلة.



الفصل العاشر

بعد شجارنا في الصيف الذي سبق سنة التخرُّج من المدرسة الثانوية، ظننتُ حقًّا أنني وتايلور سنتصالح بسرعة، كما نفعل دائمًا. اعتقدتُ أن الأمر سيصبح طيَّ النسيان خلال أسبوع، على أقصى تقدير. لأنه ما الذي كنا غاضبَتين منه أصلًا؟ بالتأكيد، قد تفوَّهت كلانا ببعض الأشياء الجارحة.. وصفتُها بالطفلة، ووصفتني بكوني صديقة مقربة بشِعة، ليس كأننا لم نتشاجر من قبل. فالأصدقاء المقربون يتشاجرون.

عندما عدتُ إلى المنزل من كازينز، وضعتُ حذاء تايلور، وملابسها في حقيبة، لتكون جاهزةً لأخذها إلى منزلها حالما تعطيني إشارة مفادها أننا انتهينا من غضبنا تجاه بعضنا بعضًا. لطالما كانت تايلور هي من تعطيني الإشارة، كانت هي من تبادر بالصُّلح. انتظرتُ، ولكن الإشارة لم تأتِ. ذهبتُ إلى مارسي عدة مرات، على أمل أن أقابلها مصادفةً فنضطر إلى مناقشة الأمور والتصالح. وفي تلك المرات التي كنتُ فيها في منزل مارسي، لم تأتِ قط. مرَّت أسابيع. كان الصيف على وشك الانتهاء. ظلَّ جيرمايا يكرر الشيء نفسه الذي كان يقوله طوال شهر يوليو ومعظم أغسطس.

- لا تقلقي، ستتصالحان. دائمًا ما تتصالحان.
- أنت لا تفهم الأمر، هذه ليست مثل كل المرات، إنها لا تطيق النظر إلى وجهي.
- كل هذا بسبب حفلة!

وهو ما أثار حنقي.

- ليس بسبب حفلة!
- أعلم، أعلم. انتظري لحظة يا بيلز. (سمعته يتحدث إلى شخصٍ ما، ثم عاد). لقد وصلَتْ أجنحة الدجاج الحارة خاصتنا أتريدين مني معاودة الاتصال بكِ بعد أن أتناول الطعام؟ يمكنني أن أُسرِع.
- لا، لا بأس.
- لا تغضبِي.
- لستُ غاضبة.

ولم أكن كذلك. ليس حقًّا. فكيف عساه أن يفهم ما الذي يحدث بيني وبين تايلور؟ إنه شاب. لم يفهم الأمر. لم يفهم مدى أهميته، وكيف أنه حقًّا شيءٌ جوهريٌّ، أن أبدأ أنا وتايلور عامنا الأخير في المدرسة الثانوية ونحن إلى جانب بعضنا بعضًا.

ثم لماذا لا أستطيع الاتصال بها فحسب إذن؟ كان خليطًا من الكبرياء وشيئًا آخر. لقد كنتُ أنا من أبتعد عنها طوال هذا الوقت، وكانت هي من تتمسك بي. لربما اعتقدتُ أنني قد تجاوزتها، لربما كان ذلك هو الأصلح.

سيتعين علينا قول وداعًا في الخريف المقبل، لعل الأمر سيسهُل على هذا النحو. ربما كانت علاقتنا اعتمادية، وربما كنتُ أنا مَن تعتمد عليها أكثر. والآن أنا بحاجة إلى الوقوف على قدميَّ. هذا ما قلتُه لنفسي.

وعندما أخبرتُ جيرمايا بذلك في الليلة التالية، قال: «اتصلي بها وحسب».

كنتُ متأكدة تمامًا من أنه قد سئِم سماعي أتحدث عن الأمر، فقلتُ: «ربما. سأفكر في ذلك».

في الأسبوع السابق لبدء الدراسة، في الأسبوع الذي كنتُ عادةً أعود فيه من كازينز، كنا دائمًا نذهب إلى التسوق معًا استعدادًا للعودة إلى الدراسة. دائمًا. كنا نفعل ذلك منذ أن كنا في المدرسة الابتدائية. دائمًا. لطالما كانت تعرف النوع المناسب من الجينز لشراءِه. وكنا نذهب إلى متجر «باث آند بودي وركس» (Bath & Body Works) ونستفيد من تلك العروض من نوع: «اشتري ثلاثة، واحصلي على واحدة مجانًا»، ثم نعود إلى المنزل ونقسِّم كل الأشياء حتى تحصل كلٌّ منَّا على مُرَطِّب، ومُعَطِّر، ومُقَشِّر للجسم. يكفونا حتى عيد الميلاد، على الأقل.

في ذلك العام، ذهبتُ مع أمي. أمي تكره التسوق. كنا ننتظر في الطابور من أجل دفع ثمن البنطال الجينز عندما دخلت تايلور ووالدتها إلى المتجر تحمل كلٌّ منهما حقيبة تسوق.

نادت أمي: «لوس!».

لوَّحَتِ السيدة جويل وأتت مباشرةً، وتبعتها تايلور مرتدية نظَّارتها الشمسية وسروالًا قصيرًا من الجينز الممزق. عانقتْ أمي تايلور، وعانقتني السيدة جويل وقالت: «لقد مرَّ وقت طويل يا عزيزتي».

وقالت لأمي: «لوريل، أتصدقين أن فتاتينا قد كبرتا الآن؟ يا إلهي، أتذكَّر عندما كانتا تصران على القيام بكل شيءٍ معًا. الاستحمام، وقصَّات الشعر، وكل شيء».

فقالت أمي، وهي تبتسم: «أتذكَّر».

التقت عينيَّ عينَيْ تايلور. واصلت أُمَّانا الحديث، ووقفنا نحن الاثنتان نتبادل النظرات فحسب، ولكن ليس تمامًا.

بعد دقيقة، أخرجت تايلور هاتفها الخلوي. لم أرغب في ترك تلك اللحظة تمر دون أن أقول لها شيئًا.

- هل ابتعتِ أيَّ شيء جيد؟

أومأتْ برأسها. وبما أنها كانت مرتدية نظَّارتها الشمسية، فكان من الصعب معرفة فيما كانت تفكر. غير أنني كنتُ أعرف تايلور جيدًا. كانت تحب

التباهي بصفقات شرائها. ترددت تايلور، ثم قالت: «حصلت على حذاء طويل رائع يصل إلى الركبة، بخصم خمسة وعشرين بالمئة. وفستانَين صيفيين يمكنني ارتداؤهما في الشتاء مع الجوارب الطويلة والسترات الصوفية».

أومأتُ. ثم جاء دورنا للدفع، وقلتُ: «حسنًا، أراكِ في المدرسة».

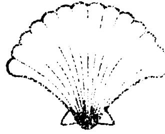
فقالت وهي تدير ظهرها: «أراكِ هناك».

ومن دون تفكير، أعطيتُ أمي البنطال الجينز وأوقفت تايلور. لكانت هذه هي المرة الأخيرة التي نتحدث فيها معًا لو لم أقل شيئًا.

قلتُ: «انتظري. أترغبين في القدوم إلى منزلي الليلة؟ لقد اشتريتُ تنورة جديدة، لكني لا أعرف ما إذا كان عليَّ وضع القمصان بداخلها عند ارتدائها أم ماذا...».

زمَّت شفتيها للحظة ثم قالت: «حسنٌ. اتصلي بي».

جاءت تايلور إلى منزلي في تلك الليلة. أرتني كيف يمكنني ارتداء التنورة.. أي حذاء يناسبها وأي بلوزات. لم تعد الأمور إلى طبيعتها بيننا، ليس على الفور، وربما لن تعود أبدًا. كنا نكبر. وكنا لا نزال نكتشف كيف نظل في حياة بعضنا بعضًا من دون أن تمثِّل إحدانا كل شيء بالنسبة إلى الأخرى. الشيء المثير للسخرية حقًّا هو أننا انتهى بنا المطاف في الجامعة نفسها. من بين جميع الجامعات في أنحاء العالم، انتهى بنا المطاف في الجامعة نفسها. إن الأمر مُقَدَّرٌ. كان مُقَدَّرًا لنا أن نكون صديقتين. كان مُقَدَّرًا لنا أن نكون في حياة بعضنا بعضًا، وأتعلمون؟ لقد كنتُ مُرَحِّبة بالأمر. لم نكن نقضي طوال الوقت معًا كما اعتدنا في السابق.. كانت لديها صديقاتها من سكن الطالبات الخاص بها، وكانت لديَّ صديقاتي من قاعة محاضراتي. ولكن أيضًا لدينا بعضنا بعضًا.



الفصل الحادي عشر

في اليوم التالي، لم أستطع الصمود لفترةٍ أطول. اتصلتُ بجيرمايا. أخبرته بأنني بحاجة إلى رؤيته، وبأن عليه المجيء، وقد ارتجف صوتي عند قول ذلك. وعبر الهاتف، كان بإمكاني سماع مدى امتنانه، ومدى حرصه على إصلاح الأمر. حاولتُ تبرير اتصالي به بهذه السرعة بقولي بأنني بحاجة إلى رؤيته وجهًا لوجه لأكون قادرة على المضي قدمًا. والحقيقة هي.. أنني اشتقتُ إليه. لربما كنتُ أرغب، مثله تمامًا، في إيجاد طريقة لنسيان ما حدث.

ولكن بقدر ما كنتُ أفتقده، عندما فتحتُ باب منزلي ورأيتُ وجهه مرةً أخرى، عاودني الألم مندفعًا، بحدة وسرعة. استطاع جيرمايا رؤية ذلك أيضًا. لقد بدا متفائلًا في البداية، ثم ما لبث أن بدا مُحطَّمًا. عندما حاول أن يجذبني إليه، أردتُ أن أعانقه، لكنني لم أستطع السماح لنفسي بذلك. هززتُ رأسي بالرفض ودفعته بعيدًا عني.

جلسنا على سريري، ظهرانا مستندان إلى الحائط، وأرجلنا تتدلى من حافة السرير.

قلتُ: «كيف عساي أن أعرف أنك لن تفعل ذلك مرةً أخرى؟ كيف يمكنني الوثوق بك؟».

نهض. وللحظة ظننتُ أنه سيغادر، وكاد قلبي أن يتوقف. غير أنه ما لبث أن ركع على ركبةٍ واحدة، أمامي مباشرةً. وبهدوء شديد، قال: «يمكنكِ أن تتزوجيني».

في البداية لم أكن متأكدة من أنني قد سمعته بشكل صحيح. ولكنه أعاد قولها مرةً أخرى بعد ذلك، وبصوتٍ أعلى هذه المرة.

- تزوجيني. (مدَّ يده إلى جيب بِنطاله الجينز وأخرج خاتمًا. خاتمًا فِضيًّا في منتصفه فصٌّ صغير من الألماس). سيكون هذا مجرد بداية، حتى أتمكن من دفع ثمن خاتمٍ بنفسي، من مالي الخاص، وليس من مال أبي.

لم أستطع الشعور بجسدي. كان لا يزال يتحدث، وقد عجزتُ حتى عن السماع. كل ما استطعتُ فعله هو التحديق إلى الخاتم الذي في يده.

- أنا أحبكِ. أحبكِ جدًّا. لقد كان اليومان الماضيان بمنزلة جحيم بالنسبة لي من دونك. (أخذتُ نَفَسًا). أنا آسف جدًّا لجرحكِ يا بيلز. ما فعلته.. لا يُغتفر. أعلم أنني قد آذيتُنا، وأنني سأضطر إلى العمل بجدٍّ لأجعلكِ تثقين بي مرةً أخرى. سأفعل كل ما يتطلبه الأمر إذا سمحتِ لي. هلَّا.. تسمحين لي بالمحاولة؟

همستُ قائلة: «لا أعرف».

ابتلع ريقه، وتمايلت تفاحة آدم خاصته لأعلى وأسفل: «سأحاول جاهدًا، أقسم لكِ. سنحصل على شقة خارج الحرم الجامعي، ويمكننا تأثيثها وفرشها على نحوٍ جيد. سأتولى أمر غسل الملابس. سأتعلم كيف أطهو أصنافًا أخرى غير الرامن وحبوب الإفطار».

قلتُ وقد أشحتُ بنظري بعيدًا عنه، لأن تلك الصورة التي كان يخلقها في ذهني.. كانت هائلة: «إن وضع حبوب الإفطار في وعاء لا يعد طهيًا في الحقيقة».

كنتُ أستطيع تخيُّل الأمر كذلك. كم سيكون الأمر لطيفًا. أن نكون كلانا وحسب. أن نبدأ حياتنا معًا، في مكاننا الخاص.

أمسك جيرمايا بيديَّ، فانتزعتهما منه. قال: «ألا ترين يا بيلي؟ الأمر يدور حول قصتنا طوال ذلك الوقت، أنا وأنتِ. ولا أحد آخر».

أغمضتُ عينيَّ، محاوِلة تصفية ذهني. وعندما فتحتهما قلتُ: «إنكَ فقط تريد محو ما فعلته بزواجكَ مني».

- كلَّا. الأمر ليس هكذا. ما حدث في تلك الليلة (تردَّدَ..) جعلني أدرك شيئًا. لا أريد العيش من دونكِ. أبدًا. أنتِ الفتاة الوحيدة المناسبة لي. لطالما عرفتُ ذلك. من بين هذا العالم أجمع، لن أحب فتاةً أخرى أبدًا بقدر ما أحبكِ.

أخذ يديَّ مجددًا، وهذه المرة لم أنتزعهما.

- هل ما زلتِ تحبينني؟

ابتعلتُ ريقي.

- أجل.

- إذن أرجوكِ، تزوجيني.

- لا يمكنك أن تجرحني بهذه الطريقة مرةً أخرى.

كان نصف تحذير، ونصف تَوَسُّل.

- لن أفعل.

وكنتُ أعلم أنه يعني ما يقول.

نظر إليَّ وعيناه تشعَّان إصرارًا وصدقًا وجدية، كنتُ أعرف وجهه جيدًا، ربما أكثر من أيِّ شخصٍ آخر الآن. أحفظ كل خط، وكل انحناء. النتوء الصغير على أنفه منذ كسره في أثناء ممارسته لركوب الأمواج، والندبة التي لا تكاد تُرى على جبينه منذ أن كان هو وكونراد يتصارعان في حُجرة التسلية والألعاب وأسقطا نبتة. لقد كنتُ هناك في تلك اللحظات. ربما كنتُ أحفظ وجهه حتى أكثر من وجهي أنا.. من الساعات التي قضيتها أحدق إليه في أثناء

نومه، وأمرر إصبعي على طول عظام خدِّه. لربما قد فعل الأشياء نفسها معي. لم أرغب في رؤية أي علامةٍ على وجهه لا أعلم سببها. أردتُ أن أكون معه. وجهه هو الوجه الذي أحببت.

ودون كلمات، نزعتُ يدي اليسرى من يده، وتراخى وجه جيرمايا. ثم مددتُ له يدي، فبرقت عيناه. الفرحة التي شعرتُ بها تلك اللحظة لم أستطع حتى وصفها بالكلمات. ارتجفت يده وهو يضع الخاتم في إصبعي.

- إيزابيل كونكلين، هل تقبلين الزواج بي؟

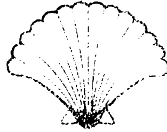
سأل بنبرة جدِّية لم يسبق لي أن سمعتها منه من قبل.

- أجل، سأتزوجك.

طوَّقني بذراعيه، وتعانقنا، وقد تشبث كلٌّ منَّا بالآخر وكأننا الملاذ الآمن لبعضنا بعضًا. كل ما كنتُ أستطيع التفكير فيه هو أننا إذا ما تجاوزنا هذه العاصفة، فسننجح. لقد ارتكب أخطاءً، وأنا كذلك. لكننا أحببنا بعضنا بعضًا، وهذا هو المهم.



سهرنا طوال الليل نخطِّط.. أين سنعيش، وكيف سنخبر والدينا. شعرتُ أن الأيام القليلة الماضية كانت وكأنها من حياةٍ أخرى قديمة. في ذلك اليوم، ومن دون أي كلمة أخرى حول الأمر، قررنا أن نترك الماضي في الماضي. المستقبل هو وِجهَتُنا الآن.



الفصل الثاني عشر

في تلك الليلة حلمتُ بكونراد. كنتُ في نفس عمري الآن، لكنه كان أصغر سنًّا، ربما في العاشرة أو الحادية عشرة. أعتقد أنه كان مرتديًا سالوبيت. لعبنا خارج منزلي حتى حلَّ الظلام، فقط نركض حول الفِناء.

قلتُ: «ستتساءل سوزانا أين أنت. عليك العودة إلى منزلك».

- لا أستطيع. لا أعرف كيف أعود. هلَّا ساعدتني؟

ثم غمرني الحزن، لأنني أيضًا لا أعرف كيف. لم نعد في منزلي فجأة، وصار الظلام حالكًا. كنا في قلب غابة. كنا تائهَين.

عندما استيقظتُ، كنتُ أبكي وكان جيرمايا نائمًا بجانبي. نهضتُ جالسة في السرير. كان الظلام مخيِّمًا، والضوء الوحيد في الغرفة كان ضوء ساعة منبهي. كانت تشير إلى الساعة 4:57. فاستلقيتُ مرة أخرى.

فركتُ عينيَّ، ثم استنشقتُ رائحة جيرمايا، وتأملتُ حلاوة قسمات وجهه، وكيف كان يعلو صدره ويهبط وهو يتنفس. كان هناك. كان حقيقةً متجسدةً

بجانبي، ملتصقًا بي بالطريقة التي تضطر إليها حين تنام في سرير غرفة السكن الجامعي. بِتنا بهذا القرب الآن.

في الصباح، حين استيقظتُ، لم أتذكر الأمر على الفور. كان لا يزال الحلم هناك، في الجزء الخلفي من رأسي، في مكانٍ لا أستطيع الوصول إليه. كان يتلاشى سريعًا، بل يكاد يكون قد تلاشى كله، ولكن ليس تمامًا، ليس بعد. كان عليَّ أن أفكر تفكيرًا مكثَّفًا وسريعًا لتجميع شتاته معًا، للتشبُّث به.

بدأتُ في النهوض جالسة، غير أن جيرمايا جذبني إليه مجددًا وقال: «خمس دقائق أخرى».

كان هو مَن يحويني، وكنتُ أنا الشخص ضئيل الحجم المدسوس في مكانه الخاص بين ذراعيه. أغمضتُ عينيَّ، محاوِلة تذكر الحلم قبل أن يختفي. مثل تلك الثواني الأخيرة قبل غروب الشمس.. تظل تبتعد، وتبتعد، حتى تختفي. *تذكري، تذكري، وإلا سيفلتُ الحلم إلى الأبد.*

بدأ جيرمايا في قول شيءٍ ما عن الفطور، فكتمتُ فمه وقلتُ: «صه. ثانية واحدة».

ومن ثم تذكرتُ الحلم. تذكرتُ كونراد، وكم بدا مظهره مضحكًا بالسالوبيت الجينز الخاص به. ونحن الاثنان نلعب في الخارج لساعات. تنهدتُ. وشعرتُ بارتياح شديد.

سألتُ جيرمايا قائلة: «ما الذي كنت تقوله؟».

قال وهو يطبع قبلةً على كفِّي: «الفطور».

فقلتُ وأنا أضم رأسي إلى صدره في استكانة: «خمس دقائق أخرى».

الفصل الثالث عشر

أردتُ أن أخبر الجميع وجهًا لوجه، في آنٍ واحد. على نحو غريب، سيكون التوقيت مثاليًّا. ستجتمع عائلتانا معًا في كازينز في غضون أسبوع. لقد قام ملجأ النساء المعنَّفات الذي قد تطوعتْ فيه سوزانا بزراعة حديقةٍ تكريمًا لها، وكان من المُقرر إقامة احتفال صغير بهذه المناسبة يوم السبت المقبل. كنا ذاهبين جميعًا لحضور الحفل.. أنا، وجير، وأمي، وأبيه، وستيفن. وكونراد. لم أرَ كونراد منذ عيد الميلاد. كان من المُفترض أن يعود بالطائرة لحضور حفل عيد ميلاد أمي الخمسين، ولكنه تملَّص في اللحظة الأخيرة.

قال جيرمايا وهو يهز رأسه: «كونراد بطبعه المعتاد».

نظر إليَّ منتظِرًا أن أوافقه الرأي. لم أقل أي شيء.

كانت تجمع أمي وكونراد علاقة مميزة، لطالما كانا كذلك. كانا يفهمان بعضهما بعضًا على مستوى لم أستوعبه. وبعد وفاة سوزانا، ازداد تقاربهما، ربما لأنهما حزنا عليها بنفس الطريقة، وهما غارقان في الوحدة. كانت أمي وكونراد يتحدثان عبر الهاتف كثيرًا، عن شيءٍ ما لم أعرفه. لذا عندما لم يأتِ، كان بإمكاني رؤية مدى خيبة أملها، رغم أنها لم تُفصح عن ذلك. أردتُ أن

أقول لها: أحبيه كما تشائين، ولكن لا تتوقعِي أي شيءٍ في المقابل. ليس كونراد بشخصٍ يمكن الاعتماد عليه.

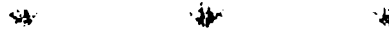
ومع ذلك، فقد أرسل باقةً جميلة من زهور الزينيا الحمراء.

قالت في ابتهاج: «المفضلة لديَّ».

ماذا سيقول عندما نخبره بخبرنا الجديد؟ لا أستطيع التخمين. عندما يتعلق الأمر بكونراد، لا أكون متأكدة من أيِّ شيءٍ قط.

قلقتُ أيضًا بشأن ما ستقوله أمي. لم يكن جيرمايا قلقًا، ولكنه نادرًا ما كان يقلق أي حال.

قال: «حالما يعرفون أننا جادَّين، سيتعين عليهم الموافقة، لأنهم لن يتمكنوا من منعنا. نحن شخصان بالغان الآن».



كنا نسير عائدَين من قاعة الطعام. أفلت جيرمايا يدي، وقفز فوق أحد المقاعد، وألقى برأسه إلى الخلف، وصاح قائلًا: «مرحبًا جميعًا! بيلي كونكلين ستتزوجني!».

التفت عددٌ قليل من الناس ولكنهم واصلوا السير.

قلتُ ضاحكة وأنا أُداري فمي بالسويت-شيرت الذي أرتديه: «انزل من هناك».

قفز نزولًا، ودار مرةً حول المقعد راكضًا وقد رفع ذراعيه ومدَّهما إلى جانبيه كالطائرة. اقترب مني وهو يأزُّ مقلِّدًا صوت الطائرة ورفعني من أسفل إبطيَّ.

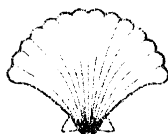
قال مُشجِّعًا: «هيَّا، طيري».

أشحت بنظري وحركتُ ذراعيَّ لأعلى ولأسفل.

- سعيد؟

قال وهو يعيدني إلى الأرض: «أجل».

وقد كنتُ سعيدة كذلك. كان هذا هو جير الذي أعرفه. هذا هو فتى منزل الشاطئ. قرار خطوبتنا، ووعدنا بأن نكون لبعضنا بعضًا إلى الأبد، جعلاني أشعر بأنه حتى بعد كل التغيرات التي طرأت على مدى السنواتِ القليلة الماضية، فإنه لا يزال هو الفتى نفسه، ولا أزال أنا الفتاة نفسها. والآن لن يستطيع أحدٌ أن يسلبنا هذا، ليس بعد الآن.



الفصل الرابع عشر

كنتُ أعلم أنني عليَّ التحدث إلى تايلور وأنيكا قبل أن يأتي أبي ويأخذني في الصباح. فكرتُ جليًّا في إخبارهما معًا وحسب، ولكنني أعرف أن هذا من شأنه أن يجرح مشاعر تايلور، لو أخبرتهما في الآن نفسه، تايلور، صديقتي الأقدم، وأنيكا عرفتها منذ أقل من عام. كان عليَّ إخبار تايلور أولًا. أنا مدينة لها بالكثير. كنتُ أعلم أنها ستعتقد بأننا مجنونان. العودة إلى بعضنا بعضًا شيء، والزواج شيءٌ آخر تمامًا. فعلى عكس معظم رفيقاتها في السكن الجامعي، لم ترغب تايلور في الزواج حتى تبلغ الثامنة والعشرين على الأقل.

اتصلتُ بها وطلبتُ منها مقابلتي في «دريب هاوس» (Drip House)، المقهى الذي يذاكر فيه الجميع. قلتُ لها أن لديَّ خبرًا. حاولَتْ أن تستشف الأمر منِّي عبر الهاتف، ولكنني قاومتُ، قائلة: «إنه خبرٌ من النوع الذي يجب أن أخبركِ إياه وجهًا لوجه».

عندما وصلتُ وجدتُ تايلور جالسةً بالفعل ومعها قهوتها المثلجة منزوعة الدسم. كانت ترتدي نظارتها «الراي-بان» (Ray-Ban)، وكانت تكتب رسالة على هاتفها، وقد تركته فور ما رأتني.

جلستُ مقابلها، وكنتُ حريصة على إبقاء يديَّ في حِجري.

قالت وهي تخلع نظارتها الشمسية: «تبدين أفضل بكثيرٍ اليوم».

- شكرًا يا تاي. أشعر بتحسنٍ كبير.

- ما الأمر إذن؟ (رمقتني بنظرةٍ فاحصة). هل عدتما إلى بعضكما بعضًا؟ أم انفصلتما نهائيًّا؟

رفعتُ يدي اليسرى ولوَّحتُ بها في شيء من التباهي والابتهاج. نظرَتْ إلى يدي، في حيرة. ثم ركزت انتباهها على إصبعي التي تحمل الخاتم.

شُدهت تايلور: «لا بد أنكِ تمزحين معي. أنتِ مخطوبة؟!».

صرخَت. التفت بضعة أشخاص ونظروا إلينا، في انزعاج. تقلصتُ في مقعدي قليلًا.

قالت وهي تمسك بيدي: «يا إلهي! دعيني أرَ هذا الشيء!».

أستطيع القول إن الخاتم كان صغيرًا جدًّا في رأيها، ولكنني لم أبالِ.

قالت وهي لا تزال تحدق إلى الخاتم: «يا إلهي!».

- أعلم...

- ولكن يا بيلي.. لقد خانكِ.

- لقد بدأنا بدايةً جديدة. أنا أحبه حقًّا يا تاي.

فقالت ببطء: «نعم، ولكن التوقيت مثيرٌ للريبة نوعًا ما... أعني، الأمر مفاجئ حقًّا».

- إنه كذلك وليس كذلك. لقد قلتِها بنفسكِ. هذا جير مَن نتحدث عنه. إنه حبُّ حياتي.

ظلَّتْ تحدِّق إليَّ فحسب، وقد اتخذ فمها شكلًا دائريًّا. قالت متلعثمة: «ولكن.. ولكن، ألا يمكنكِ الانتظار على الأقل حتى تنهي دراستكِ الجامعية؟».

- لا نرى سببًا للانتظار إذا كنا سنتزوج على أي حال. (أخذتُ رشفة من مشروب تايلور). سنحصل على شقة. يمكنكِ مساعدتي في اختيار الستائر وما شابه من الأغراض الأخرى.

- أجل، أعتقد ذلك. ولكن انتظري، ماذا عن والدتك؟ هل فقدت لوريل صوابها؟

- سنخبر أمي وأبيه الأسبوع المُقبل في كازينز. وسنخبر أبي بعد ذلك.

ابتهجَتْ: «مهلًا، لا أحد يعلم حتى الآن؟ أنا فقط؟».

أومأتُ، وأمكنني القول إن تايلور كانت مسرورة. فهي تحب أن يشاركها الناس الأسرار... إنه أحدُ أحب الأشياء إليها في الحياة.

قالت وهي تستعيد مشروبها: «سيكون الأمر هائلًا. أتخيل على سبيل المثال.. وجود جثث، ودماء في الشوارع. وبقولي دماء، فأنا أعني دماءكِ».

- رباه، شكرًا جزيلًا يا تاي.

- أنا أقول الحقيقة فحسب. إن لوريل نسوِيَّة أصيلة ومُتعصبة. إنها مثل «جلوريا ستاينم» اللعينة. ولن يعجبها ذلك البتة. ستذيقه الويل حقًّا. وكذلك ستفعل معكِ.

- أمي تحب جيرمايا. لطالما تحدثت هي وسوزانا عن زواجي من أحد ابنيها. قد يكون الأمر مثل.. حلمٍ يتحقق بالنسبة لها. في الواقع، أراهن على أنه سيكون كذلك.

كنتُ أعلم أن هذا لا يمتُّ للحقيقة بصلة حتى وأنا أقوله. بدت تايلور غير مقتنعة أيضًا.

- ربما... إذن، متى سيحدث هذا؟

- خلال شهر أغسطس.

- هذا قريب جدًّا، قريب حقًّا. يكاد يكون لا يمنحنا أيَّ وقت للتخطيط. (رمقتني بنظرةٍ خاطفة وهي تعضُّ على شفتَيها..) ماذا عن وصيفات العروس؟ هل سيكون لديكِ وصيفة شرف؟

- لا أعلم... نريد للحفل أن يكون صغيرًا حقًّا. سنقيمه في منزل شاطئ كازينز. بلا أي تكلُّف، أي أنه.. سيكون بسيطًا فعلًا، ليس بالأمر الجلل.

- ليس بالأمر الجلل؟ ستتزوجين وتريدين للأمر أن يكون بسيطًا وليس بأمرٍ جلل؟

- لم أقصد الأمر على هذا النحو. أنا فقط لا أكترث بكل تلك الأشياء. كل ما أريده هو أن أكون مع جيرمايا.

- كل تلك الأشياء؟ أيُّ أشياء؟

- مثل وصيفات العروس وكعكة الزفاف، والأشياء من هذا القبيل.

- كاذبة! (أشارت بإصبعها في وجهي). لقد أردتِ خمس وصيفات شرف وكعكة جزر من أربع طبقات. وكنتِ ترغبين في تمثالٍ جليدي منحوت على شكل قلب بشري ومحفور عليه الحرف الأول من اسميكما. وهو.. بالمناسبة.. شيءٌ مقزز.

- تاي!

رفعت يدها لإسكاتي: «وأردتِ فرقة موسيقية وكعك السلطعون وبالونات تتساقط من السقف بعد رقصتك الأولى. ما هي تلك الأغنية التي أردتِ الرقص عليها؟»

فقلتُ تلقائيًّا: ««ابقَ» لـ(Stay)، «موريس ويليامز» وفرقة «ذا زودياكس» (Maurice Williams and the Zodiacs)، ولكن يا تايلور.. على الأرجح أنني كنتُ في العاشرة من عمري تقريبًا عندما قلتُ تلك الأشياء».

ومع ذلك فقد تأثرتُ حقًّا لكونها قد تذكَّرت تلك الأشياء. ولكني أعتقد أنني أتذكر كل شيءٍ أرادته تايلور أيضًا. الحمَام، وقفازات الدانتيل الصغيرة، والحذاء ذا اللون الوردي الزاهي والكعب العالي المدبَّب الطرف.

قالت تايلور وقد برز ذقنها إلى الخارج وهي تتحدث بطريقة تايلور العنيدة خاصتها: «عليكِ الحصول على كل ما أردتِه يا بيلي. ستتزوجين مرةً واحدة فقط».

- أعلم، ولكن ليس لدينا المال. وعلى أي حال، لم أعد أكترث بتلك الأشياء بعد الآن. تلك الأشياء الطفولية.

ولكن ربما لم يكن عليَّ فعل كل الأشياء، ربما بعض منها فقط. ربما لا يزال بإمكاني الحصول على حفل زفافٍ حقيقي، ولكن بسيط. ربما سيكون من الجميل أن أرتدي فستان زفاف وأن أؤدي رقصة الأب وابنته مع أبي.

- أعتقد أن والد جيرمايا شخصٌ ثري. ألا يمكنه تحمُّل التكاليف ومنحكما حفل زفاف حقيقي؟

- من المستحيل أن تسمح له أمي بدفع ثمن ذلك. وعلاوة على ذلك، كما أخبرتكِ، نحن لا نرغب في أي شيءٍ فاخر.

فرضخَتْ قائلة: «حسنًا. سننسى أمر التمثال الجليدي. لكن البالونات رخيصة الثمن، لا يزال يمكننا الحصول على البالونات. وكعكة الجزر. أعتقد أننا يمكننا صُنع كعكة عادية من طبقتين. ولا يهمني ما تقولينه، سترتدين فستان زفاف».

وافقتُ قائلة وأنا آخذ رشفةً من مشروبها: «يبدو هذا رائعًا».

لقد كان شعورًا رائعًا حقًّا أن أحصل على مُباركة تايلور. كان الأمر أشبه بالحصول على إذنٍ بالشعور بالإثارة والحماس، وهو شيءٌ لم أدرك أنني بحاجة إليه أو أريده.

- وسيظل لديكِ وصيفات شرف. أو على الأقل وصيفة شرف واحدة.

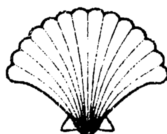
- أريدكِ وحدكِ.

بدت السعادة على تايلور: «وماذا عن أنيكا؟ ألا تريدين لأنيكا أن تكون وصيفة شرف؟».

فقلتُ: «امم، ربما.. (وعندما بدت خيبة الأمل على وجهها، قليلًا فحسب، أضفتُ..) ولكني أريدكِ أنتِ أن تكوني وصيفتي، حسنٌ؟».

ملأت الدموع عينيها: «يُشَرِّفني ذلك كثيرًا».

تايلور جويل، أقدم صديقةٍ لي في هذا العالم. لقد مررنا بالكثير معًا، وأدركتُ الآن أنها نعمةٌ خالصة أننا تمكنَّا من التغلُّب على كل شيء معًا.



الفصل الخامس عشر

أنيكا كانت التالية، وكنتُ أخشى من ذلك. فأنا أحترم رأيها، ولا أرغب في أن تنظر إليَّ نظرة استخفاف. واحتمالية أن تكون وصيفة شرف لن يكون لديه أي تأثير عليها. ليس هذا شيئًا ستهتم به على أي حال.

كنا قد قررنا أن نسكن معًا في ذلك الخريف، في جناح مع اثنتين من صديقاتنا الأخريات، شاي ولين، في السكن الجامعي الجديد على الجانب الآخر من الحرم الجامعي. كنتُ أنا وأنيكا سنذهب لشراء أطباق وأكواب لطيفة، وكانت ستُحضِر ثلَّاجتها، وأنا سأُحضِر تلفازي. كان كل شيء مُجهَّزًا.

كنا نتسكع في غرفتها في وقتٍ لاحق من تلك الليلة. كنتُ أحزم كتبها داخل صندوق كبير، وكانت هي تطوي ملصقاتها.

كان الراديو مُشغلًا، ومحطة الحرم الجامعي خاصتنا تعزف أغنية «قوة الوداع» (The Power of Good-Bye) لـ«مادونا» (Madonna). لربما كانت إشارة.

جلستُ على الأرض، وقد وضعتُ الكتاب الأخير بعيدًا، محاوِلة استجماع شجاعتي لإخبارها. وبتوتر، لعقتُ شفتيَّ: «آني، لديَّ شيء بحاجة إلى التحدث معكِ بشأنه».

كانت تكافح في محاولة انتزاع ملصق الفيلم الموجود على ظهر بابها: «ما الأمر؟».

ليست ثمة قوة أعظم من قوة الوداع.

ابتلعتُ ريقي: «أشعر بالسوء حقًّا لكوني قد اضطررتُ إلى فعل هذا بكِ».

استدارت أنيكا: «فِعل ماذا؟».

- لن أكون قادرة على مرافقتكِ في الغرفة في الفصل الدراسي القادم.

انعقد حاجباها: «ماذا؟ لماذا؟ هل حدث شيءٌ ما؟».

- لقد طلب منِّي جيرمايا الزواج منه.

خلا وجهها من أيِّ تعبير لثوانٍ، ثم بدت عليها الدهشة: «إيزابيل كونكلين! توقفي عن قول هذا الهراء».

ببطء، رفعتُ يدي.

صاحت أنيكا قائلة: «واو! هذا جنون».

- أعرف.

فتحَتْ فمها لتنطق بشيءٍ ما، ثم ما لبثتْ أن أغلقته. ثم قالت: «هل أنتِ مدركة لما تفعلينه؟».

- أجل. أظنُّ ذلك. أنا حقًّا، حقًّا أحبه.

- أين ستعيشان يا رفيقَيَّ؟

- في شقةٍ خارج الحرم الجامعي. (ترددتُ..) إنني أشعر بالسوء لخذلانك فحسب. هل أنتِ غاضبة؟

فقالت وهي تهز رأسها: «لستُ غاضبة. أعني، أجل، من المؤسف أننا لن نعيش معًا، ولكنني سأجد حلًّا ما. يمكنني أن أسأل ترينا، زميلتي في فريق

الرقص. أو براندي ابنة عمي، قد تنتقل إلى العيش هنا. يمكنها أن تكون رابعتنا».

إذن لم يكن بالأمر الكبير في نهاية المطاف، كَوني لن أعيش معهن. الحياة تستمر. بي *أو من دوني، ستستمر الحياة*، جالت الفكرة بخاطري. شعرتُ بالحزن قليلًا، وأنا أتخيل كيف سيكون الحال لو كنتُ لا أزال رابعتهن. شاي بارعة حقًّا في تصفيف الشعر، وتحب لين خَبز الكعكات الصغيرة. الأمر سيكون ممتعًا.

جلست أنيكا على سريرها.

- سأكون بخير. إنني فقط... متفاجئة.

- وأنا أيضًا.

وعندما لم تقل أيَّ شيء آخر، سألتُها: «أتعتقدين أنني أرتكب خطأً فادحًا؟».

فسألت بطريقتها التفَكُّريَّة: «وهل يهم ما أعتقده؟».

- أجل.

- ليس من حقي أن أحكم يا إيز.

لكنكِ صديقتي. إنني أحترم رأيكِ.. لا أريدكِ أن تفكري بي بشكلٍ سيئ.

- أنتِ تهتمين كثيرًا بما يعتقده الآخرون.

قالت ذلك بيقين، ولكن برأفة أيضًا.

لو قال ذلك أيُّ شخصٍ آخر.. أمي، تايلور، أو حتى جير.. لانزعجتُ. ولكن ليس أنيكا. معها، لم أكنٍ أمانع حقًّا. بطريقة ما، كان من الرائع كونها تراني بكل وضوح وما تزال تحبني. الصداقات في الجامعة مختلفة على هذا النحو. إنك تقضي كل هذا الوقت مع أناس، أحيانًا على مدار كل يوم، وكل وجبة. لم يكن ثمة مجال لإخفاء كَينونتك أمام أصدقائك. لا يسعك إلا أن تكون عاريًا تمامًا وحسب. وخاصةً أمام شخص مثل أنيكا، شخصيةٌ صريحة ومنفتحة وذات نظرة ثاقبة، وتقول رأيها أيًّا ما كان. لم يكن ثمة شيء يفوتها.

قالت أنيكا: «على الأقل لن تضطري أبدًا إلى انتعال أحذية الاستحمام مرة أخرى».

فأضفتُ: «أو الاضطرار إلى سحب شعر أشخاص آخرين من البالوعة. إن شعر جيرمايا أقصر بكثير من أن يعلَقَ».

- ولن تضطرِّي أبدًا إلى إخفاء طعامكِ.

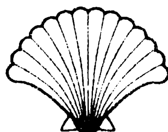
لطالما كانت جوي، رفيقة حجرة أنيكا، تسرق طعامها، وكانت أنيكا تُخفي ألواح الجرانولا في درج ملابسها الداخلية.

قلتُ وأنا ألفُّ خاتمي حول إصبعي: «في الواقع، قد أضطر إلى القيام بذلك. إن جير يأكل الكثير».

بقيتُ لفترة أطول قليلًا، أساعدها في إنزال بقية ملصقاتها، وتجميع كرات الغبار من تحت سريرها باستخدام جورب قديم استخدمته كقفاز. تحدثنا عن فترة التدريب في المجلة التي قد رتَّبَتْ لها أنيكا خلال الصيف، وعن احتمالية زيارتي لها في نيويورك لأقضي معها إحدى عطلات نهاية الأسبوع.

وبعد ذلك، سرتُ في الردهة عائدةً إلى غرفتي. ولأول مرة في العام بأكمله، كانت هادئةً حقًّا.. لا أصوات لمجففات الشعر، ولا أحد يجلس في الردهة يتحدث عبر الهاتف، ولا أحد يعدُّ الفشار في المايكروويِف في الساحة العامة. لقد عاد الكثير من الناس بالفعل إلى منازلهم لقضاء الصيف. وغدًا سأكون قد رحلتُ أنا أيضًا.

الحياة الجامعية التي عرفتُها كانت على وشك التغيير.



الفصل السادس عشر

لم أخطط لبدء مناداتي بإيزابيل. لقد حدث الأمر وحسب. طوال حياتي، كان الجميع يدعونني بيلي ولم يكن لي رأيٌ حقًّا في هذا الأمر. ولأول مرة منذ فترة طويلة، أصبح لديَّ رأي، ولكنني لم أستوعب الأمر حتى صرتُ أنا، وجيرمايا، وأمي، وأبي واقفين أمام باب غرفتي في السكن الجامعي في يوم انتقالي كطالبةٍ جديدة. كان والدي وجيرمايا يحملان التلفاز، وكانت أمي تحمل حقيبة السفر خاصتي، أما أنا فكنتُ أحمل سلة غسيل تحوي جميع مُستلزمات النظافة الخاصة بي وأُطر الصور. كان العرق يتصبب على ظهر أبي، وكانت ثمة ثلاث بُقع رطبة على قميصه الكستنائي. كان جيرمايا يتصبب عرقًا هو الآخر، إذ كان يحاول إبهار أبي طوال الصباح بالإصرار على تولي أمر الأغراض الأثقل وزنًا، وقد أشعر هذا أبي بالغرابة، أستطيع قول ذلك.

قال أبي وهو يتنفس بصعوبة: «أسرعي يا بيلي».

قالت أمي: «إنها إيزابيل الآن».

أتذكر الطريقة التي أخذتُ أتحسس بها مفتاحي وكيف رفعتُ رأسي ونظرتُ إلى الباب ورأيته. **إيزابيل**، كان مكتوبًا بأحرف من أحجار الراين

الملصقة بالغراء. كانت لافتتا الباب اللتان تحملان اسمي واسم شريكتي في الغرفة مصنوعتين من عُلبتي أقراص مدمجة فارغتين. كانت لافتة شريكتِي في الغرفة، جيليان كابيل، عبارة عن قرص مدمج لـ«ماريا كاري» (Mariah Carey)، أما خاصتي فكانت لـ«برنس» (Prince). كانت أغراض جيليان فُرغت من حقيبتها بالفعل، على الجانب الأيسر من الغرفة، الجانب الأقرب إلى الباب. كان لديها مفرش سرير بنقشة «البيزلي»، باللونين الكحلي والبرتقالي الصَدِئ. لقد بدا جديدًا تمامًا. وكانت قد علَّقَتْ مُلصقاتها بالفعل.. وهما ملصق لفيلم «ترينسبوتينج» (Trainspotting) وآخر لفرقةٍ ما لم أسمع عنها من قبل تدعى «رانينج واتر» (Running Water).

جلس أبي على المكتب الفارغ.. مكتبي. أخرج منديلًا ومسح جبهته. لقد بدا مُتعَبًا حقًّا.

قال: «إنها غرفةٌ جيدة. والإضاءة جيدة».

كان جيرمايا يحوم في الأرجاء فحسب، وقال: «سأنزل إلى السيارة لإحضار ذلك الصندوق الكبير».

همَّ أبي بالوقوف. وقال: «سأساعدك».

فقال جيرمايا وهو يخرج من الباب: «سأتولى الأمر».

بدا الارتياح على وجه أبي وهو يعود إلى الجلوس: «حسنًا، فقط سآخذ استراحةً إذن».

وفي تلك الأثناء، كانت أمي تُعاين الغرفة، تفتح الخزانة، وتتفقد الأدراج.

أما أنا فغرقتُ في السرير. إذن، هذا هو المكان الذي سأعيش فيه العام المقبل. ووراء الباب المجاور، كانت إحداهن تستمع إلى موسيقى الجاز. وفي آخر الردهة، سمعتُ فتاةً تتجادل مع والدتها حول مكان وضْع سلة الغسيل خاصتها. وبدا أن المصعد لم تتوقف أبوابه قط عن الفتح والغلق بصوتها الصاخب. لم أمانع ذلك. كان يعجبني الضجيج. كان من المريح معرفة أن ثمة أناس من حولي.

سألت أمي قائلة: «أتريدينني أن أُخرِج لكِ ملابسكِ من الحقيبة؟».

- كلَّا، لا بأس.

أردتُ أن أفعل ذلك بنفسي. لكَي أشعر بكونها غرفتي بحق.

- على الأقل دعيني أرتب لكِ سريركِ إذن.

وعندما حان وقت الوداع، لم أكن مستعدة. خِلتُ أنني سأكون مستعدة، ولكنني لم أكن كذلك.

نهض أبي واقفًا، ويداه على خصره. لقد بدا شعره رماديًّا حقًّا تحت الضوء: «حسنًا، علينا أن ننطلق إذا أردنا أن نتفادى ساعة الزحام المُروري».

فقالت أمي بحدِّة: «سنكون على ما يرام».

رؤيتهما معًا بهذه الطريقة، كان كما لو أنهما لم يتطلقا، كما لو كنا لا نزال عائلة. كنتُ مغمورة بهذا الاندفاع المفاجئ من الشعور بالامتنان والعِرفان. لم يكن طلاقهما كجميع حالات الطلاق. من أجل ستيفن ومن أجلي، نجحا في ذلك وكانا صادقَين ومخلصَين حيال الأمر. كانت لا تزال هناك مودة حقيقية بينهما، ولكن ما فاق ذلك كان حبهما لنا. وهذا ما جعل اجتماعهما معًا في أيام كهذه أمرًا ممكنًا. عانقتُ أبي، وفوجئتُ لرؤية الدموع في عينيه. إنه لا يبكِي قط. عانقتني أمي عناقًا خفيفًا وسريعًا، ولكني أعلم أن ذلك بسبب أنها لم تكن ترغب في الذهاب.

قالت: «تأكدي من غسل ملاءاتكِ مرتين في الشهر على الأقل».

- حسنًا.

- وحاولي ترتيب سريركِ في الصباح. هذا سيجعل الغرفة تبدو أجمل.

فقلتُ مجددًا: «حسنًا».

نظرتْ أمي إلى الجانب الآخر من الغرفة: «أتمنى فقط لو أننا قد التقينا شريكتَكِ في الغرفة».

كان جيرمايا جالسًا على مكتبي، ورأسه منحنٍ لأسفل، يتصفح هاتفه بينما كنت أنا وأبي نودع بعضنا بعضًا.

وفجأة، قال أبي: «جيرمايا، هل ستغادر الآن أيضًا؟».

جفل جيرمايا، ورفع رأسه قائلًا: «أوه، كنتُ سأصطحب بيلي لتناوُل العشاء».

رمقتني أمي بنظرة، وكنتُ أعلم ما كانت تفكر فيه. فقبل ليلتَين، ألقت عليَّ ذلك الخطاب الطويل عن ضرورة مقابلة أشخاص جدد وعدم قضاء جُلِّ وقتي مع جير. قالت إن الفتيات اللاتي يملكن حبيبًا، يقصرن أنفسهن على نوعٍ محدد من الخبرة. وقد وعدتها بألا أكون واحدةً من هذا النوع من الفتيات.

قال أبي بنبرة شبه مُحذِّرة كما لو أنه كان يُلمِّح لشيء ما: «فقط لا تعيدها في وقتٍ متأخر جدًّا».

احمرَّت وجنتايَ، وهذه المرة رمقَتْ أمي أبي بنظرة، مما جعلني أشعر بمزيدٍ من الإحراج.

ولكن جيرمايا أجاب بطريقته الهادئة فحسب قائلًا: «أوه، أجل، بالطبع».



التقيتُ زميلتي في السكن، جيليان، في وقتٍ لاحق من تلك الليلة، بعد العَشَاء. حدث ذلك في المصعد مباشرةً بعد أن أوصلني جيرمايا أمام السكن. عرفتُها فورًا، لأنني كنتُ قد رأيتُ صورها الموضوعة فوق طاولة زينتها. كان لديها شعرًا بنيًّا مجعدًا، وجسدًا ضئيل الحجم، وكانت أقصر مما بدت عليه في الصور.

وقفتُ هناك محاوِلةً معرفة ما سأقوله. عندما خرجت الفتيات الأخريات من المصعد في الطابق السادس، لم تتبقَّ سوانا.

تنحنحتُ وقلتُ: «معذرةً، هل أنتِ جيليان كابيل؟».

- أجل.

وأستطيع القول إنها كانت مُستَغرِبة بعض الشيء.

- أنا إيزابيل كونكلين. شريكتكِ في الغرفة.

تساءلتُ عما إذا كان ينبغي لي معانقتها أم مدُّ يدي لمصافحتها. ولم أفعل أيًّا منهما، لأنها كانت تحدِّق إلى وجهي.

- أوه، مرحبًا. كيف حالكِ؟ (ودون أن تنتظر إجابتي، قالت..) لقد عدتُ للتو من تناوُل العشاء مع والديَّ.

أدركتُ لاحقًا أنها عادة ما تقول «كيف حالكِ» كمجرد تحية، وليس كشيء تتوقع سماع إجابة عليه.

قلتُ: «أنا بخير. لقد تناولتُ العشاء للتو أيضًا».

نزلنا من المصعد بعد ذلك. شعرتُ بصدري يختلج حماسة، أي.. واو! هذه شريكةُ غرفتي. الشخص الذي سأعيش معه لمدة عام كامل. لقد فكرت بشأنها كثيرًا منذ أن حصلت على خطاب السكن الخاص بي. جيليان كابيل، من واشنطن العاصمة، لا تُدخن. لقد تخيلتُنا ونحن نتبادل أطراف الحديث طوال الليل، ونتشارك الأسرار والأحذية والفشار المُعدَّ في المايكروويف.

عندما دخلنا إلى غرفتنا، جلست جيليان على سريرها وقالت: «هل لديكِ حبيب؟».

فقلتُ وقد جلستُ على يديَّ: «أجل. إنه يدرس هنا أيضًا. (كنتُ أتوق إلى التقرب إليها والوصول إلى أحاديث الفتيات المألوفة). اسمه جيرمايا. إنه طالبٌ في السنة الثانية».

قفزتُ والتقطتُ صورة لنا من فوق مكتبي. كانت من حفل التخرج، وكان جيرمايا مرتديًا ربطة عنق وقد بدا وسيمًا بها. وبخجل، سلَّمتُها الصورة.

قالت: «إنه جذَّاب حقًّا».

- شكرًا. هل لديكِ حبيب؟

أومأت برأسها: «هناك في الديار».

- رائع. (لأنه كان الرد الوحيد الذي أمكنني التفكير فيه). ما اسمه؟

- سايمون.

وعندما لم تفصح عن تفاصيل إضافية، سألتُ قائلة: «إذن، هل يناديكِ الناس جيل؟ أم جيلي؟ أم جيليان وحسب؟».

- جيليان. هل تخلدين إلى النوم مبكرًا أم متأخرًا؟

- متأخرًا. ماذا عنكِ؟

فقالت وهي تعضُّ على شفتها السفلية: «مبكرًا. سنجد حلًّا ما. إنني أستيقظ مبكرًا أيضًا. ماذا عنكِ؟».

- امم، بالطبع، أحيانًا.

كنتُ أكره الاستيقاظ مبكرًا، أكرهه أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.

- أتفضلين المذاكرة مع تشغيل الموسيقى أم دونها؟

- دونها.

بدا على وجه جيليان الارتياح: «أوه، رائع. إنني أكره الضوضاء وأنا أذاكر. أحتاج حقًّا إلى الهدوء. (ثم أضافت...) لا أقصد أن أكون سخيفة أو متطلبة بشكلٍ مبالغ فيه أو شيء من هذا القبيل».

أومأتُ.

كانت أُطر صورها مرتبة بشكلٍ مثالي ولها زوايا قائمة على نحوٍ دقيق. عندما دخلنا إلى الغرفة، علَّقت سترتها الجينز على الفور. كنتُ أرتب سريري فقط عندما يزورني أحد. تساءلتُ عما إذا كانت طباعي المهملة ستثير أعصابها. أملتُ ألا يحدث ذلك.

كنتُ على وشك قول ذلك عندما شغلت حاسوبها المحمول. اعتقدتُ أننا قد تعرفنا على بعضنا جيدًا وكسرنا الحواجز فيما بيننا هذه الليلة. والآن بعد أن رحل والداي وبات جيرمايا في طريق عودته إلى منزل الأخويَّة الخاص به، صرتُ وحيدةً حقًّا. لا أعرف ماذا أفعل بنفسي. كنتُ قد أفرغت حقائبي من الأمتعة بالفعل. وكنتُ أتمنى أن نذهب لاستكشاف قاعة المحاضرات معًا، والتعرُّف على الناس. ولكنها كانت تكتب شيئًا ما، تراسل شخصًا. على الأرجح أنه كان حبيبها الذي في الديار. أخرجتُ هاتفي المحمول أرسلتُ رسالة نصيَّة إلى جيرمايا. *هل ستعود؟*

كنتُ أعلم أنه سيفعل.

وكفاتحةٍ للحديث من أجل التعارُف الطلابي في الليلة التالية، أخبرتنا كيرا، مشرفةً السكن خاصتنا، بأن نحضر غرضًا شخصيًّا واحدًا نشعر بأنه يمثلنا أكثر من أي شيء آخر. استقررتُ على اختيار نظَّارة السباحة. أحضرت الفتيات الأخريات دمى على هيئة حيوانات محشوة وصورًا مؤطَّرة، وعرضت إحداهن ألبومًا يجمع صورها الاحترافية كعارضة. أما جيليان فأحضرت حاسوبها المحمول.

كنا جميعًا نجلس في شكلٍ دائري، وكانت جوي تجلس مقابِلي. وكانت تحمل كأس بطولة موضوعًا على حِجرها. إنه كأس بطولة الولاية لكرة القدم، وهو ما وجدته شيئًا مذهلًا. أردتُ حقًّا أن أصادق جوي. كان الأمر يدور في بالي منذ الليلة السابقة، عندما تحدثنا في الحمَّام العام للسكن ونحن بلباس نومنا، وكلتانا تحمل صندوق أغراض الاستحمام الخاص بها. كانت جوي قصيرة القامة، وذات شعرٍ رمليٍّ وعينين فاتحتين. لم تكن تضع الماكياج. وقد بدت قوية وواثقة من نفسها تمامًا كالفتيات اللاتي يمارسن الرياضات التنافسية.

قالت: «أنا جوي. لقد ربح فريقي بطولة الولاية، إذا كانت أيًّا منكنَّ تحب كرة القدم، فلتُعلِمني لنبدأ دوري مباريات للسكن».

وعندما جاء دوري، قلتُ: «أنا إيزابيل. أحب السباحة».

وابتسمت لي جوي. لطالما اعتقدتُ أن الجامعة ستكون مكانًا تكوِّن فيه صداقات فورية، مكانًا تشعر بالانتماء إليه. لم أعتقد أن الأمر سيكون بهذه الصعوبة.

اعتقدتُ أن أيامي ستزدحم بحفلات وفعاليات للتعارُف والركض في مُنتصف الليل إلى مطعم «وافل هاوس». لقد قضيتُ أربعة أيام كاملة في الجامعة ولم أفعل أيًّا من تلك الأشياء. تناولتُ أنا وجيليان الطعام معًا في

قاعة الطعام، وكان ذلك كل ما في الأمر. كانت تقضي أغلب الوقت تتحدث عبر الهاتف مع حبيبها أو على حاسوبها. لم يأتِ أيُّ ذِكرٍ لارتياد النوادي أو الحفلات. كان لديَّ شعورٌ بأن جيليان كانت مُتَرفِّعة عن هذا النوع من الأشياء.

ولكني لستُ كذلك، ولا تايلور كذلك أيضًا. لقد ذهبتُ لزيارة مسكنها الجامعي مرة بالفعل، وكانت هي وشريكتها في الغرفة مثل حبتَي بازلاء في سنفة صغيرة عصرية ومتناسقة الألوان. كان حبيب شريكتها في الغرفة عضوًا في أخويَّة، وكان يعيش خارج الحرم الجامعي. قالت تايلور أنها ستتصل إذا كانت هناك أي حفلات رائعة في عطلة نهاية هذا الأسبوع، ولكنها إلى الآن، لم تتصل. بدا ذهاب تايلور إلى الجامعة أشبه بذهاب سمكة زينة ذهبية إلى حوضها الجديد، وأنا فقط لستُ كذلك. لقد أخبرتُ جيرمايا بأنني سأكون مشغولة بتكوين الصداقات والتعرُّف على شريكتي في الغرفة لذا ربما لن أستطيع رؤيته حتى نهاية الأسبوع. لم أرغب في التراجُع عن ذلك. لم أرغب في أن أكون واحدة من هؤلاء الفتيات.

في ليلة الخميس من الأسبوع الأول، كانت توجد مجموعة من الفتيات يشربن الخمر في غرفة جوي. كنتُ أستطيع سماعهن عبر الردهة. كنتُ أملأُ دفتر تخطيطي الجديد، أكتب جميع مواعيد محاضراتي وحاجياتي. وكانت جيليان في المكتبة. لم نحصل سوى على يوم واحد من المحاضرات حتى الآن، لذا لم أكن أعرف ماذا يوجد لتذاكره. وكنتُ أتمنى لو أنها طلبت مني الذهاب معها رغم ذلك. لقد سألني جيرمايا عما إذا كنتُ أريده أن يأتي لاصطحابي، لكنني قلتُ لا، على أمل أن أدعى إلى مكان ما. وإلى الآن، كنتُ أجلس مع دفتر تخطيطي وحسب.

ثم برزت جوي رأسها من مدخل باب غرفتي، والذي أبقيته مفتوحًا كما تفعل الفتيات الأخريات.

قالت: «إيزابيل، تعالي وانضمي إلينا واقضي معنا بعض الوقت».

قلتُ وقد قفزتُ فعليًّا من سريري: «بالطبع!».

شعرتُ بتلك الموجة المُندفعة من الأمل والحماس. لربما هؤلاء هم أُناسي.

كانت هناك جوي، وأنيكا شريكتها في الغرفة، ومولي التي تسكن في نهاية الردهة، وشاي الفتاة صاحبة ألبوم عرض الأزياء. كنَّ جميعهن جالساتٍ على الأرض، وكانت توجد زجاجة مشروب «جاتوريد» (Gatorade) كبيرة الحجم في المنتصف، غير أنها لم تكن تشبه زجاجة جاتوريد تمامًا. كان لونها أصفر باهتًا مائلًا إلى البنيِّ، إنها تيكيلا، أعتقد ذلك. لم أمَس التيكيلا منذ أن شربتها في كازينز في الصيف الماضي.

قالت جوي وهي تربِّت على الأرض بجانبها: «تعالي واجلسي. إننا نلعب لعبة «لم يسبق لي قط». هل لعبتِها من قبل؟».

فقلتُ وأنا أجلس إلى جوارها: «لا».

- ببساطة، عندما يحين دوركِ، تقولين شيئًا ما مثل: لم يسبق لي قط أن.. (نظرت أنيكا إلى الدائرة من حولها) واعدتُ أحد أقاربي. (ضحك الجميع مقهقهين). ولو كنتِ قد فعلتِ، فسيكون عليكِ أن تشربي.

أنهت مولي شرحَها وهي تعضُّ على ظفر إبهامها.

قالت جوي وهي تميل إلى الأمام: «سأبدأ أنا. لم يسبق لي قط أن.. غششتُ في اختبار».

أمسكَتْ شاي بالزجاجة وشربت جرعة كبيرة.

قالت: «ماذا؟ كان وقتي مشغولًا بعروض الأزياء، لم أملك وقتًا للمذاكرة».

وضحك الجميع مرةً أخرى.

جاء دور مولي بعد ذلك، قالت: «لم يسبق لي قط أن فعلتُها مع شخص ما في مكان عام!».

وفي تلك المرة أخذت جوي الزجاجة.

أوضحَتْ قائلة: «حدث الأمر في حديقة، كان الظلام يخيم على المكان. أشك أن أحدًا قد رآنا».

قالت شاي: «هل يعدُّ حمَّام مطعم مكانًا عامًّا؟».

كان بإمكاني الشعور بوجهي يزداد حرارة. كنتُ أخشى أن يحين دوري. لم أرتكب الكثير من أيِّ شيء. من المحتمل أن تستمر الأشياء التي لم أفعلها قط طوال الليل.

قالت مولي وهي تنهار في نوبةٍ من الضحك: «لم يسبق لي قط أن واعدتُ فتى من الطابق الرابع!».

ألقت جوي وسادةً عليها.

- ليس عدلًا! لقد أخبرتكِ بهذا سرًّا.

هتف الجميع قائلًا: «اشربي! اشربي!».

شربت جوي جرعة كبيرة. ثم قالت وهي تمسح فمها: «دوركِ يا إيزابيل».

شعرتُ بفمي وقد جفَّ فجأة.

- لم يسبق لي قط أن... (*مارستُ الجنس*). لم يسبق لي قط أن... لعبتُ هذه اللعبة من قبل.

أنهيتُ جُملتي بنبرةٍ ضعيفة مهزوزة. وكان بإمكاني الشعور بخيبة أمل جوي بي. لربما قد فكَّرَتْ أننا يمكننا أن نكون صديقتين مقربتين كذلك والآن ستعيد النظر في الأمر. ضحكت أنيكا ضحكةً مكتومة فقط لتكون مهذَّبة. ثم تناوبن جميعًا على الشرب قبل أن تبدأ جوي دورًا جديدًا قائلة: «لم يسبق لي قط أن سبحتُ عارية في المحيط. ولا في حوض سباحة حتى!».

كلَّا، لم أفعل ذلك من قبل أيضًا. كدتُ أفعلها، في تلك المرَّة عندما كنتُ في الخامسة عشرة من عمري، مع كام كاميرون. ولكنها لا تحتسب تقريبًا. انتهى بي المطاف بأخذ رشفة واحدة عندما قالت مولي: «لم يسبق لي قط أن واعدتُ شخصَين من نفس العائلة».

سألتني جوي وقد بدا عليها الاهتمام فجأة: «هل واعدتِ أخَّين؟ أم أخ و..؟».

فقلتُ وقد سعلتُ قليلًا: «أخَّين».

قالت شاي: «توأمين؟».

وتساءلت مولي في فضول: «في الوقت نفسه؟».

قلتُ: «ليس في الوقت نفسه. وهما فقط أخَّان. يكبر أحدهما الآخر بعامٍ واحد».

قالت جوي وهي تنظر إليَّ نظرة استحسان وانبهار: «يا لكِ من فتاة!».

ومن ثم انتقلنا إلى الشيء التالي. عندما قالت شاي أنها لم يسبق لها أن سرقت أبدًا من قبل وأخذت جوي رشفة، رأيتُ النظرة التي ارتسمت على وجه أنيكا، وكان عليَّ أن أعض على خدَّيَّ من الداخل لأمنع نفسي من الضَّحك. رأتني، وتبادلنا نظرة سِرِّية.

رأيتُ جوي بالأرجاء بعد ذلك، في الحمَّام العام للطابق وفي قاعة الدراسة وتحدثنا، ولكننا لم نصبح مقربتين قط. وأنا وجيليان لم نصبح صديقتين مقربتين كذلك، ولكنها في النهاية أصبحَتْ شريكة غرفة جيدة جدًّا. ومن بين كل هؤلاء الفتيات، كانت أنيكا هي الفتاة التي انتهى بي المطاف بأن أصبحتُ الأقرب إليها. وعلى الرغم من أننا كنا في العمر نفسه، فإنها أخذتني تحت جناحها كأختٍ صغيرة، وهذه المرة لم أمانع أن أكون الأخت الصغيرة. فقد كانت أنيكا شخصًا أروع من أن أبالي معها بأيِّ شيء. كانت رائحتها مثلما أتخيَّل أن تكون رائحة الزهور البرية عندما تنمو في الرمال. وفيما بعد، اكتشفتُ أنها كانت رائحة الزيت الذي تضعه في شعرها. لم تكن أنيكا تثرثر بالنميمة مطلقًا، ولم تأكل اللحوم، وكانت راقصة. لقد أعجبتُ بكل تلك الصفات بشأنها. شعرتُ بالأسف لكوننا لن نصبح شريكتي غرفة أبدًا. فمن الآن فصاعدًا، لن يكون لديَّ سوى شريك غرفة واحد مدى الحياة... جيرمايا، الذي سيصبح زوجي عمَّا قريب.

الفصل السابع عشر

استيقظتُ مبكرًا في اليوم التالي. استحممتُ، ورميتُ حذاء استحمامي بعيدًا، واستعددتُ للخروج للمرة الأخيرة من غرفة مَسكني الجامعي. لم أرتدِ خاتمي، تحسبًا فقط.. من باب الاحتياط. وضعتُه في الجيب المُزَوَّد بسحَّاب داخل حقيبتي. لم يكن أبي الشخص الأكثر ملاحظة عندما يتعلق الأمر بالإكسسوارات، لذا ليس من المُرجح أنه قد يلاحظه أصلًا، ولكنني فضَّلتُ ألَّا أخاطر على أي حال.

وجدتُ أبي أمام مَسكني الجامعي في تمام الساعة العاشرة ليُقلني أنا وأغراضي. قدَّم جيرمايا المساعدة. لم أضطر حتى إلى أن أتصل به لأوقظه كما خططتُ؛ لقد أتى إلى غرفتي في تمام الساعة التاسعة والنصف ومعه القهوة والكعك المُحَلَّى لأبي. توقفتُ عند غرف بعض الفتيات، لأعانقهن عناق الوداع متمنيةً لهن أصيافًا سعيدة.

قالت لوري: «أراكِ في أغسطس».

وقالت جولز: «علينا أن نتسكع ونحظى بالمرح أكثر في العام المُقبل».

ثم ودَّعتُ أنيكا، ودمعت عيناي قليلًا.

عانقتني وقالت: «اهدئي. سأراكِ في حفل الزفاف. أخبري تايلور بأنني سأراسلها عبر البريد الإلكتروني بشأن فساتين وصِيفات العروس التي سنرتديها».

تعالت ضحكتي. ستحب تايلور ذلك. كلَّا.. لن تحبه.

بعد أن انتهينا من تعبِئة السيارة، أخذَنا أبي لتناول الغداء في مطعم متخصص في تقديم شرائح اللحم. لم يكن غاية في الفخامة، ولكنه كان لطيفًا، مكانٌ عائلي مزودٌ بمقصوراتٍ مكسوَّة بالجلد ومخللات على الطاولة.

قال أبي وهو يدخل إلى المقصورة: «اطلبا ما تشاءان».

جلستُ أنا وجيرمايا مقابله. ألقيتُ نظرةً على قائمة الطعام واخترتُ «شرائح لحم نيويورك» لأنها كانت الأرخص سعرًا. لم يكن أبي فقيرًا، ولكنه بالتأكيد لم يكن غنيًّا أيضًا.

عندما أتت النادلة لتأخذ طلباتنا، طلب أبي سمك السلمون، وأنا طلبتُ شريحة لحم نيويورك خاصتي، وقال جيرمايا: «سآخذ شريحةً مُجففة الأطراف من الضلع البقري، متوسطة النضج».

كان ما طلبه جيرمايا هو الأغلى على القائمة. كان ثمنه ثمانية وثلاثين دولارًا. نظرتُ إليه وفكرتُ في أنه لربما لم ينظر إلى السعر أصلًا. لم يكن قط مضطرًّا إلى ذلك، ليس وجميع فواتيره يتم إرسالها إلى والده. ستتغير الأمور عندما نتزوج، هذا مؤكد. لا مزيد من إنفاق المال على أشياء تافهة مثل أحذية «إير جوردان» (Air Jordans) الرياضية العتيقة أو شرائح اللحم.

سأل أبي: «إذن، ماذا ستفعل هذا الصيف يا جيرمايا؟».

نظر جيرمايا إليَّ ثم نظر إلى أبي ثم عاود النظر إليَّ. هززتُ رأسي قليلًا فقط. خايلتني رؤيته وهو يطلب من أبي مباركته، ومن ثم يخربُ الأمر برمته. لا يمكن لأبي أن يعرف قبل أمي.

قال جيرمايا: «سأتدرب في شركة أبي مجددًا».

قال أبي: «خيرٌ لك. هذا سيبقيك مشغولًا».

- أكيد.

نظر أبي إليَّ: «وماذا عنكِ يا بيلي؟ هل ستعملين كنادلة مرةً أخرى؟».

امتصصتُ الصودا من قاع كوبي: «أجل. سأذهب للتحدُّث مع مديري القديم في الأسبوع المقبل. إنهم دائمًا ما يحتاجون إلى المساعدة في الصيف، لذا سيكون كل شيء على ما يرام».

وبما أن حفل الزفاف لا يتبقى عليه سوى شهرين فقط، فلا بدَّ لي من العمل بجهدٍ مضاعَف.. بل مضاعف ثلاث مرات.

عندما أتت الفاتورة، رأيتُ أبي يدقق النظر إليها بعينين نصف مغمضتين. تمنيتُ ألا يلاحظ جيرمايا ذلك، ولكن عندما أدركتُ أنه بالفعل لم يلاحظ، تمنيتُ نوعًا ما لو أنه قد فعل.

دائمًا ما شعرتُ بأنني في أقرب حالاتي إلى أبي عندما أكون جالسةً إلى جانبه في مقعد الراكب الأمامي بداخل شاحنته الصغيرة، أتأمل ملامحه الجانبية، بينما نستمع معًا إلى قرص «بيل إيفانز» (Bill Evans) الخاص به. كانت رحلاتنا أنا وأبي بالسيارة هي أوقاتنا الهادئة التي نقضيها معًا، عندما يتثنى لنا التحدث عن اللاشيء وكل شيء.

وحتى الآن كانت رحلتنا تلك هادئة.

كان يدندن مع الموسيقى عندما قلتُ: «أبي؟».

- هممم؟

أردتُ بشدة أن أخبره. أردتُ أن أشارك الأمر معه، أردتُ لذلك أن يحدث خلال هذه اللحظة المثالية وأنا لا أزال ابنته الصغيرة الجالسة في مقعد الراكب الأمامي وهو لا يزال مَن يقود السيارة. ستكون لحظة خاصة بيننا وحسب. لقد

توقفتُ عن مناداته بـ«دادي» منذ المرحلة الإعدادية، ولكني احتفظتُ بها في قلبي.. *دادي، سأتزوج.*

قلتُ أخيرًا: «لا شيء».

لم أستطع أن أفعلها. لم أستطع أن أخبره قبل أن أخبر أمي. لن يكون أمرًا صائبًا.

عاد إلى الدندنة من جديد.

لتنتظر قليلًا فقط يا أبي.

الفصل الثامن عشر

حسبتُ أن الأمر سيستغرق على الأقل بعض الوقت للتأقلُم على الوجود في الديار مرة أخرى بعد بقائي بعيدة لفترةٍ من الوقت في الجامعة، ولكنني عدتُ إلى روتيني القديم على الفور. قبل نهاية الأسبوع الأول، كنتُ قد أفرغتُ أمتعتي وعدتُ إلى تناول الإفطار مع أمي في الصباح الباكر والتشاجر مع أخي ستيفن حول حالة الحمَّام الذي نتشاركه. إنني شخص فوضوي، ولكن ستيفن قد أخذ الأمر إلى مستوى جديد تمامًا. أعتقد أن الأمر وراثي في عائلتنا. وبدأت العمل في مطعم «بيرس» من جديد، آخذة أكبر عددٍ يسمحون لي به من المناوبات، في بعض الأحيان كنتُ أتولى مناوبتين في اليوم الواحد.

في الليلة التي سبقت ذهابنا جميعًا إلى كازينز لافتتاح الحديقة التي تم إنشاؤها على شرف سوزانا، كنتُ أنا وجير نتحدث على الهاتف. كنَّا نناقش أمورًا تخص حفل الزفاف، وأخبرته ببعض أفكار تايلور. لقد أحبها جميعًا ولكنه عارض فكرة كعكة الجزر.

قال: «أريد كعكة شوكولاتة، محشوَّة بالتوت».

فاقترحتُ وأنا أضع الهاتف على كتفي: «ربما يمكننا الحصول على طبقةٍ بالجزر وأخرى بالشوكولاتة. سمعتُ أنهم يستطيعون فعل ذلك».

كنتُ جالسةً على أرضية غرفة نومي، أحصي إكراميَّاتي لليلة. لم أبدل قميص عملي بعد، على الرغم من وجود بُقع دهنية على كامل الجزء الأمامي منه، غير أنني كنتُ منهكةً لدرجةٍ جعلتني لا أكترث. لقد فككتُ ربطة العنق وحسب.

- كعكة بالشوكولاتة والتوت والجزر؟

فذكَّرتُه قائلة: «ومغطاة بطبقة من كريمة الجبن.. هذا بالنسبة لطبقتي».

- يبدو الأمر معقدًا نوعًا ما بالنسبة لي من ناحية النكهة، ولكن لا بأس. فليكن!

ابتسمتُ بيني وبين نفسي بينما كنتُ أفرزُ النقود من فئة الدولار الواحد والخمس دولارات والعشر دولارات. كان جيرمايا يشاهد قناة «فوود نتورك» (Food Network) كثيرًا منذ أن عاد إلى الديار.

قلتُ: «حسنًا، علينا أولًا أن نكون قادرين على دفع ثمن تلك الكعكة المزعومة. إنني آخذ كل المناوبات الذي أستطيع أخذها، ولم أتمكن من توفير سوى مئة وعشرين دولارًا حتى الآن. تقول تايلور أن كعكات الزفاف باهظة الثمن حقًّا. ربما عليَّ أن أطلب من والدتها أن تخبز الكعكة بدلًا من ذلك. إن السيدة جويل خبَّازة ماهرة بحق. غير أننا قد لا نتمكن من طلب شيءٍ فاخر للغاية». ظلَّ جيرمايا صامتًا على الجانب الآخر من الخط. ثم قال أخيرًا: «لا أعرف ما إذا كان عليكِ الاستمرار في العمل في مطعم بيرس».

- ما الذي تقوله؟ نحن بحاجةٍ إلى المال.

- نعم، ولكن لديَّ المال الذي تركتْهُ لي أمي. يمكننا الاستعانة به في تكاليف حفل الزفاف. لا أحب أن تضطري إلى العمل بهذا الكد.

- ولكنكَ تعمل أيضًا!

- أنا متدرب. إنها وظيفة تافهة. إنني لا أعمل بنصف الجهد الذي تعملين به من أجل هذا الزفاف. إنني أجلس على مكتب، بينما تكدحين أنتِ بالعمل مناوبتين. لا يبدو هذا أمرًا صائبًا.

فبدأتُ في قولي: «لو كان هذا يرجع لكوني أنا الفتاة وأنت الشاب...».

- الأمر ليس هكذا يا صاح. كل ما أقوله هو أنه.. لماذا عليكِ العمل بهذا الكد بينما لديَّ أموال في حساب التوفير الخاص بي؟

- اعتقدتُ أننا سنفعل هذا بنفسَينا.

- لقد أجريتُ بعض البحوث على الإنترنت، ويبدو أن الأمر سيكون أكثر تكلفة بكثير مما كنَّا نعتقد. حتى لو اقتصرنا الأمر على حفل بسيط، لا يزال يتعين علينا دفع ثمن الطعام والمشروبات والزهور. سنتزوج مرةً واحدة في العمر يا بيلي.

- صحيح.

- كانت أمي سترغب في المساهمة. صحيح؟

- أعتقد ذلك...

كانت سوزانا سترغب في فعل ما هو أكثر من المساهمة. كانت سترغب في أن تكون حاضرةً في كل خطوة من خطوات هذا الطريق. شراء الملابس، واختيار الزهور والطعام، وكل شيء. كانت سترغب في التزيين. لطالما تخيلتُها في حفل زفافي، جالسةً إلى جانب أمي، مرتديةً قبعة فاخرة. يا له من تخيُّل جميل.

- إذن دعيها تساهم، وعلاوةً على ذلك، ستنشغلين بالتخطيط لأمور حفل الزفاف مع تايلور. سأساعد بقدر ما أستطيع، ولكن سيظل عليَّ أن أكون في العمل من الساعة التاسعة إلى الخامسة. عندما تتصلين بمتعهدي تقديم الطعام وبائعي الزهور أو أيًّا ما يكون، سيكون هذا في خلال النهار، ولن أتمكن من الوجود حينها.

لقد انبهرتُ حقًّا لكونه قد فكَّر في كل هذا. لقد أعجبتُ بهذا الجانب الآخر منه، تفكيره في المستقبل، وقلقه بشأن صحتي. لقد كنتُ أشتكي للتو من وجود ثَفَن في قدميَّ أيضًا.

- دعنا نتحدث أكثر عن ذلك بعد أن نخبر والدينا.

- هل ما زلتِ متوترة؟

لقد كنتُ أحاول ألَّا أفكر في الأمر كثيرًا. في مطعم بيرس، تنصب كل طاقتي على توصيل سلَّات الخبز وإعادة تعبئة المشروبات وتقطيع قطع من كعكة الجبن. بطريقةٍ ما، كنتُ سعيدة بالعمل مناوبتين، لأن ذلك أبقاني خارج المنزل وأبعدني عن عين أمي المراقِبة. لم أرتدِ خاتم خطبتي منذ أن عدتُ إلى المنزل. غير أنني كنتُ أخرجه ليلًا، في غرفتي.

- أنا خائفة، لكنني سأرتاح بإعلان الأمر أخيرًا. إنني أكره إخفاء الأمور عن أمي.

- أعرف.

نظرتُ إلى الساعة. كانت تشير إلى الثانية عشرة والنصف.

- سنغادر في وقتٍ مبكر من صباح الغد، لذا ربما ينبغي عليَّ أن أخلد إلى النوم. (ترددتُ قبل أن أسأل..) هل ستأتي بالسيارة أنتَ ووالدك فقط؟ ماذا بشأن كونراد؟

- ليست لديَّ أي فكرة. لم أتحدث معه. أعتقد أن موعد طائرته غدًا. سنرى ما إذا كان سيظهر أصلًا.

لم أكن متأكدة مما شعرتُ به حينها، ما إذا كانت خيبة أمل أم ارتياح. ربما كلاهما.

قلتُ: «أشكُّ في كونه سيأتي».

- لا يمكنكِ توقع ما سيحدث عندما يتعلق الأمر بكون. (وأضاف..) لا تنسي إحضار خاتمكِ.

- لن أنسى.

ثم تمنينا لبعضنا بعضًا ليلةً سعيدة، ومضى وقت طويل قبل أن أتمكن من النوم. أعتقد أن الخوف كان يعتريني. خوفٌ من أن يأتي وخوفٌ من ألَّا يأتي.



الفصل التاسع عشر

استيقظتُ قبل المُنبِّه؛ وكنتُ قد استحممتُ وارتديتُ فستاني الجديد قبل أن يستيقظ ستيفن. كنتُ أول مَن رَكِبَ السيارة.

كان فستاني من الشيفون الحريري، بلون اللافندر. كان ضيِّقًا من ناحية الصدر، وله حمَّالتَين رفيعتَين، وتنورة واسعة تتأرجح بخفة. من النوع الذي يجعلكِ ترغبين في الدوران حول نفسكِ وأنتِ ترتدينه، تمامًا كفتاة في فيلم موسيقِي. شيءٌ قد ترتديه «كيم ماكفي». لقد رأيته في نافذة عرض إحدى المتاجر في شهر فبراير، حينما كان الجو لا يزال باردًا جدًّا بحيث لا يمكنني ارتداؤه دون جوارب طويلة. ولكن الجوارب الطويلة ستخرِّب مظهره. لقد استخدمتُ حينها بطاقة أبي المخصصة فقط للطوارئ، وهي البطاقة التي لم أستخدمها قط من قبل. وبقي الفستان في خزانتي طوال هذا الوقت، وكان لايزال مغطى بالبلاستيك.

عندما رأتني أمي، ارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة، وقالت: «تبدين جميلة. كانت بيك لتحب هذا الفستان».

قال ستيفن: «ليس سيئا».

وانحنيتُ لكليهما انحناءةً صغيرة. إنه فقط الأسلوب الذي يتطلبه هذا النوع من الثياب.

قادت أمي السيارة، وجلستُ أنا في المقدمة. وغفا ستيفن في المقعد الخلفي، بفمٍ مفتوح. كان يرتدي قميصًا وسروالًا كاكيًّا. وبدت أمي جميلة أيضًا في بدلتها النسائية الكُحلية وحذائها الكريمي اللون.

سألتني أمي: «لا بدَّ أن كونراد آتٍ اليوم، أليس كذلك يا بين؟».

- أنتِ مَن يتحدث معه، وليس أنا.

وضعتُ قدميَّ الحافيتين على لوحة القيادة. كان حذائي ذو الكعب العالي متكوِّمًا على أرضية السيارة.

قالت أمي وهي تتفقد مرآة الرؤية الخلفية خاصتها: «لم أتحدث إلى كونراد منذ بضعة أسابيع، ولكنني متأكدة من أنه سيكون هناك. لن يفوِّت شيئًا مهمًّا كهذا».

وعندما لم أقل أيَّ شيء، نظرت إليَّ وقالت: «أم أنكِ لا توافقينني الرأي؟».

- آسفة يا أمي، ولكنني لن أرفع آمالي عاليًا.

لا أعرف لماذا لم أوافقها وحسب. لا أعرف ما الذي كان يمنعني. لأنني حقًّا كنتُ مؤمنة بأنه سيأتي. إذا لم أكن كذلك، هل كنتُ سأُولِي شعري اهتمامًا زائدًا هذا الصباح؟ وفي أثناء استحمامي هل كنتُ سأحلقُ ساقيَّ ليس مرة واحدةً بل مرتين، فقط للاطمئنان؟ هل كنتُ سأرتدي هذا الفستان الجديد وأنتعل هذا الحذاء ذا الكعب العالي الذي يؤلم قدميَّ لو لم أصدِّق فعلًا أنه سيأتي؟

كلَّا، في أعماقي كنتُ أصدِّق هذا. كنتُ مؤمنةً به.

سأل السيد فيشر أمي قائلًا: «هل سمعتِ أيَّ أخبارٍ من كونراد يا لوريل؟».

كنا واقفين في موقف السيارات الخاص بالمركز النسائي.. السيد. فيشر، وجير، وستيفن، وأمي، وأنا. كان الناس قد بدأوا في التوافُد إلى المبنى. وتفقَّد السيد فيشر بالفِعل المكان بالداخل: لم يكن كونراد هناك.

هزَّت أمي رأسها وأجابت: «لم أسمع أيَّ شيء جديد. عندما تحدثتُ إليه في الشهر الماضي، قال إنه قادم».

فعرضتُ قائلة: «لو كان متأخرًا، يمكننا فقط أن نحجز له مقعدًا».

قال جيرمايا: «من الأفضل أن أدخل».

كان يتسلَّم اللافتة التذكارية لهذا اليوم نيابة عن سوزانا. ونحن شاهدناه يذهب فحسب لأنه لم يكن ثمة شيء آخر لنفعله.

ثم قال السيد فيشر: «ربما علينا الدخول أيضًا».

لقد بدا مهزومًا. استطعتُ أن أرى أنه قد جَرح نفسه في أثناء الحلاقة. بدا ذقنه محلوقًا مؤخرًا.

قالت أمي وهي تضبط نفسها: «فلنفعل ذلك. بيلي.. لماذا لا تنتظرين هنا لدقيقةٍ أخرى؟».

فقلتُ: «بالطبع. فلتدخلا. سأنتظر هنا».

عندما صار ثلاثتهم بالداخل. جلستُ على الرصيف. كانت قدماي تؤلمانني بالفعل. انتظرتُ لمدة عشر دقائق أخرى، وعندما لم يأتِ، نهضتُ. إذن.. بدا أنه لم يأتِ في نهاية المطاف.

الفصل العشرون

كونراد

رأيتها قبل أن تراني. رأيتها جالسة في الصف الأمامي، مع أبي ولوريل وستيفن. كان شعرها ممشَّطًا إلى الخلف، ومثبَّتًا للأعلى من على الجانبين. لم أرَ شعرها بهذا الشكل من قبل. وكانت ترتدي فستانًا باللون الأرجواني الفاتح. وقد بدت كفتاةٍ ناضجة. خطر ببالي أنها قد كبرت بينما لم أكن منتبهًا، كبرت بعيدًا عن عينيَّ، وأنه ثمة احتمال كبير لكونها قد تغيرت ولم أعد أعرفها بعد الآن. ولكن عندما وقفَتْ لتُصفِّق، رأيتُ ضمادة الجروح على كاحلها فعرفتُ أنها لا تزال كما هي. إنها بيلي. وقد ظلَّت تعبث بمشابك شعرها. كان أحدها على وشك السقوط.

لقد تأخرتْ طائرتي، وعلى الرغم من أنني قُدتُ بأقصى سرعة ممكنة إلى كازينز، فإنني ما زلتُ متأخرًا. كان جيرمايا يبدأ خطابه بالضبط عندما دخلتُ. كان هناك مقعدٌ فارغٌ في المقدمة بجانب أبي، ولكنني وقفتُ في

الخلف. رأيتُ لوريل تتململ في مقعدها، وتتفحص الغرفة بعينيها قبل أن تستقيم في جلستها من جديد. غير أنها لم ترني.

نهضت امرأة من الملجأ وشكرت الجميع على حضورهم. تحدَّثَتْ كم كانت أمي عظيمة، وعن مدى تفانيها وتكريسها لنفسها من أجل الملجأ، وكم من المال استطاعت أن تجمع من أجله، ومدى الوعي الذي نشرته في المجتمع. قالت إن وجود أمي كان نِعمة. كان الأمر مضحكًا، كنتُ على علم بأن أمي كانت تشارك في أعمالٍ تخص ملجأً نسائيًّا، ولكنني لم أكن أعرف ٍكم كرَّسَتْ من نفسها لأجله. شعرتُ بموجةٍ من الخجل تعتريني عندما تذكرتُ الوقت الذي طلبتْ فيه مني مساعدتها في تقديم الإفطار في صباح أحد أيام السبت. ولم أوفِ موعدها، أخبرتها أن لديَّ أشياء أحتاج إلى فِعلها.

ثم نهض جير وذهب إلى منصة التتويج.

قال: «أشكركِ يا مونا. اليوم يعني الكثير لعائلتي، وأعلم أنه كان سيعني أكثر من ذلك لأمي. كان الملجأ النسائي يعني الكثير حقًّا بالنسبة لها. وحتى عندما لا نكون موجودين هنا في كازينز، كانت لا تزال تفكر فيكم يا رفاق. وكانت تحب الزهور. لقد اعتادت على قول إنها تحتاج إليها لتتنفس. كانت ستتشرف جدًّا بتكريمها بهذه الحديقة».

كان خطابًا جيدًا. كانت أمنا لتفخر برؤيته واقفًا هناك. كان ينبغي عليَّ أن أكون واقفًا هناك معه. كانت لتحب ذلك حقًّا. وكانت لتحب الزهور أيضًا.

شاهدتُ جير يجلس في الصف الأول في المقعد المجاور لبيلي. رأيته وهو يمسك بيدها. انقبضت عضلات معدتي. وتحركتُ لأتخفى وراء امرأةٍ ترتدي قبعة عريضة الحواف.

كانت غلطة. إن العودة إلى هنا غلطة.



الفصل الحادي والعشرون

انتهت الخطابات، وخرج الجميع وبدأوا يتجولون في الحديقة.

سألني جيرمايا بصوتٍ خفيض قائلًا: «ما نوع الزهور التي تريدينها لحفل الزفاف؟».

ابتسمتُ وهززتُ كتفيَّ: «الجميلات منها؟».

ماذا أعرف أنا عن الزهور؟ ماذا أعرف عن حفلات الزفاف بشكلٍ عام؟ لم أحضر الكثير منها، فقط حفل زفاف ابنة عمي بيث وكنتُ فيه الفتاة التي تنثر بتلّات الأزهار، وحفل زفاف جارتنا. ولكني أحببتُ هذه اللعبة التي كنا نلعبها. كانت وكأنها لعبة تظاهر، ولكن واقعية.

ثم رأيته. كان واقفًا هناك في الخلف، كونراد، ببدلة رمادية. حدَّقَتْ إليه عيناي، ورفع يده مُلوِّحًا. رفعتُ يدي، ولكن لم أحركها. لم أستطع أن أحركها. وبجانبي، سمعتُ جيرمايا يتنحنح. جفلتُ. لقد نسيتُ أنه كان واقفًا إلى جانبي. في تلك الثواني المعدودة، نسيتُ كلَّ شيء.

ومن ثم تجاوزَنا السيد فيشر، مُندفعًا نحوه في هرولة. تعانقا. سحبت أمي كونراد بين ذراعيها، ثم أتى أخي من الخلف وضربه على ظهره. وشقَّ جيرمايا طريقه إليه أيضًا.

كنتُ الأخيرة. وجدتُ نفسي أسير إليهم.

قلتُ: «مرحبًا».

لم أكن أعرف ماذا أفعل بيديَّ. لذا تركتهما بجانبيَّ.

قال: «مرحبًا».

ثم فتح ذراعيه، ونظر إليَّ نظرة بدت وكأنها أشبه بتحدٍّ. وفي تردد، دخلتُ بينهما. فاجأني بعناقٍ قويٍّ كاد يسحقني، وقد رفعني عن الأرض قليلًا. صرختُ وأمسكتُ بتنورتي مثبتةً إياها إلى الأسفل. ضحك الجميع. وعندما أنزلني كونراد، اقتربتُ إلى جيرمايا. ولم يكن يضحك.

عَلَّقَ السيد فيشر بنبرة مرحة قائلًا: «إن كونراد سعيد بوجود أخته الصغيرة هنا من جديد».

تساءلتُ عما إذا كان يعلم أصلًا أنني وكونراد قد تواعدنا في يوم من الأيام. على الأغلب لا. استمرَّ ذلك ستة أشهر فحسب. لم يكن ذلك شيئًا مقارنة بالوقت الذي أمضيناه أنا وجيرمايا معًا.

سأل كونراد: «كيف حالكِ يا أختي الصغيرة؟».

وقد ارتسمت على وجهه تلك النظرة. نظرة نصف ساخرة، ونصف مُتخابِثة. كنتُ أعرف تلك النظرة؛ لقد رأيتها مرَّات ومرَّات.

أجبتُ وقد نظرتُ إلى جيرمايا: «في أفضل حال. نحن حقًّا في أفضل حال».

لم يبادلني جيرمايا النظر. وبدلًا من ذلك أخرج هاتفه من جيبه وقال: «إنني أتضور جوعًا».

أمكنني الشعور بشيءٍ من التوتر في معدتي. هل كان غاضبًا مني؟

قالت أمي: «دعونا نأخذ بعض الصور جوار الحديقة قبل أن نذهب».

صفق السيد فيشر بيديه وفركهما معًا. ثم وضع ذراعيه حول جيرمايا وكونراد وقال: «أريد صورة مع رَجُلَي عائلة فيشر[1]!».

وهو ما أضحكنا جميعًا.. وهذه المرة، ضحك جيرمايا أيضًا. كانت تلك واحدة من أقدم نكات السيد فيشر وأكثرهم ابتذالًا. كان كلما عاد هو والأولاد من رحلات الصيد، يصرخ مازحًا ملقيًا بنكاته المعتادة حول لقب عائلتهم.

بجانب حديقة أزهار سوزانا، التقطنا صورًا لجيرمايا والسيد فيشر وكونراد، ثم واحدة ومعهم ستيفن أيضًا، وواحدة لي أنا وأمي وستيفن وجيرمايا.. جميع أنواع التبادلات.

قال جير: «أريد واحدةً لي أنا وبيلي فقط».

وحينها شعرتُ بالارتياح. وقفنا أمام الورود، وقبل أن تلتقط أمي الصورة مباشرة، طبع جيرمايا قبلةً على خدِّي.

قالت أمي: «يا لها من صورة لطيفة! دعونا نلتقط واحدة للأبناء جميعًا».

وقفنا معًا.. جيرمايا وكونراد، وأنا، وستيفن. وضع كونراد ذراعًا حول كتفَي جيرمايا وذراعًا حول كتفيَّ. شعرتُ كما لو أن وقتًا لم يمر. ها هم أطفال الصيف مجتمعين معًا مرة أخرى.

ركبتُ مع جيرمايا السيارة في طريقنا إلى المطعم. أخذت أمي وستيفن سيارة، وتبعهما كونراد والسيد فيشر منفصلَين كلٌّ على حدة.

قلتُ فجأة: «ربما لا ينبغي لنا إخبارهم اليوم. ربما علينا أن ننتظر».

أخفض جيرمايا صوت الموسيقى: «ما الذي تعنينه؟».

- لستُ أدري. ربما علينا أن نكرس اليوم فقط لسوزانا، وللعائلة. ربما علينا أن ننتظر.

---

(1) وردت الكلمة في النص الأصلي بالشكل التالي: (Fishermen) مما يمكن فَهمُها بمعنى «صيَّادين» وهو ما تسبب في ضحك الجميع بعد ذلك.

- لا أرغب في الانتظار. أنا وأنتِ وزواجنا أمر يتعلق بالعائلة. إنه يتعلق بتوحيد عائلتَينا. ليصبحا عائلة واحدة. (ابتسم، وقد أمسك بيدي ورفعها في الهواء). أريدكِ أن تكوني قادرة على ارتداء خاتمكِ، حالًا، بشموخٍ وفخر.

- كُلي شموخٌ وفخر.

- إذن دعينا نقُم بالأمر كما خططنا له.

- حسنًا.

عندما توقفنا في موقف السيارات الخاص بالمطعم، قال لي جيرمايا: «لا تدعي مشاعركِ تتأذى لو.. كما تعلمين، لو قال أيَّ شيء».

رمشتُ عينيَّ وقلتُ: «مَن؟».

- أبي. تعرفين طباعه. لا يمكنكِ أن تأخذي الأمر على محملٍ شخصي، حسنًا؟

أومأتُ.

دخلنا إلى المطعم متشابكي الأيدي. كان الجميع قد وصلوا بالفعل وجالسين حول طاولة مستديرة. جلستُ، وجيرمايا عن يساري، وأخي عن يميني. أمسكتُ بسلة الخبز وأخذتُ رغيفًا. دهنته بالزبدة قبل أن أحشو معظمه في فمي.

هزَّ ستيفن رأسه لي. وتفوَّه دون أن يصدر صوتًا: خنزيرة.

حدَّقتُ إليه في غضب، وقلتُ: «لم أتناول الفطور».

قال لي السيد فيشر: «لقد طلبتُ مجموعةً من المُقبِّلات».

فقلتُ بفمٍ شبه ممتلئ: «شكرًا يا سيد فيشر».

ابتسم.

- بيلي، إن جميعنا أشخاص ناضجون هنا. أعتقد أن عليكِ مناداتي بـ«آدم» الآن. لا مزيد من «السيد فيشر».

ومن تحت الطاولة، أمسك جيرمايا بفخذي ضاغطًا إياها. كدتُ أضحك بصوت عالٍ. ثم راودتني فكرة أخرى.. مثلًا، هل سأضطر إلى مناداة السيد فيشر بـ«أبي» بعد أن نتزوج؟ سيتعين عليَّ أن أتحدث مع جيرمايا بشأن ذلك.

قلتُ: «سأحاول. (فنظر إليَّ السيد فيشر في ترقُّب، وأضفتُ..) يا آدم».

سأل ستيفن كونراد قائلًا: «لماذا لا تغادر كاليفورنيا أبدًا؟».

- هأنذا هنا، ألستُ كذلك؟

- أجل، ولكن.. هذه المرة الأولى منذ مغادرتك، فعليًّا. (وكزهُ ستيفن برِفق ثم أخفض صوته وهو يقول..) ألديكَ فتاة هناك؟

قال كونراد: «كلَّا. لا توجد فتاة».

وصلت الشمبانيا بعد ذلك، وعندما امتلأت جميع كؤوسنا، نقر السيد فيشر بسكينه على كأسه، وقال: «أود أن أرفع نخبًا».

أدارت أمي عينيها قليلًا فحسب. كان السيد فيشر مشهورًا بإلقاء الخطابات، وكان اليوم بالفعل مناسبة تستحق واحدًا.

- أريد أن أشكركم جميعًا على اجتماعكم اليوم للاحتفال بسوزانا. إنه يومٌ مميز وخاص، وأنا سعيد لأننا نستطيع مشاركته معًا. (رفع السيد فيشر كأسه.) نخب سوز!

فقالت أمي وهي تومئ برأسها: «إلى بيك».

قرعنا جميعًا كؤوسَنا وشربنا، وقبل أن أتمكن من إنزال كأسي، نظر إليَّ جيرمايا نظرةً تعني: استعدِّي، سيحدث الآن.

اضطربت معدتي. ابتلعتُ جرعة أخرى من الشمبانيا وأومأتُ برأسي.

أعلن جيرمايا قائلًا: «لديَّ شيءٌ لأقوله».

وبينما كان الجميع ينتظرون سماع ما ينطوي عليه الأمر، اختلستُ نظرة خاطفة إلى كونراد. كان مُسنِدًا ذراعه إلى ظهر كرسي ستيفن، وكانا يضحكان على شيءٍ ما. بدا وجهه مُنشرحًا ومسترخيًا.

كانت لديَّ رغبةٌ جامحة في إيقاف جيرمايا، في أن أكتم فمه بيديَّ وأمنعه من قول ذلك. فقد كان الجميع سعداء، وهذا سيفسد سعادتهم.

- سأمضي قُدمًا وأحذركم.. إنه خبرٌ سارٌّ بحق.

ابتسم جيرمايا ابتسامة عريضة للجميع، وأنا أهَّبتُ نفسي. *إنه يتعامل مع الأمر بسطحية شديدة*، جالت تلك الفكرة بخاطري. لن تحب أمي ذلك.

- لقد عرضتُ على بيلي الزواج، ووافقت. وافقت! سنتزوج في أغسطس المقبل!

بدا الأمر كما لو أن الهدوء قد ساد المطعم فجأة، وكأن كل الضوضاء والثرثرة قد امتُصَّت من الغرفة. توقف كل شيءٍ في التو. نظرتُ عبر الطاولة، إلى أمي. كان وجهها شاحبًا كالرماد. واختنق ستيفن بالماء الذي كان يشربه.

قال وهو يسعل: «ما هذا بحق الـ...».

أما كونراد، فقد خلا وجهه تمامًا من أي تعبير.

كان الأمر سيرياليًّا.

جاء النادل حينها ومعه المُقبِّلات: كاليماري، وكوكتيل من الجمبري، وبرج من المحار.

سأل وهو يعيد ترتيب الطاولة بحيث يفسح المجال للأطباق: «هل أنتم مستعدون لطلب أطباقكم الرئيسية؟».

قال السيد فيشر بصوت صارم: «أعتقد أننا بحاجة إلى بضع دقائق إضافية».

ونظر إلى أمي.

بدت أمي في حالة ذهول. فتحت فمها، ثم ما لبثت أن أغلقته. ثم نظرت إليَّ مباشرة وسألت قائلة: «هل أنتِ حامل؟».

شعرتُ بكلِّ الدم الذي يسري في عروقي يندفع إلى خدَّيَّ. وبجانبي، كان بإمكاني الشعور بجيرمايا يختنق دون سماعه.

ارتجف صوت أمي وهي تقول بنبرة حادة: «لا أصدق هذا. كم مرةً ناقشنا وسائل منع الحمل يا إيزابيل».

لم يكن ممكنًا أن أشعر بالخزي أكثر من ذلك. نظرتُ إلى السيد فيشر، الذي كان وجهه أحمر كالبنجر، ومن ثم نظرتُ إلى النادل، الذي كان يصب الماء على الطاولة المجاورة لنا. تلاقت أعيننا. كنتُ واثقة تمامًا من أنه كان زميلي في صفٍّ علم النفس.

- أمي، أنا لستُ حاملًا!

قال جيرمايا بجدية: «لوريل، أقسم لكِ، الأمر ليس هكذا».

تجاهلته أمي. ظلَّتْ تنظر إليَّ فحسب.

- إذن ما الذي يحدث هنا؟ من أين أتى هذا؟

شعرتُ بشفتيَّ وقد جفَّتا تمامًا فجأة. وبشكلٍ عابر، فكرتُ في السبب الذي أدى إلى عرض جيرمايا للزواج، ولكن سرعان ما تبخرت الفكرة بعيدًا. لم يعد أيٌّ من ذلك مهمًّا بعد الآن. ما يهم هو أننا كنا واقعَين في الحب.

قلتُ: «نحن نرغب في الزواج يا أمي».

قالت أمي بنبرةٍ باردة: «أنتِ صغيرة جدًّا. كلاكما صغير جدًّا».

سعل جيرمايا.

- لور، إننا نحب بعضنا بعضًا، ونرغب في أن نكون معًا.

فقالت أمي منفعلة: «أنتما بالفعل معًا. (ثم التفتت إلى السيد فيشر، وضيَّقت عينيها). هل كان لديكَ علم بهذا؟».

- اهدئي يا لوريل. إنهما يمزحان. كنتما تمزحان، أليس كذلك؟

تبادلنا أنا وجير نظرة قبل أن يقول بصوتٍ ناعم: «كلَّا، إننا لا نمزح».

ابتلعت أمي بقية الشمبانيا، مفرغةً كأسها: «أنتما الاثنان لن تتزوجا، انتهى الأمر. إنكما لا تزالان تدرسان، بحقِّ السماء. هذا سخف».

قال السيد فيشر، وهو يتنحنح: «ربما بعد أن تتخرجا يا طفليَّ، يمكننا مناقشة الأمر مرةً أخرى».

فأضافت أمي: «بعد أن تتخرجا ببضع سنوات».

قال السيد فيشر: «صحيح».

وبدأ جيرمايا يقول: «أبي...».

عاد النادل إلى كتف السيد فيشر قبل أن يتمكن جيرمايا من إنهاء أيٍّ ما كان سيقوله. وقف هناك للحظة وقد بدا مُحرَجًا قبل أن يسأل: «هل لديكم أيُّ أسئلة حول قائمة الطعام؟ أم.. هل سنكتفي بالمقبلات فقط لليوم؟».

فقالت أمي بشفتَين شبه مطبقتَين: «نود الحِساب فقط».

كان ثمة كل هذا الطعام على الطاولة ولم يلمسه أحد، ولم يكن أحد ينبس ببنت شفة. لقد كنتُ محقة من قبل. كان هذا خطأً، خطأً تكتيكِيًّا ذا أبعادٍ ملحمية. لم يكن علينا إبلاغهم بهذا الشكل. الآن صاروا فريقًا، فريقًا متحدًا ضدنا. ونحن بالكاد نستطيع قول كلمة واحدة.

مددتُ يدي إلى حقيبتي، ومن تحت مفرش الطاولة، ارتديت خاتم خطبتي. كان هذا هو الشيء الوحيد الذي أمكنني التفكير في فعله. وعندما مددتُ يدي لكوب الماء الخاص بي، رأى جيرمايا الخاتم وضغط على ركبتي مرةً أخرى. رأته أمي أيضًا.. لمعت عيناها، وأشاحت بنظرها بعيدًا.

دفع السيد فيشر الحساب، ولأول مرة لم تجادلني أمي. نهضنا جميعًا. وبسرعة، ملأ ستيفن منديلًا بالجمبري. وبعد ذلك بدأنا في المغادرة، أنا متتبعة أمي، وجيرمايا متتبعًا السيد فيشر. ومن خلفي، سمعتُ ستيفن يهمس إلى كونراد قائلًا: «يا للهول يا رجل! هذا جنون. أكنتَ تعلم بشأن ذلك؟».

سمعتُ كونراد يجيبه بـ«لا». وفي الخارج، عانق أمي مُودِّعًا إياها ثم ركب سيارته وانطلق بعيدًا. لم يلتفت للوراء ولو مرة واحدة.

عندما وصلنا إلى سيارتنا، سألتُ أمي بهدوءٍ شديد: «أيمكنني الحصول على المفاتيح؟».

- ماذا؟

بللتُ شفتيَّ: «أحتاج إلى إخراج حقيبة كُتبي من صندوق السيارة. إنني ذاهبة مع جيرمايا، أتذكرين؟».

كان بإمكاني رؤية أمي تكافح من أجل السيطرة على أعصابها.

قالت: «لا، لستِ ذاهبة معه. ستعودين معنا إلى المنزل».

- ولكن يا أمي...

وقبل أن أتمكن من إنهاء جُملتي، كانت قد سلَّمَت المفاتيح لستيفن وركبت في مقعد الراكب الأمامي. وأغلقت الباب.

نظرتُ إلى جيرمايا بلا حولٍ ولا قوة. كان السيد فيشر داخل سيارته بالفعل، وجيرمايا يقف بالخلف، منتظرًا. وأكثر من أيِّ شيءٍ آخر، تمنيتُ لو أن بمقدوري أن أغادر معه. لقد كنتُ حقًّا حقًّا خائفة من أركب السيارة مع أمي.

كنتُ في ورطة لم أعرف لها مثيلًا من قبل.

قال ستيفن: «اركبي السيارة يا بيلي. لا تزيدي الأمر سوءًا».

وقال جيرمايا: «من الأفضل أن تذهبي».

ركضتُ إليه وعانقته بقوة.

همس في شعري: «سأتصل بكِ الليلة».

فهمستُ إليه قائلة: «هذا لو كنتُ لا أزال على قيد الحياة».

ثم ابتعدتُ عنه وركبتُ في المقعد الخلفي. أدار ستيفن محرك السيارة، ومنديله عبارة عن صُرَّة بيضاء على حِجره.

نظرت أمي إلى عينيَّ في مرآة الرؤية الخلفية وقالت: «ستعيدين ذلك الخاتم يا إيزابيل».

لو تراجعتُ الآن، فقد ضاع كل شيء. كان عليَّ أن أكون قوية.

- لن أعيده.



الفصل الثاني والعشرون

لم نتحدث أنا وأمي إلى بعضنا بعضًا لمدة أسبوع. تجنبتُها، وهي تجاهلتني. كنتُ أعمل في بيرس، أساسًا لأخرج من المنزل. كنتُ أتناول غدائي وعشائِي هناك. وبعد انتهاء مناوباتي، كنتُ أذهب إلى منزل تايلور، وعندما أعود إلى المنزل، كنتُ أتحدث مع جيرمايا عبر الهاتف. لقد توسل إليَّ لأحاول على الأقل أن أتحدثَ إلى أمي. كنتُ أعلم بأنه قلق بشأن احتمالية كونها تكرهه الآن، وأكدتُ له أنها ليست غاضبةً منه. الأمر كله متعلقٌ بي.

في إحدى الليالي، بعد مناوبة عمل متأخرة في المطعم. كنتُ في طريقي إلى غرفتي، عندما توقفتُ فجأة قبل وصولي. سمعتُ صوت أمي المكتوم وهي تبكي خلف بابها المغلق. تجمدتُ في مكاني، وتعالى صوت ضربات قلبي. بوقوفي خارج بابها، وسماعها تبكي، كنتُ مستعدة تمامًا للاستسلام. في تلك اللحظة، كنتُ مستعدة لفعل أيِّ شيء، أو قول أيِّ شيء، فقط لأجعلها تتوقف عن البكاء. في تلك اللحظة، خارت قواي. كانت يدي على مقبض الباب، وكانت الكلمات هناك، على طرف لساني: *حسنًا يا أمي، لن أفعل ذلك.*

ولكن من ثم ساد الهدوء. توقفَتْ عن البكاء من تلقاء نفسها. انتظرتُ لفترةٍ أطول قليلًا، وعندما لم أسمع أيَّ شيء آخر، تركتُ مقبض الباب وذهبتُ إلى غرفتي. وفي الظلام خلعتُ ملابس العمل خاصتي وتوجهتُ إلى السرير، وبكيتُ أيضًا.

استيقظتُ على رائحة قهوة أبي التركية. وفي تلك الثواني القليلة بين الحُلم واليقظة، عدتُ إلى عمر العاشرة من جديد، عندما كان لا يزال أبي يعيش معنا وكان أكبر شيء عليَّ أن أقلق بشأنه هو واجبي المدرسي لمادة الرياضيات. بدأت أغفو مجددًا، ولكنني ما لبستُ أن نهضتُ مفزوعة.

ليس هناك سوى سبب واحد لوجود أبي هنا. لقد أخبرته أمي. كنتُ أرغب أن أخبره أنا، أردتُ أن أشرح موقفي. لقد سبقتني في ذلك. كنتُ غاضبة، ولكني شعرتُ بالسعادة في الوقت ذاته. إن إخبارها لأبي يعني أنها قد أخذت الأمر على محمل الجدِّ أخيرًا.

بعد أن استحممتُ، توجهتُ إلى الطابق السفلي. وجدتهما جالسَين في غرفة المعيشة يحتسيان القهوة. كان أبي بملابسه الخاصة بعطلة نهاية الأسبوع: بنطالٌ من الجينز وقميص منقوش بأكمام قصيرة. وحِزام، دائمًا ما يرتدي حِزامًا.

قلتُ: «صباح الخير».

قالت أمي وهي تضع كوبها على قاعدة الأكواب: «تفضلي بالجلوس».

جلستُ. كان شعري لا يزال مبللًا، وكنتُ أحاول تمشيط تشابُكِه.

قال أبي وهو يتنحنح: «إذن.. لقد أخبرتني والدتكِ بما يجري».

- أبي، كنتُ أريد أن أخبرك بنفسي، لقد أردتُ ذلك حقًّا. لقد سبقتني أمي.

نظرتُ إليها شزرًا، ولكنها لم تبدُ منزعجةً على الإطلاق.

- أنا أيضًا غير مؤيد لهذا يا بيلي، أرى أنكِ صغيرة جدًّا. (تنحنح مجددًا). لقد ناقشنا الأمر، وإذا كنتِ ترغبين في العيش مع جيرمايا في شقةٍ هذا الخريف، سنسمح بذلك. سيتعين عليكِ المساهمة في التكاليف لو ستزيد تكلفة الأمر عن سكن الطالبات، ولكننا سندفع ما كنا ندفعه.

لم أتوقع ذلك. حل وسط.. مساومة. متأكدة من أنها كانت فكرة أبي، ولكنني لا أستطيع قبول العرض.

- أبي، إنني لا أرغب فقط في العيش في شقةٍ مع جيرمايا. ليس لهذا السبب نرغب في الزواج.

فسألتني أمي: «إذن لماذا ترغبان في الزواج؟».

- نحن مغرمان ببعضنا بعضًا. لقد فكرنا في الأمر جيدًا، حقًّا قد فعلنا.

أشارت أمي إلى يدي اليسرى: «مَن دفع ثمن هذا الخاتم؟ أعلم أن جيرمايا ليس لديه وظيفة».

وضعتُ يدي في حِجري: «لقد استخدم بطاقته الائتمانية».

- بطاقته الائتمانية التي يموِّلها آدم. إذا كان جيرمايا لا يستطيع شراء خاتم، فليس من حقه أن يشتري واحدًا.

- إنه لم يُكلِّف الكثير.

لم تكن لديَّ أي فكرة عن تكلفة الخاتم، ولكن الماسة كانت صغيرة جدًّا، فخمنتُ أنه لم يكن باهظ الثمن إلى هذا الحد.

ألقت أمي نظرةً خاطفة على أبي وهي تتنهَّد، ثم عادت تنظر إليَّ: «قد لا تصدقينني عندما أقول هذا، ولكن حينما تزوجنا أنا وأبوكِ كنا نحب بعضنا بعضًا كثيرًا.. كنا مغرمَين جدًّا، جدًّا. لقد أقدمنا على الزواج بأفضل النيَّات. بيدَ أن كل ذلك لم يكن كافيًا للحفاظ على زواجنا».

حبهما لبعضهما، ولستيفن، ولي، حبهما لعائلتنا.. لم يكن أيًّا من ذلك كافيًا لإنجاح زواجهما. كنتُ أعرف كل ذلك بالفعل.

سألتها قائلة: «وهل أنتِ نادمة عليه؟».

- بيلي، إن الأمر ليس بهذه البساطة...

قاطعتها: «هل أنتِ نادمة على تكوين عائلتنا؟ هل أنتِ نادمة عليَّ وعلى ستيفن؟».

تنهَّدت بعمق، وقالت: «لا».

- أبي، هل أنت نادم؟

- بيلي، لا، بالطبع لا. ليس هذا ما تحاول والدتكِ قوله.

- أنا وجيرمايا لسنا أنت وأمي. نحن نعرف بعضنا منذ نعومة أظفارنا.

حاولتُ استمالة أبي: «أبي، ابنة عمك، مارثا، تزوجتْ في سنٍّ صغيرة، وها هي وبيرت متزوجان منذ ثلاثين عامًا تقريبًا! يمكن للأمر أن ينجح، أعلم أن ذلك ممكنًا. سنعمل أنا وجيرمايا على إنجاحه كما فعلا. سنكون سعيدَين. كل ما نرغب به هو أن تسعدا من أجلنا. أرجوكما أن تسعدا من أجلنا».

فرك أبي لحيته بطريقةٍ كنتُ أعرفها جيدًا.. كان سيذعن لأمي مثلما يفعل دائمًا. في أي لحظة، سينظر إليها وفي عينيه سؤال. صار الأمر متروكًا لها الآن. في الواقع، لطالما كان الأمر متروكًا لها.

نظر كلانا إليها. كانت أمي هي القاضي. هكذا تسير الأمور في عائلتنا. أغمضَت عينيها لفترةٍ وجيزة ثم قالت: «لا أستطيع أن أدعمكِ في هذا القرار يا إيزابيل. إذا مضيتِ قُدمًا في هذا الزفاف، فلن أؤيده ولن أدعمه. لن أكون هناك».

شعرتُ كما لو أنني لُكِمتُ في معدتي. على الرغم من أنني كنتُ أتوقع ذلك، استمرار رفضها... ولكن رغم ذلك... رغم ذلك، ظننتُ أنها قد تحاول تغيير رأيها، ولو قليلًا على الأقل.

قلتُ بصوتٍ منكسر: «أمي، بربكِ».

قال أبي وقد بدا متألمًا: «يا بيلي، دعينا جميعًا نفكر أكثر في هذا الأمر، حسنًا؟ هذا مفاجئٌ للغاية بالنسبة لنا».

تجاهلتُه وظللتُ أنظر إلى أمي وحسب.

قلتُ متوسلة: «أمي؟ أعلم أنكِ لا تقصدين ذلك».

هزَّتْ رأسها: «إنني أعنيه بالفعل».

- أمي، لا يمكنكِ التغيب عن حفل زفافي. هذا جنون.

حاولتُ أن أبدو هادئة، كأنني لست على وشك الإصابة بنوبةٍ من الهستيريا.

- كلَّا، الجنون هو فكرة زواج المراهقين. (زمَّت شفتيها معًا). لا أعرف ماذا عساي أن أقول لأقنعكِ بهذا. كيف أستطيع أن أقنعكِ يا إيزابيل؟

- لن تستطيعي.

انحنت أمي للأمام، وعيناها مثبتتان عليَّ.

- لا تفعلي هذا.

- لقد اتخذتُ قراري. سأتزوج جيرمايا. (نهضتُ فجأةً في اضطراب). إذا كنتِ لا تستطيعين أن تكوني سعيدة من أجلي، فربما.. ربما من الأفضل ألَّا تأتي.

كنتُ بالفعل على الدرَج عندما صاح أبي قائلًا: «بيلي، انتظري».

توقفتُ، ثم سمعتُ أمي تقول: «دعها تذهب».

ولما دخلتُ إلى غرفتي، اتصلتُ بجيرمايا. وكان أول شيء قاله هو: «هل تريدينني أن أتحدث معها؟».

- لن يُجدي نفعًا. وأنا أقول لك، لقد اتخذَتْ قرارها بالفعل. أنا أعرفها. لن ترضخ. على الأقل ليس الآن.

ظلَّ صامتًا لوهلة: «إذن ما الذي ترغبين في فعله؟».

- لا أعرف.

بدأتُ أبكي.

- أتريدين تأجيل الزفاف؟

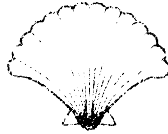
- لا!

- إذن ماذا علينا أن نفعل؟

قلتُ وأنا أمسح وجهي: «أعتقد أن علينا فقط المضي قدمًا بشأن الزفاف. أن نبدأ بالتخطيط».

حالما أنهينا المكالمة، بدأتُ أرى الأمور بشكل أكثر وضوحًا. إنني فقط بحاجةٍ إلى فصل العاطفة عن العقل. لقد كان رفض حضور حفل الزفاف هو البطاقة الرابحة لأمي. كانت هي الساق الوحيدة التي اضطرَّت للوقوف عليها. كانت خدعة. كانت مضطرةً لأن تُخادِع. فبغض النظر عن مدى انزعاجها أو خيبة أملها فيَّ، لا أصدق أنها ستفوِّت حضور حفل زفاف ابنتها الوحيدة. فقط لم أستطع.

كل ما علينا فعله الآن هو المضي قدمًا ووضع أمر حفل الزفاف هذا قيد التنفيذ. فسواء بوجود أمي إلى جانبي أو عدمه، هذا سيحدث.



الفصل الثالث والعشرون

كنتُ أطوي غسيلي عندما طرق ستيفن بابي في وقتٍ لاحق من تلك الليلة. وكالعادة، لم يمهلني سوى بضع ثوانٍ قبل أن يفتحه؛ لم ينتظرني قط لأقول «ادخل». دخل الغرفة وأغلق الباب خلفه. وقف ستيفن في غرفتي في شيء من الحَرَج، متكئًا على الحائط، وذراعاه مطويتان على صدره.

قلتُ: «ماذا؟».

على الرغم من أنني كنتُ بالفعل أعرف.

- إذن... هل أنتِ وجير جادَّين بشأن هذا؟

كدَّستُ بعض التي-شيرتات على هيئة كومة.

- أجل.

عبَر ستيفن الغرفة وجلس على مكتبي، وأخذ يستوعب إجابتي لدقيقة.

ثم التفت إليَّ وهو لا يزال جالسًا على الكرسي وقال: «أنتِ مدركة أن هذا جنون، صحيح؟ نحن لا نعيش في سفوح تلال فيرجينيا الغربية. ليس ثمة سبب يجعلكِ تتزوجين في سنٍّ مبكرةٍ للغاية هكذا».

فسخرتُ قائلة: «وما الذي تعرفه أنت عن فيرجينيا الغربية؟ إنك لم تذهب إلى هناك قط».

- هذا ليس مقصد الكلام.
- وما هو مقصد كلامك؟
- مقصدي هو أنكما صغيران جدًّا.
- هل أرسلتك أمي إلى هنا لتتحدث معي؟
- لا. (بيد أنني أعرف بأنه كان يكذب). أنا فقط قلقٌ عليكِ.

حدَّقتُ إليه.

اعترف قائلًا: «حسنًا، أجل، لقد فعلَتْ. ولكنني كنتُ سأصعد على أي حال».

- أنتَ لن تغيِّر رأيي.
- اسمعي، لا أحد يعرفكما أكثر منِّي. (سكت لوهلةٍ.. ليزِن كلماته). أحب جير.. إنه بمنزلة أخٍ لي. ولكنكِ أختي الصغيرة. أنتِ تأتين في المقام الأول. وفكرة الزواج هذه بأكملها.. أنا آسف، ولكن أرى أنها غبية. إذا كنتما تحبان بعضكما بعضًا، فيمكنكما الانتظار بضع سنوات لتكونا معًا. ولو كنتما لا تستطيعان، فبالتأكيد لا ينبغي لكما الزواج.

شعرتُ بكوني متأثرة ومنزعجة على حدٍّ سواء. فلم يقل ستيفن قط من قبل أشياء مثل «أنتِ تأتين في المقام الأول». ولكنه ما لبث بعدها أن وصفني بالغبية، وهو الأقرب لطباعه المعتادة.

قلتُ: «لا أتوقع منك أن تفهم. (طويتُ ثم أعدتُ طيَّ تي-شيرت آخر). جيرمايا يريدك أنت وكونراد أن تكونا إشبينَيه».

ظهرت ابتسامة على وجه ستيفن.

- فعلًا؟
- أجل.

بدا ستيفن سعيدًا حقًّا، ولكنه ما لبث أن لاحظ أنني أنظر إليه، فأخفى ابتسامته.

- لا أعتقد أن أمي ستسمح لي بحضور حفل الزفاف.

- ستيفن، أنت في الحادية والعشرين من عمرك. يمكنكَ أن تقرر ذلك بنفسك.

عبس. أستطيع القول إنني قد جرحتُ كبرياءه.

- حسنًا، ما زلتُ لا أعتقد أنها الخطوة الأذكى لتُقدِمي عليها.

- سجلتُ ملاحظتك. ما زلتُ سأتزوج على أي حال.

قال ستيفن وهو ينهض: «أوه، بربكِ، ستقتلني أمي. كان من المفترض أن أقنعكِ بعدم الزواج، وليس التورُّط في حضور حفل الزفاف».

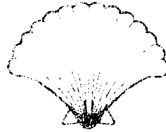
أخفيتُ ابتسامتي. وكان ذلك حتى أضاف ستيفن قائلًا: «من الأفضل لي أنا وكون أن نبدأ في التخطيط لحفل توديع العزوبية».

وبسرعة، قلتُ: «جير لا يرغب في أيٍّ من ذلك».

نفخ ستيفن صدره: «هذا ليس من شأنكِ يا بيلي. أنتِ فتاة. هذه أمورٌ تخص الرجال».

- أمورٌ تخص الرجال؟!

ومن ثم أقفل باب غرفتي، وعلى وجهه ابتسامةٌ عريضة.



الفصل الرابع والعشرون

بصرف النظر عمَّا قلته لستيفن، إلا أنني وجدتُ نفسي ما زلتُ أنتظر أمي. في انتظارها أن تتراجع، في انتظارها أن ترضخ. لم أرغب البدء في التخطيط لحفل الزفاف حتى توافق. ولكن عندما مرَّت الأيام، ورفضَتْ مناقشة الأمر، عرفتُ أنني لا يمكنني الانتظار لوقتٍ أطول.

حمدًا لله على وجود تايلور.

لقد أحضرَتْ مُجلَّدًا أبيضَ كبيرًا به قصاصات من مجلَّات الزفاف وقوائم مرجعية للتجهيزات وكل تلك الأشياء.

قالت: «لقد كنتُ أحتفظ بهذا لحفل زفافي، ولكن يمكننا استخدامه لحفل زفافكِ أيضًا».

كان كل ما لديَّ هو إحدى مفكرات أمي القانونية الصفراء. وقد كتبتُ كلمة «زفاف» في الأعلى وأعددتُ قائمةً بالأشياء التي أحتاج إلى القيام بها. وقد بدت ضئيلةً للغاية بجانب مجلد تايلور.

كنا جالستَين على سريري، والأوراق ومجلات الأعراس تحيط بنا في كل مكان. كانت تايلور منهمكةً للغاية.

قالت: «أولًا وقبل أيِّ شيء، نحن بحاجة إلى أن نجد لكِ فستانًا. شهر أغسطس صار قريبًا جدًّا، جدًّا».

- لا أشعر أنه قريب جدًّا لهذه الدرجة.

- حسنًا، إنه كذلك. شهرين بالنسبة لترتيبات زفاف لا يعدُّ شيئًا. بحسابات ترتيبات الزفاف هذا يعتبر كما لو أنه غدًا.

- حسنًا، أعتقد بما أن حفل الزفاف سيكون بسيطًا، فيجب أن يكون الفستان كذلك أيضًا.

عبست تايلور: «بسيطًا إلى أي درجة؟».

- بسيطًا للغاية. أبسط شيءٍ ممكن. لا شيء منفوش أو مُزركش.

أومأتْ لنفسها.

- أستطيع تخيله. سيكون شيئًا أشبه بفستان «سيندي كروفورد» (Cindy Crawford) في حفل الزفاف الشاطئيِّ. شيءٌ كفستان «كارولين بيسيت» (Carolyn Bessette).

- أجل، يبدو هذا جيدًا.

لم تكن لديَّ أي فكرة عن شكل فستانَي زفافهما. بل أنني لا أعرف من تكون كارولين بيسيت أصلًا. بعد أن أحصل على الفستان، سيبدو الأمر حقيقيًّا أكثر، سأكون قادرة على تصوُّر حدوثه. أما الآن فلا يزال الأمر كفكرةٍ مجردةٍ للغاية.

- وماذا عن الحذاء؟

رمقتُها بنظرة: «وكأنني سأنتعل الكعب العالي على الشاطئ. بالكاد أستطيع السير بالكعب العالي على الأرض المستوية».

تجاهلتني تايلور: «ماذا عن فستان وصيفة العروس الخاص بي؟».

دفعتُ بعض المجلات على السجَّادة لأتمكن من الاستلقاء. مددتُ ساقيَّ إلى أقصى ما أستطيع وأسندتُ قدميَّ على الحائط.

- كنتُ أفكر في الأصفر الخردلي. ربما بخامةٍ من الستان.

كانت تايلور تكره اللون الأصفر الخردلي.

كررت تايلور وهي تومئ برأسها وتحاول جاهدةً إبعاد تعبير الاشمئزاز عن وجهها: «ستان باللون الأصفر الخردلي!».

أستطيع القول إنها كانت ممزقة بين غرورها وإيمانها بأن العروس دائمًا على حق.

- قد يلائم هذا لون بشرة أنيكا. لن يلائم هذا بشرتي الربيعية كثيرًا، ولكنني بدأتُ أتحلَّى بشيءٍ من السُّمرة، قد ينجح الأمر.

ضحكتُ: «إنني أمزح. يمكنكِ ارتداء ما تريدين».

فقالت وقد بدا عليها الارتياح: «حمقاء! (ثم صفعَتْ فخذي..) أنتِ غير ناضجة أبدًا. لا أصدِّق أنكِ ستتزوجين!».

- ولا أنا كذلك.

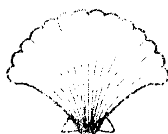
- ولكني أعتقد أن الأمر يبدو منطقيًّا. ففي عالم بين الحقيقة والخيال، أنتِ وجير عرفتما بعضكما منذ قرابة تريليونً سنة. كان من المقدَّر لهذا أن يحدث.

- وما مدة التريليون سنة؟

- إلى الأبد. (وفي الهواء كتبت أحرف أسامينا الأولى) ب ك + ج ف. إلى الأبد.

رددتُ بسعادة: «إلى الأبد».

إلى جانب جير.. يمكنني أن أظلَّ إلى الأبد.



الفصل الخامس والعشرون

في طريقي إلى لقاء تايلور في المركز التجاري في اليوم التالي، توقفتُ عند مكتب أمي.

قلتُ وأنا واقفة عند بابها: «أنا ذاهبة للبحث عن فستان».

توقفتْ عن الكتابة ونظرت إليَّ وقالت: «حظًّا طيِّبًا».

- شكرًا.

اعتقدتُ أنه هنالك أشياء من الممكن أن تقولها أسوأ من «حظًّا طيِّبًا»، غير أن هذه الفكرة لم تجعلني أشعر بأيٍّ تحسُّن.

* *

كان متجر الملابس الرسمية في المركز التجاري مكتظًّا بالفتيات اللاتي يبحثن عن فساتين لحفلات تخرُجِهنَّ بصحبة أمهاتهن. لم أتوقع أن أشعر بألمٍ في صدري عند رؤيتهن. كان من المفترض أن تذهب الفتيات للتسوق من أجل شراء فستان الزفاف مع أمهاتهن. كان من المفترض أن يخرجن من

غرفة قياس الملابس بالفستان المناسب تمامًا، لتدمع عينا الأم وتقول: «هذا هو».

كنتُ متأكدة تمامًا أن هذه هي الطريقة التي يجب أن يكون عليها الأمر.

سألتُ تايلور: «أليس الوقتُ متأخرًا قليلًا من العام بالنسبة لحفل تخرُّج؟ ألم يكن حفل تخرجنا في شهر مايو تقريبًا؟».

فأوضحَتْ قائلة: «لقد أخبرتني أختي بأنهم قد اضطروا إلى تبكير موعد حفل التخرج هذه السنة بسبب فضيحةٍ ما مع وكيل المدرسة. لقد اختفت كل أموال الحفل أو شيءٌ من هذا القبيل. لذا لم يكن حفل تخرج بالمعنى الحرفي. (ضحكتُ). كما أن المدارس والجامعات الخاصة دائمًا ما تقيم حفلات تخرجها متأخرًا، أتذكرين؟ حفلة «كولجيت سانت جو»؟».

فذكَّرتُها قائلة: «إنني لم أحضر سوى حفلة تخرجٍ واحدة».

إن واحدةً كانت أكثر من كافيةٍ بالنسبة لي.

تجولتُ في المتجر ووجدتُ فستانًا واحدًا أعجبني. كان بلا أكمام ولا حمَّالات، بلونٍ أبيض وهَّاج. لم أكن أعلم أنه ثمة درجات من اللون الأبيض من قبل؛ حسبتُ أن الأبيض أبيض فحسب. وعندما وجدتُ تايلور، كانت تحمل كومةً من الفساتين على ذراعها. كان علينا الانتظار في طابور من أجل غرفة القياس. حدَّثَتِ الفتاة الواقفة أمامي أمها قائلة: «سأفزع إذا ارتدت إحداهن نفس فستاني».

تبادلتُ أنا وتايلور نظرة، حرَّكَتْ تايلور شفتيها وقالت متهكمة من دون أن تصدر صوتًا: «سأفزع».

بدا أن انتظارنا في هذا الطابور قد طال إلى أبد الآبدين. وعندما جاء دوري، أمرَتْ تايلور قائلة: «جرِّبي هذا أولًا».

وبكل إخلاص، أطعتُها.

صاحت تايلور من كرسيها بجانب المرآة ثلاثية الاتجاهات: «اخرجي!».

كانت منتظرة مع بقية الأمهات في الخارج.

صرختُ قائلة: «لا أظن أنه يعجبني. إنه لامع جدًّا. أبدو مثل الساحرة الطيبة «جليندا» (Glinda) أو شيء من هذا القبيل».

- فقط اخرجي ودعيني أرَكِ!

خرجتُ، وكانت هناك بالفعل فتاتان أُخريان عند المرآة، تتفقَّدان نفسيهما من الخلف. وقفتُ خلفهما. ثم خرجَتِ الفتاة التي كانت تتحدث قبل قليل وهي مرتدية نفس فستاني ولكن بلون الشمبانيا. ورأتني، وعلى الفور سألتني قائلة: «أي حفلة تخرج التي ستذهبين إليها؟».

نظرتُ أنا وتايلور إلى بعضنا بعضًا في المرآة. كانت تايلور قد غطت فمها، وهي تقهقه.

قلتُ: «لستُ ذاهبة إلى حفلة تخرج».

وقالت تايلور: «إنها ستتزوج!».

فتحت الفتاة فمها على مصراعيه: «كم عمركِ؟ تبدين صغيرة جدًّا».

قلتُ: «لستُ صغيرة إلى هذا الحد. إنني في التاسعة عشرة من عمري».

سأتم التاسعة عشر بقدوم شهر أغسطس، ولكن التاسعة عشرة بدت أكبر بكثير من الثامنة عشرة.

قالت: «أوه، ظننتُنا في نفس العمر».

نظرتُ إلينا في المرآة ونحن واقفتَين هناك بنفس الفستان. وأنا أيضًا قد ظننتُنا في نفس العمر. رأيتُ والدتها تنظر إليَّ وتهمس إلى السيدة التي بجانبها، وشعرتُ بنفسي أحمرُّ خجلًا.

لاحظت تايلور ذلك أيضًا، وبصوت عالٍ قالت: «بالكاد يمكنكِ حتى معرفة أنها حامل في شهرها الثالث».

شهقت المرأة. نظرت إليَّ وهي تهزّ رأسها يمينًا ويسارًا، فهززتُ كتفيَّ قليلا. ثم أمسكت تايلور بيدي وركضنا إلى غرفة القياس ونحن نضحك.

قلتُ بينما كانت تفك سحّاب فستاني: «أنتِ صديقة جيدة».

نظرنا إلى بعضنا بعضًا في المرآة، أنا بفستاني الأبيض وهي بسروالها القصير من الجينز ممزق الأطراف ونعليها الشاطئيَّين. شعرتُ أنني على وشك البكاء. ولكن أنقذت تايلور الموقف.. وجعلتني أضحك بدلًا من ذلك. تظاهرَتْ بالحَوَل وأخرجَتْ لسانها وأخذَتْ تُحركه على جانبَي فمها. كان شعورًا رائعًا أن أضحك مرةً أخرى.

بعد المرور على ثلاثة متاجر أخرى، جلسنا في قاعة الطعام، ونحن لا نزال بلا فستان. أكلت تايلور البطاطس المقلية وأنا تناولتُ الزبادي المثلَّج وفوقه رشَّات من سكاكر التزيين بألوان قوس قزح. كانت قدماي تؤلمانني، وكنتُ أرغب بالفعل في العودة إلى المنزل. لم يكن اليوم ممتعًا كما كنتُ آمل أن يكون. انحنتْ تايلور نحوي عبر الطاولة وغمَّسَتْ إحدى أصابع البطاطس المُغمَّسة بالفعل في صلصة الكاتشب في الزبادي المثلَّج الخاص بي. فانتزعتُ الكوب بعيدًا عنها.

- تايلور! هذا مقزز.

فهزَّت كتفيها قائلة: «مَن المُتحَدِّث؟ الفتاة التي تضع مسحوق السكر على حبوب الإفطار؟ (ثم مدَّتْ يدها لي بإحدى أصابع البطاطس..) فقط جرِّبيها».

غمَّستُها في الكوب، مع الحرص على ألَّا تأتي عليها أيٌّ من رشَّات سكاكر التزيين، لأن هذا سيكون مقززًا للغاية فحسب. وضعتُها في فمي. لم تكن سيئة.

قلتُ وأنا أبتلع: «ماذا لو لم نتمكن من العثور على فستان؟».

فأكدَّتْ لي وهي تعطيني إصبعًا أخرى من البطاطس: «سنجد فستانًا. لا تتقمصي شخصية «ديبي دونر» (Debbie Downer) المتشائِمة أرجوكِ».

* * *

كانت مُحقة. وجدناه في المتجر التالي. كان آخر فستان جرَّبته. كل شيء آخر إما مكلِّف جدًّا وإما مكلِّف جدًّا جدًّا وحسب. وهذا الفستان كان طويلًا وأبيضَ وحريريًّا وبدا كشيءٍ يمكن ارتداؤه على الشاطئ. ولم يكن باهظ

الثمن، وهذا مُهم. ولكن الأهم من ذلك كله، أنني عندما نظرتُ إلى المرآة، تمكنتُ من تصوُّر نفسي وأنا أتزوَّج مرتديةً إياه.

في توتُّر، خطوتُ إلى الخارج، وأنا أضبُط الفستان من الجانبين، ثم رفعتُ رأسي ونظرتُ إليها قائلة: «ما رأيكِ؟».

كانت عيناها تلمعان: «إنه مثالي. مثالي وحسب!».

- أتعتقدين ذلك؟

- تعالي وانظري إلى نفسكِ في هذه المرآة وأخبريني أيتها العاهرة.

وبينما كنتُ أضحك، صعدتُ على المِنصَّة، وحدَّقتُ إلى نفسي في المرآة الثلاثية الاتجاهات. كان هذا هو. هذا هو فستاني.

الفصل السادس والعشرون

في تلك الليلة، جربتُ فستاني مرةً أخرى واتصلتُ بجيرمايا.

أخبرته قائلة: «لقد وجدتُ فستاني. إنني أرتديه الآن».

- كيف يبدو؟

- إنه مفاجأة، أعدك أنه جميل، جميل حقًّا، وجدته أنا وتايلور في خامس متجر ذهبنا إليه. وحتى إنه لم يكلِّف الكثير. (مررتُ يديَّ على القماش الحريري..) إنه يناسبني تمامًا، لذا لن أضطر إلى إجراء تعديلات عليه أو أي شيء.

- إذن لما يبدو صوتكِ حزين جدًّا هكذا؟

جلستُ على الأرض، وقد ضممتُ ركبتيَّ إلى صدري: «لا أعرف. ربما لأن أمي لم تكن هناك لتساعدني في اختياره... اعتقدتُ أن شراء فستان الزفاف من المفترض أن يكون شيئًا مميزًا تفعله الفتاة مع أمها، ولكنها لم تكن هناك. كان يومًا لطيفًا بصحبة تايلور، ولكنِّي تمنيت لو كانت أمي هناك أيضًا».

ظلَّ جيرمايا صامتًا. ثم قال: «هل طلبتِ منها الذهاب معكِ؟».

- لا، ليس حقًّا. ولكنها تعرف بأنني أردتُها معي. إنني فقط أكره أنها ليست جزءًا من هذا.

تركتُ باب غرفتي مفتوحًا، على أمل أن تمرَّ أمي بجواره، على أمل أن تراني مرتدية الفستان فتتوقف. بيدَ أنها لم تفعل حتى الآن.

- ستأتي.

- أتمنى ذلك. لا أعرف ما إذا كنتُ أستطيع تصوُّر أن أتزوج من دون حضور أمي، أتعلم هذا؟

سمعتُ جير يتنهَّد تنهيدة صغيرة: «أجل أعلم، وأنا كذلك».

وعرفتُ حينها أنه كان يفكر في سوزانا.

في صباح اليوم التالي، كنتُ أنا وأمي نتناول الإفطار: أمي الزبادي مع الموسلي، وأنا الوافل المُجَمَّد الخاص بي، عندما دقَّ جرس الباب.

رفعت أمي رأسها من جريدتها. وسألتني قائلة: «أتنتظرين أحدًا؟».

هززتُ رأسي بالنفي، ونهضتُ لأرى مَن الطارق. فتحتُ الباب، معتقدةً أنها ستكون تايلور، مُحمَّلة بمزيدٍ من مجلات الزفاف. ولكن بدلًا من ذلك، وجدتُ جيرمايا. كان يحمل باقةً من زهور الزنبق. وكان يرتدي قميصًا جميلًا، قميصًا أبيضَ منقوشًا بمربعات باللون الأزرق الفاتح.

ضربتُ بيديَّ على فمي من السعادة.

صرختُ من وراء يديَّ قائلة: «ماذا تفعل هنا؟».

ضمَّني إليه في عناق. كنتُ أستطيع شمَّ رائحة قهوة ماكدونالدز في أنفاسه. لا بدَّ أنه قد استيقظ مبكرًا جدًّا ليصل إلى هنا. كان جيرمايا يحب وجبات إفطار ماكدونالدز، ولكنه لم يكن يستطيع الاستيقاظ مبكرًا بما يكفي ليحظى بواحدة.

- لا تتحمسي كثيرًا. هذه ليست لكِ. هل لوريل هنا؟

شعرتُ بصدمةٍ وذهول.

- إنها تتناول فطورها. تعالَ إلى الداخل.

فتحتُ له الباب، فتبعني إلى المطبخ.

قلتُ مبتهجة: «أمي، انظري مَن هنا!».

بدت أمي مدهوشة، وقالت وملعقتُها في منتصف طريقها إلى فمها: «جيرمايا!».

مشى إليها حاملًا الزهور في يده. وقال وهو يبتسم: «كان عليَّ فقط أن آتي وألقي التحية على حماتي المستقبلية كما يجب».

ثم طبع قبلة على خدِّها ووضع الزهور بجانب وعاء الزبادي الخاص بها.

كنتُ أشاهد من كثب. إذا كان ثمة أي شخص يستطيع أن يسحر أمي، فهو جيرمايا. لقد شعرتُ بالفعل بأن التوتر قد تبخَّر من منزلنا. ابتسمَتِ ابتسامة قد بدت مُفتعلة، ولكنها كانت ابتسامة على أي حال.

نهضَتْ. وقالت: «سعيدةٌ لأنكَ أتيت. لقد كنتُ أرغب في التحدث معكما».

فرك جيرمايا يديه معًا: «حسنًا حسنًا. فلنقم بذلك. بيلي، تعالي إلى هنا. عناقٌ جماعي أولًا».

حاولت أمي ألَّا تضحك عندما عانقها جيرمايا بقوة. وقد أشار إليَّ لأنضم إليهما، فأتيت من خلف أمي وعانقتُها من حول خصرها. لم تستطع تمالُك نفسها: تسربت ضحكة من شفتيها.

- حسنًا، حسنًا. دعونا نذهب إلى غرفة المعيشة. جير، هل أكلت؟

فأجبتُ نيابة عنه قائلة: «شطيرة البيض من ماكدونالدز، أليس كذلك يا جير؟».

قال وقد غمز لي: «تعرفينني جيدًا».

كانت أمي قد دخلت بالفعل إلى غرفة المعيشة، وظهرها مُدَارٌ إلينا.

أخبرتُه بصوتٍ خفيض قائلة: «أستطيع شم رائحة ماكدونالدز في أنفاسك».

وضع يده على فمه، وقد بدا مُحرَجًا، وهو لأمرٌ نادر بالنسبة له.

سألني: «هل رائحتها كريهة؟».

شعرتُ بالكثير من الحُنُوِّ تجاهه في تلك اللحظة.

قلتُ له: «لا. مُطلقًا».

جلس ثلاثتنا في غرفة المعيشة، أنا وجيرمايا على الأريكة، وأمي على الكرسي ذي الذراعين المقابل لنا. كان كل شيءٍ يسير على ما يرام. لقد جعل أمي تضحك. لم أكن قد رأيتُها تضحك أو تبتسم منذ أخبرناها. لذا بدأ ينتابني أمل، كما لو أن الأمر قد ينجح بالفعل.

أول شيء قالته هو: «جيرمايا، أنت تعلم أنني أحبك. ولا أرغب بشيءٍ سوى الأفضل لك. ولهذا السبب لا أستطيع أن أدعم ما تفعلانه».

انحنى جيرمايا للأمام: «لور...».

رفعت أمي يدها: «أنتما صغيران جدًّا. كلاكما صغير. لا تزالان تنضجان، شخصيتكما تتبلور وتتطور لتصبحا الشخصين اللذين ستكونان عليهما يومًا ما، أنتما لا تزالان طفلين. لستما مستعدَّين لالتزامٍ كهذا. إنني هنا أتحدث عن عُمرٍ بأكمله يا جيرمايا».

فقال متلهفًا: «لوريل، إنني أرغب في أن أكون مع بيلي مدى الحياة. يمكنني الالتزام بهذا، بسهولة».

هزَّت أمي رأسها: «وهكذا أعرف أنكَ لست مستعدًّا يا جيرمايا. إنك تأخذ الأمور ببساطةٍ شديدة. هذا ليس بقرارٍ تتخذه لمجرد مرورك بنزوة عابرة. هذا أمرٌ جاد».

لقد أغضبتني حقًّا تلك النبرة المتعالية التي تحدثَتْ بها. كنتُ في الثامنة عشرة من عمري، وليس الثامنة. وكان جيرمايا في التاسعة عشرة من عمره. لقد كبرنا بما يكفي لندرك أن الزواج أمرٌ جدِّي. لقد رأينا الطريقة التي أفسد بها آباؤنا زواجهم. لم نكن لنرتكب الأخطاء نفسها. بيدَ أنني لم أقل أيَّ شيء. كنتُ أعلم أنني لو غضبتُ وحاولتُ الجدال، فلن يؤدي ذلك إلا لإثبات وجهة نظرها. لذا اكتفيتُ فقط بالجلوس في صمت.

- أريدكما أن تنتظرا. أريد أن تُنهي بيلي دراستها. وعندما تتخرج، لو كنتما لا تزالان تحتفظان بنفس الشعور، فلتفعلا ذلك حينها. ولكن ليس قبل أن تتخرج بيلي. ولو كانت سوزانا هنا لوافقتنِي الرأي.

قال جيرمايا: «أعتقد أنها كانت ستكون سعيدة حقًّا من أجلنا (وقبل أن تتمكن أمي من معارضته، أضاف قائلًا...) لا يزال بإمكان بيلي إنهاء دراستها في الوقت المحدد، أستطيع أن أعدكِ بهذا. سأعتني بها جيدًا. فقط أعطينا موافقتكِ. (مدَّ يده ولمس يدها، وقد هزَّها بخفة ومرح). بربكِ يا لور. تعلمين أنكِ لطالما أردتني صهرًا».

بدَت أمي متألمة: «ليس بهذا الشكل يا عزيزي. أنا آسفة».

مرَّت لحظات طويلة من الصمت. صمتٌ مُربك. وبينما كان ثلاثتنا جالسين هناك، شعرتُ بنفسي وقد بدأت عيناي تدمعان. فوضع جيرمايا ذراعه حول كتفيَّ.

سألتُها: «أيعني هذا أنكِ لن تحضري حفل الزفاف؟».

فقالت وهي تهز رأسها: «إيزابيل، أيُّ حفل زفاف؟ ليس لديكما المال لدفع تكاليف حفل زفاف».

قلتُ: «هذا شأننا نحن، وليس شأنكِ. فقط أريد أن أعرف، هل ستأتين؟».

- لقد أعطيتكما إجابتي بالفعل. كلَّا، لن أكون هناك.

- كيف يمكنكِ قول ذلك؟ (زفرتُ نفسًا، محاولةً الحفاظ على هدوئي). أنتِ غاضبة فقط لأنكِ ليس لديكِ رأيٌ في هذا. ليس لديكِ رأيٌ فيما يحدث. وهذا يقتلكِ.

فانفجرتْ قائلة: «أجل، يقتلني! إن رؤيتكما تتخذان مثل هذا القرار الغبي تقتلني».

ثبتت أمي عينيها عليَّ، ولكني أدرتُ رأسي بعيدًا عنها، وكانت ركبتاي ترتجفان. لم أستطع الاستماع إليها أكثر من ذلك. لقد كانت تُسمم خبرنا السار بكل شُكوكِها وسلبيتها. كانت تشوِّه كلَّ شيء.

نهضتُ قائلة: «سأغادر إذن. لن تضطري إلى مشاهدة ذلك بعد الآن».

بدا جيرمايا مذهولًا: «بربكِ يا بيلز. اجلسي».

قلتُ: «لا أستطيع البقاء هنا».

لم تقل أمي كلمةً واحدة. ظلَّتْ جالسة هناك وحسب، وظهرها مستقيم كالمسطرة. خرجتُ من غرفة المعيشة وصعدتُ الدرَج.

وفي غرفتي، حزمتُ أمتعتي بسرعة، مُلقيةً بكومةٍ من القمصان والملابس الداخلية في حقيبة سفري. وكنتُ أرمي بحقيبة أدوات نظافتي الشخصية أعلى الكومة عندما دخل جيرمايا إلى غرفتي. وأغلق الباب خلفه.

جلس على سريري. سأل وقد بدا الذهول على وجهه: «ما الذي حدث للتو؟».

لم أجبه، وواصلتُ حزم أمتعتي.

سألني قائلًا: «ماذا تفعلين؟».

- ماذا يبدو أنني فاعلة؟

- حسنًا، ولكن هل لديكِ خطة؟

أغلقتُ حقيبتي: «أجل، لديَّ خطة. سأمكث في منزل كازينز حتى موعد الزفاف. لا أستطيع التعامل معها».

حبس جيرمايا أنفاسه: «هل أنتِ جادة؟».

- لقد سمعتَها. إنها لا تغيِّر رأيها. هذه هي الطريقة التي تريدها.

قال وقد بدا مترددًا: «لا أعلم... وماذا عن وظيفتكِ؟».

- أنت مَن أخبرني بأنني عليَّ أن أستقيل. سيكون الأمر أفضل على هذا النحو. يمكنني التخطيط لحفل الزفاف في كازينز أفضل مما أستطيع هنا.

كنتُ أتعرَّق وأنا أرفع حقيبتي: «إذا كانت لا ترغب في مشاركتنا القطار، فهذا مؤسفٌ للغاية. لأن هذا سيحدث على أي حال».

حاول جيرمايا أخذ الحقيبة مني، ولكني أخبرته بألَّا يُزعج نفسه.

سحبتها نزولًا على الدرَج حتى وصلتُ إلى السيارة. دون كلمة واحدة مِن أمي أو إليها. لم تسأل إلى أين نحن ذاهبان، ولم تسألني متى سأعود.

في طريقنا إلى خارج المدينة، توقفنا عند مطعم بيرس. انتظرَني جير في سيارته بينما دلفتُ أنا إلى الداخل. لو لم أتشاجر مع أمي للتو، لم أكن لأتحلى بالجُرأة للاستقالة بهذه الطريقة. فعلى الرغم من توافُد الناس إلى المطعم وخروجهم منه طوال الوقت، وخاصةً الطلاب... إلَّا أن هذا لم يمنعني. توجهتُ مباشرةً إلى المطبخ، ووجدتُ مديرتي، ستايسي، وقلتُ لها إني آسفة، ولكن اتضح أنني سأتزوج بعد شهرين ولن أستطيع الاستمرار في العمل هناك. نظرتْ ستايسي إلى بطني، ومن ثم إلى الخاتم في إصبعي وقالت: «تهانيَّ يا إيزابيل. ولعلمكِ، سيظل دائمًا هنالك مكان لكِ هنا في بيرس».

وعندما صرتُ وحدي في سيارتي من جديد، بكيتُ بصوتٍ عالٍ، وبتنهُّداتٍ وعرةٍ وقاسية. بكيتُ حتى آلمني حلقي. كنتُ غاضبةً من أمي، ولكن الأكبر من ذلك، كان ذلك الحزن الثقيل الساحق بداخلي. لقد كبرتُ بما يكفي لأقوم بالأشياء بمفردي، من دونها. أستطيع الزواج، أستطيع ترك وظيفتي. إنني فتاةٌ كبيرة الآن. لم يكن عليَّ طلب الإذن منها. لم تعد أمي صاحبة النفوذ المطلق. غير أن جزءًا مني تمنى لو أنها ظلت كذلك.



الفصل السابع والعشرون

كنَّا على بُعد نصف ساعة من كازينز عندما اتصل جيرمايا وقال: «كونراد في كازينز».

تصلَّب جسدي بأكمله. كنا واقفين عند إشارة مرور، وسيارة جيرمايا أمام سيارتي.

- منذ متى؟

- منذ الأسبوع الماضي. لقد بقي هناك بعد ما حدث في المطعم. لقد عاد مرة ليأخذ أغراضه، ولكني أعتقد أنه سيقضي الصيف هناك.

- أوه. أتعتقد أنه سيمانع بقائي هناك؟

كان بإمكاني سماع تردُّد جير: «لا، لا أعتقد أنه سيمانع. أتمنى فقط لو أنني أستطيع البقاء هناك أيضًا. لولا ذلك التدريب الغبي، لكنتُ استطعتُ ذلك. لربما عليَّ تركه وحسب».

- لا يمكنكَ ذلك. سيقتلُك والدك.

- أجل، أعلم. (كان بإمكاني سماعه يتردد مرةً أخرى، ثم قال..) لا أشعر بالراحة حيال الحالة التي تركنا عليها الأمور مع والدتكِ. لربما علينا العودة إلى المنزل يا بيلز.

- لن ينجح ذلك. سنتشاجر مجددًا وحسب. (تحوَّل الضوء إلى اللون الأخضر). أتعرف؟ في الواقع أعتقد أن هذا سيجعل الوضع أفضل. سيمنح مساحةً لكلينا.

قال جيرمايا: «كما ترين...».

أستطيع القول بأنه لم يكن يوافقني تمامًا.

قلتُ: «دعنا نتحدث أكثر عن الأمر عندما نصل إلى منزل الشاطئ».

ومن ثم أنهينا المكالمة.

لقد جعلني خبر وجود كونراد في كازينز أشعر بعدم الارتياح. ربما المكوث في المنزل الصيفي ليس هو الحل.

ولكن بعد ذلك، عندما أوقفتُ سيارتي في ممر السيارات الفارغ أمام المنزل، شعرتُ بارتياحٍ لا يُصدَّق لعودتي. منزل الشاطئ، لقد عدتُ إلى منزل الشاطئ. بدا المنزل كما هو، شاهقًا، باللونين الرمادي والأبيض. وقد أيقظ بداخلي الشعور نفسه. وكأنني فعلًا حيث أنتمي. وكأنني أستطيع التنفس مرةً أخرى.

* *

كنتُ جالسة في حضن جيرمايا على كرسي الاستلقاء عندما سمعنا سيارةً تتوقف. كان كونراد، وقد خرج من السيارة ومعه كيس بقالة. بدا متفاجئًا لرؤيتنا جالسَين هناك في التراس. نهضتُ ولوَّحتُ إليه. مدَّ جيرمايا يديه وراء رأسه ومال إلى الخلف في كرسيه.

قال: «مرحبًا يا كون».

فقال وهو يسير نحونا: «ما الأخبار، ما الذي تفعلانه هنا؟».

وضع كونراد كيس البقالة جانبًا، وجلس على المقعد المجاور لجيرمايا، وأنا ظللتُ فقط أحوم فوقهما نوعًا ما.

فقال جيرمايا بغموض: «أمور الزفاف».

كرر كونراد قائلًا: «أمور الزفاف؟ إذن أنتما يا رفيقيَّ ستفعلان ذلك حقًّا؟».

- أجل، أجل بحق الجحيم، سنفعل ذلك. (سحبني جيرمايا إلى حضنه مرةً أخرى). أليس كذلك يا زوجتي الصغيرة؟

فقلتُ وقد جعَّدتُ أنفي: «لا تنادِني بزوجتي الصغيرة. يا للاشمئزاز!».

تجاهلني كونراد، وسأل موجِّهًا كلامه إلى جير: «أهذا يعني أن لوريل قد غيرت رأيها؟».

فأجاب جيرمايا قائلًا: «ليس بعد، ولكنها ستفعل».

ولم أُصحح له قوله.

جثمتُ هناك قرابة عشرين ثانية قبل أن أخرج من نطاق ذراعيه وأنهض مجددًا.

قلتُ وقد انحنيتُ لأسفل لأتفحَّص كيس البقالة الخاص بكونراد: «إنني أتضور جوعًا. هل اشتريت أيَّ شيء جيد؟».

ابتسم لي كونراد نصف ابتسامةٍ مرتبكة: «لا يوجد أي «شيتوس» أو بيتزا مجمَّدة هنا من أجلكِ. آسف. ولكن مع ذلك لديَّ أغراض للعَشاء. سأعدُّ شيئًا ما لنا».

نهض، وأخذ كيس البقالة، ودخل إلى المنزل.

وعلى العشاء، أعدَّ كونراد سلطة الأفوكادو بالطماطم والريحان، وصدور الدجاج المشوية. تناولنا الطعام بالخارج في التراس.

وبفم مملوء بالدجاج، قال جيرمايا: «واو! أنا منبهر. منذ متى وأنت تطبخ؟».

- منذ بدأتُ أعيش بمفردي. هذا هو كل ما آكله تقريبًا. الدجاج. كل يوم. (دفع كونراد وعاء السلطة نحوي. دون أن يرفع رأسه لينظر إليَّ). هل أخذتِ ما يكفيكِ؟

- أجل. شكرًا يا كونراد. إنها طيبة حقًّا.

فردد جيرمايا: «طيبة حقًّا».

هزَّ كونراد كتفيه فحسب، غير أن طرفَي أُذنيه قد تحولا إلى اللون الوردي، فعرفتُ أنه مسرور.

وخزتُ جيرمايا في ذراعه بشوكتي، وقلتُ: «يمكنك تعلُّم شيءٍ أو اثنين».

فوخزني جيرمايا هو الآخر: «ويمكنكِ أنتِ كذلك. (تناول قضمةً كبيرة من السلطة قبل أن يُعلن قائلًا..) ستمكث بيلي هنا حتى يوم الزفاف. هل هذا مناسبٌ لك يا كون؟».

أستطيع القول إن كونراد كان متفاجئًا، لأنه لم يُجب على الفور.

أكدتُ له: «لن أعترض طريقك. سأقضي وقتي في ترتيب أمور الزفاف وحسب».

قال: «لا بأس. لا أبالي».

نظرتُ إلى أسفل، في طبقي، وقلتُ: «شكرًا».

إذن، بدا أن قلقي كان بلا داعٍ. فها هو كونراد لا يأبه بوجودي من عدمه. ليس الأمر وكأنه يجب علينا قضاء الوقت معًا، هو سيفعل ما يريد فعله دائمًا، وأنا سأنشغل بالتخطيط لحفل الزفاف، وسيأتي جيرمايا كل جُمعة للمساعدة. سيكون الأمر على ما يرام.

بعد أن انتهينا من تناول العشاء، اقترح جيرمايا أن نذهب جميعًا لتناوُل المُثلَّجات للتحلية. رفض كونراد قائلًا بأنه سيقوم بالتنظيف.

قلتُ: «ليس على الطباخ التنظيف».

ولكنه قال بأنه لا يمانع في ذلك.

ذهبتُ أنا وجير إلى المدينة، نحن الاثنان فقط. حظيتُ بملء مغرفةٍ من الآيس كريم بنكهة البسكويت والكريمة وملء مغرفةٍ أخرى بنكهة عجينة الكوكيز مع رشّات سكاكر التزيين في مخروطٍ من بسكويت الوافل. أما جيرمايا فحظي بآيس كريم بمزيجٍ من النكهات وألوان قوس قزح.

سألني بينما كنا نتجوَّل في الممشى: «أتشعرين بتحسُّن؟ بخصوص ما حدث مع والدتكِ؟».

- ليس حقًّا. أفضل ألَّا أتحدث أكثر من ذلك لليوم.

أومأ جيرمايا: « كما تريدين».

غيَّرتُ الموضوع: «هل أحصيتَ عدد الأشخاص الذي تود دعوتهم؟».

- أجل. (بدأ يعد أسماءً على أصابعه..) جوش، وريدبيرد، وجايب، وأليكس، وسانشيز، وبيترسون.

- لا يمكنك دعوة جميع أعضاء أخويَّتك.

فقال وقد بدا مجروحًا: «إنهم إخوتي».

- حسبتُ أننا سنبقيه حفلًا صغيرًا للغاية.

- حسنًا إذن، سأدعو عددًا قليلًا منهم، اتفقنا؟

- اتفقنا.

قلتُ وأنا ألعق الآيس كريم من الأطراف لكيلا يسيل: «حسنًا. لا يزال يتعين علينا اختيار الطعام».

قال جيرمايا ضاحكًا: «يمكننا دائمًا جعل كُون يشوي بعض الدجاج».

- سيكون إشبينك. لا يمكنه أن يتعرَّق أمام الشواية.

- كنتُ أمزح.

- هل سألته بعد؟ أن يكون إشبينك؟

- ليس بعد. ولكني سأفعل.

انحنى وأخذ قضمةً من الآيس كريم الخاص بي. وكان يوجد بعضٌ منه على شفته العليا، وكأنه شاربٌ من الحليب.

عضضتُ على خدَّيَّ من الداخل لأمنع نفسي من الضحك.

- ما المضحك إلى هذا الحد؟

- لا شيء.

عندما عدنا إلى المنزل، كان كونراد يشاهد التلفاز في غرفة المعيشة، ولمَّا جلسنا على الأريكة، نهض هو، وقال وهو يُمدِّد ذراعيه فوق رأسه: «سأذهب إلى الفراش».

قال جيرمايا: «الساعة لا تزال العاشرة تقريبًا. فلتشاهد فيلمًا معنا».

- لا، سأستيقظ مبكرًا غدًا لركوب الأمواج. أترغب في الانضمام إليَّ؟

نظر إليَّ جيرمايا نظرةً خاطفة قبل أن يقول: «أجل، تبدو فكرة رائعة».

فقلتُ: «ظننتُ أننا سنعمل على قائمة المدعوين في الصباح».

- سأعود قبل أن تستيقظي حتى. لا تقلقي. (وقال لكونراد..) اطرق بابي عندما تستيقظ.

تردد كونراد ثم قال: «لا أرغب في إيقاظ بيلي».

كان بإمكاني الشعور باحمرار وجنتيَّ.

قلتُ: «لن يزعجني ذلك».

منذ أن أصبحتُ أنا وجيرمايا حبيبين لم يجمعنا المنزل الصيفي إلا مرة واحدة. تلك المرة التي خلدتُ إلى النوم معه في غرفته. شاهدنا التلفاز حتى غفا في النوم، لأنه كان يحب النوم والتلفاز مُشغَّل في الخلفية. لم أستطع النوم على هذا النحو، لذا انتظرتُ حتى نام، ثم أطفأته. بدا شعورًا غريبًا بعض الشيء، أن أنام في سريره، بينما سريري موجود في آخر الردهة وحسب.

في الجامعة، كنا ننام في السرير نفسه طوال الوقت، وقد بدا ذلك عاديًّا. ولكن هنا، في المنزل الصيفي، شعرتُ فقط بأنني أرغب في النوم في غرفتي الخاصة، وعلى سريري الخاص. كان هذا هو المألوف بالنسبة لي.

لقد جعلني أشعر وكأنني فتاة صغيرة لا تزال تقضي إجازتها مع عائلتها بأكملها. ملاءاتي الرقيقة كالورق بنقشة براعم الورود ذات اللون الأصفر الباهت، وخزانة ملابسي وطاولة زينتي المصنوعتان من خشب الكرز. كان لديَّ سريرَان متطابقان أبيضَا اللون، غير أن سوزانا تخلصت منهما ووضعت ما أسمته بــ«سرير الفتاة الراشدة». لقد أحببتُ هذا السرير.

صعد كونراد إلى الطابق العلوي، وانتظرتُ حتى سمعتُ باب غرفة نومه يُغلَق قبل أن أقول: «لربما سأنام في غرفتي الليلة».

سأل جيرمايا: «لماذا؟ أعدكِ بأنني سأبقى هادئًا عندما أستيقظ».

وبحرص سألته: «أليس من المُفترض أن ينام العروسان في سريرين مختلفين قبل الزفاف؟».

- أجل، ولكن هذا في الليلة السابقة للزفاف. وليس في كل ليلة تسبق الزفاف. (بدا متألمًا للحظة، ثم قال بطريقته المازحة..) بربكِ! تعلمين أنني لن ألمسكِ.

رغم أنني كنتُ أعلم بأنه كان يمزح فحسب، إلا أن سماع ذلك كان لا يزال مؤلمًا بعض الشيء.

- الأمر ليس هكذا. إن النوم في غرفتي الخاصة يجعلني أشعر... وكأن الأمور عادية. أشعر بأن الأمر هنا.. مختلفًا عما كنا في الجامعة. في الجامعة، كان النوم وأنت بجانبي يبدو هو الشيء العادي. ولكن هنا فأحب تذكُّر ما كنتُ أشعر به من قبل.

بحثتُ في وجهه لمعرفة ما إذا كان أثر كلماتي لا يزال موجودًا.

- هل يبدو هذا منطقيًّا بأيِّ شكلٍ من الأشكال؟

- أعتقد ذلك.

بدا جيرمايا غير مقتنع، وبدأتُ أتمنى لو أنني لم أطرح هذا الموضوع أصلًا.

اقتربتُ منه ووضعتُ قدميَّ في حِجره: «ستحظى بي بجانبك في كل ليلةٍ لبقية حياتنا».

- أجل، أظن أن هذا سيكون أكثر من كافٍ.

قلتُ وأنا أركل ساقَيَّ: «ياا!».

ابتسم جيرمايا وحسب، ووضع وسادة فوق قدميَّ. ثم غيَّر القناة وشاهدنا التلفاز دون أن ننبس ببنت شفة حول الأمر. وعندما حان وقت النوم، ذهب إلى غرفته، وذهبتُ إلى غرفتي.

وحظيت بنومٍ أفضل من الأسابيع الماضية.

الفصل الثامن والعشرون

كونراد

سألتُ جير ما إذا كان يرغب في الذهاب إلى ركوب الأمواج لأنني أردته بمفرده لأعرف ماذا يجري بحق الجحيم. لم أتحدث معه منذ أن صرَّح بخبره الكبير في المطعم. بيدَ أن الآن، بعد أن أصبحنا وحدنا لا أعرف ماذا عساي أن أقول. تمايلنا على لوحَي ركوب الأمواج الخاصين بنا، في انتظار الموجة التالية. كان الأمر يسير ببطء حتى الآن.

تنحنحتُ، ثم قلتُ: «إذن.. إلى أيِّ مدى لوريل غاضبة؟».

فقال جير مكشِّرًا: «غاضبة حقًّا. لقد خاضت بيلي معها شجارًا كبيرًا جدًّا بالأمس».

- أمامك؟

- أجل.

- تبًّا.

غير أنني لم أتفاجأ، لوريل ليست بهذه البساطة، وكأنها ستقول.. أجل، طبعًا، سأقيم حفل زفاف لابنتي المراهِقة.

- أجل، أتفق تمامًا.

- وما قول أبي في كل هذا؟

نظر إليَّ نظرةً مضحكة: «منذ متى وأنت تهتم بما يقوله أبي؟».

نظرتُ نحو المنزل. وترددتُ قبل أن أقول: «لا أعرف. إذا كانت لوريل ضد الأمر وأبي ضده، فلربما عليكما ألَّا تفعلا ذلك. أعني، أنتما لا تزالان في الجامعة. وأنت لا تملك وظيفةً حتى. عندما تفكر في الأمر، فإنه يبدو مضحكًا نوعًا ما...».

تهدَّج صوتي هنا حتى تلاشى. وكان جير يرمقني بنظراتٍ غاضبة.

- فلتبقَ خارج الأمر يا كونراد.

كان يبصق الكلمات فعليًّا.

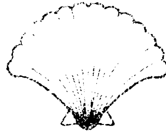
- حسنًا. آسف. لم أقصد أن... أنا آسف.

- لم أسألك عن رأيك قط. هذا أمر يخصني أنا وبيلي.

- معكَ حق. انس الأمر.

لم يُجب جيرمايا. نظر إليَّ من فوق كتفه، ثم بدأ يُجدِّف مبتعدًا. وعندما عَلَت الموجة، ركبها متجهًا إلى الشاطئ. لكمتُ يديَّ في الماء. لقد أردتُ ركل مؤخرته. *هذا أمر يخصني أنا وبيلي*. متعجرفٌ قذر!

إنه سيتزوج فتاتي، ولا أستطيع فِعل أيِّ شيءٍ حيال ذلك. كان عليَّ فقط أن أشاهد ما يحدث، لأنه أخي. ولأنني قطعتُ وعدًا. *اعتني به يا كُوني. إنني أعتمد عليك*.



الفصل التاسع والعشرون

عندما استيقظتُ في صباح اليوم التالي، كانا لا يزالان يمارسان ركوب الأمواج، لذا أخذتُ مُجلَّدي ومُفكرتي وكوبًا من الحليب وخرجتُ إلى التراس.

وفقًا لقائمة تايلور، فإن علينا إعداد قائمة الضيوف قبل أن نتمكن من فِعل أيِّ شيءٍ آخر. وبدا هذا منطقيًّا. وإلا كيف سيتسنى لنا معرفة مقدار الطعام الذي نحتاج إليه وكل شيءٍ آخر؟

وحتى الآن، كانت قائمتي قصيرة. تايلور، ووالدتها، وبضع فتيات: مارسي، وبلير، وربما كاتي.. بالإضافة إلى أنيكا، وأبي، وستيفن، وأمي. لم أكن أعلم ما إذا كانت أمي ستأتي. ولكن أبي سيأتي.. أعلم أنه سيفعل. بغض النظر عما قالته أمي، فإنه سيحضر. كنتُ أرغب في أن تحضر جدتي أيضًا، ولكنها انتقلت من منزلها في فلوريدا إلى دار رعاية المسنين في العام السابق. لم تحب السفر مطلقًا، وهي الآن لا تستطيع. في دعوتها، قررتُ كتابة ملاحظة أعد فيها بزيارتها بصحبة جيرمايا خلال عُطلة الخريف. هؤلاء مدعوِّيني فقط. لديَّ أقارب من جهة أبي لكن لم أكن قريبة من أيٍّ منهم.

جيرمايا لديه كونراد، وثلاثة من أخويته كما اتفقنا، وزميل غرفته من السنة الأولى بالجامعة، ووالده. في الليلة الماضية أخبرني جير بأن والده قد بدأ يلين. قال إن السيد فيشر قد سأل عمَّن سيزوجنا وعن مقدار ما نخطط لإنفاقه على هذا الذي ندعوه حفل زفاف. أخبره جير بالميزانية. ألف دولار. ضحك السيد فيشر ساخرًا. بالنسبة لي، كان ألف دولار يُعد مبلغًا كبيرًا من المال. في العام الماضي، استغرق الأمر منِّي صيفًا كاملًا لتوفير هذا المبلغ من العمل كنادلة في بيرس.

ستكون قائمة ضيوفنا أقل من عشرين شخصًا. وبعشرين شخصًا يمكننا الحصول على وجبات مأكولات بحرية وإطعام الجميع، بسهولة. يمكننا الحصول على بضعة براميل خمر وبعض الزجاجات من الشمبانيا الرخيصة. وبما أننا سنتزوج على الشاطئ، فلن نحتاج إلى أيِّ زينة أو ديكورات حتى. فقط بعض الزهور لتزيين الطاولات، أو الأصداف. الزهور والأصداف. سأتولى أمر هذا الزفاف بنجاح. ستفخر تايلور بي.

كنتُ أكتب أفكاري لأسجلها عندما سمعتُ جيرمايا يصعد الدرَج. كانت الشمس متوهجةً من خلفه، وساطعة لدرجة آذت عينيَّ.

قلتُ له بعينين نصف مغمضتين: «صباح الخير. أين كُون؟».

- لا يزال هناك.

جلس جيرمايا بجانبي ثم قال مبتسمًا: «عذرًا، هل أنجزتِ كل العمل من دوني؟».

كان مبللًا لدرجة أن الماء كان يتقطر منه. سقطت قطرة من مياه البحر على مفكرتي.

- أنت تتمنى. (مسحتُ الماء). مهلًا، ما رأيك بوجبات المأكولات البحرية؟

- أحب المأكولات البحرية.

- برأيك كم برميل خمرٍ سنحتاج ليكفي عشرين شخصًا؟

- لو أن بيترسون وجوميز قادمان، فها هما برميلين مبدئيًّا.

أشرتُ بقلمِي إلى صدره قائلة: «لقد اتفقنا على ثلاثةٍ من رفاق أخويتك لا أكثر. صحيح؟».

أومأ برأسه، ثم انحنى إلى الأمام وقبَّلني. كان طعم شفتيه مالحًا، وكان وجهه باردًا فوق وجهي الدافئ. أسكنتُ خدِّي على خدِّه للحظة قبل أن أُبعد وجهي.

- لو بللتَ مُجلد تايلور، فسوف تقتلك.

حذَّرتُه وقد وضعتُ الملف وراء ظهري.

رسم جيرمايا على وجهه تعبيرًا حزينًا، ومن ثم أخذ ذراعيَّ ووضعهما حول رقبته كما لو أننا نرقص معًا رقصة هادئة.

تمتم في رقبتي قائلًا: «لا أستطيع الانتظار لأتزوجكِ. (ضحكتُ. كنتُ شديدة الحساسية للدغدغة فيما يتعلق برقبتي، وهو يعلم ذلك. إنه يكاد يكون يعلم كل شيءٍ عني تقريبًا ولا يزال يحبني). وماذا عنكِ؟».

- ماذا عني؟

نفخ في رقبتي، وانفجرتُ ضاحكة. حاولتُ التملُّص منه، ولكنه لم يسمح لي.

قلتُ وأنا لا أزال أضحك: «حسنًا، وأنا لا أستطيع الانتظار لأتزوجك أيضًا».

غادر جير لاحقًا بعد ظهر ذلك اليوم. رافقتُه لأوصله إلى سيارته بالخارج. لم تكن سيارة كونراد أمام المنزل؛ لا أعلم إلى أين ذهب.

قلتُ: «اتصِل بي عندما تصل إلى المنزل لأطمئن أنك وصلت بالسلامة».

أومأ برأسه. كان هادئًا، على غير عادته. خمنتُ أنه كان حزينًا لاضطراره إلى المغادرة سريعًا بهذا الشكل. وأنا تمنيتُ لو أنه بقي لفترةٍ أطول. تمنيتُ ذلك حقًّا.

وقفتُ على أطراف أصابعي، وعانقته عناقًا قويًّا.

قلتُ: «أراك بعد خمسة أيام».

فكرَّر قائلًا: «أراكِ بعد خمسة أيام».

راقبتُه وهو ينطلق بسيارته، وإبهاميَّ معلقان في حلقتَي الحِزام في سروالي الجينز القصير ذي الأطراف الممزقة.

وعندما ابتعدت سيارته حتى صرتُ لا أستطيع رؤيتها، دخلتُ إلى المنزل.



الفصل الثلاثون

في الأسبوع الأول الذي قضيته في كازينز، تجنبتُ كونراد. لم أستطع التعامل مع شخصٍ آخر يخبرني بأنني أرتكب خطأً، وبخاصةٍ كونراد، الذي يهوى إصدار الأحكام. لم يكن عليه حتى أن يقولها بالكلمات؛ يمكنه إطلاق الأحكام بعينيه. لذا كنتُ أستيقظ قبله، وأتناول وجباتي قبله. وعندما كان يشاهد التلفاز في غرفة المعيشة، كنتُ أظل بالطابق العلوي في غرفتي أعدُّ دعوات الزفاف وأتصفح مدوَّنات الزفاف التي قد حفظتها لي تايلور.

أشك في أنه قد لاحظ ذلك أصلًا. فقد كان مشغولًا جدًّا أيضًا. كان يمارس ركوب الأمواج، ويتسكع مع الأصدقاء، ويجري إصلاحات في أنحاء المنزل. لم أكن لأعرف لولا أني رأيتُ ذلك بأم عينيَّ: كونراد على سلم يتفقَّد فتحات مُكيِّف الهواء، وكونراد وهو يعيد طلاء صندوق البريد. رأيتُ ذلك كله من نافذة غرفتي.

كنتُ أتناول فطائر الفراولة المحمَّصة (Pop-Tarts) في التراس عندما صعد الدرَج مهرولًا. لقد كان بالخارج طوال الصباح. بدا شعره متعرِّقًا، وكان

يرتدي تي-شيرتًا قديمًا من أيام لعب كرة القدم في مدرسته الثانوية وسروالًا كُحليًّا قصيرًا خاصًّا بتمرينات صالة الألعاب الرياضية.

قلتُ: «مرحبًا، من أين أنت آتٍ؟».

فقال كونراد وهو يمرُّ من أمامي: «من صالة الألعاب الرياضية (ثم توقف فجأة). هل هذا ما تأكلينه كفطور؟».

كنتُ أزدرد حافة الفطيرة المقرمَشة.

- أجل، ولكنها آخر واحدة لي. آسفة.

تجاهلني: «لقد تركتُ حبوب الإفطار على طاولة المطبخ وثمة فاكهة في وعاء الفاكهة أيضًا».

هززتُ كتفيَّ: «ظننتها لك. لم أرغب في تناول أغراضك من دون استئذان».

فقال بنفاد صبر: «ولمَ لمْ تستأذني؟».

قلتُ بدهشةٍ: «وكيف لي أن أستأذن وأنا بالكاد أراك؟».

عبسنا في وجه بعضنا بعضًا نحو ثلاث ثوانٍ قبل أن أرى ابتسامة تتسلل إلى شفتيه.

قال: «هذا عادلٌ بما يكفي».

واختفى أثر ابتسامته على الفور. كان يفتح الباب الزجاجي الجرَّار، ثم التفت وقال: «كل ما أشتريه، يمكنكِ أكله».

فقلتُ: «والأمر نفسه يسري عليك».

رأيتُ شبه الابتسامة تلك مجددًا.

- يمكنكِ الاحتفاظ بـ«البوبتارتس»، و«الفن يانز»، والمعكرونة بالجبنة سريعة التحضير الخاصين بكِ لنفسكِ.

فاعترضتُ قائلة: «مهلًا، إنني آكل أشياء أخرى إلى جانب الطعام المُعَلَّب والوجبات السريعة».

- بالتأكيد تفعلين.

ثم دلف إلى الداخل.

في صباح اليوم التالي، وجدتُ عبوة حبوب الإفطار على طاولة الطعام مجددًا. وهذه المرة، أعددتُ لنفسي طبقًا من حبوب إفطاره ومن حليبه، وحتى إنني قطَّعتُ موزةً لأضعها فوقه. لم يكن سيئًا.

اتضح أن كونراد كان زميل سكن جيِّدًا. كان دائمًا ما يُنزل قاعدة المرحاض بعد الانتهاء من استخدام الحمَّام، وكان يغسل أطباقه بعد الأكل مباشرةً، حتى إنه اشترى المزيد من المناشف الورقية عندما نفدت. رغم أنني لم أتوقع أيَّ شيء أقل من هذا. فلطالما كان كونراد شخصًا مُنَظَّمًا. كان عكس جيرمايا تمامًا في هذه النقطة. لم يغيِّر جيرمايا لفافة ورق التواليت مطلقًا. لن يخطر بباله أبدًا أن يشتري مناشف ورقية أو نقع مقلاة مُزَيَّتة في ماءٍ ساخن وصابون غسيل الصحون.

ذهبتُ إلى البِقالة في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم واشتريتُ أغراضًا للعشاء: إسباجِيتِّي، وصلصة، وخس وطماطم للسلطة. طهوتُها في نحو الساعة السابعة، وأنا أقول في نفسي: *ها! هذا سيريه كيف يمكنني تناوُل طعام صحي*. انتهى بي الأمر إلى الإفراط في طهي المعكرونة وعدم شطف الخس جيدًا بما يكفي، ولكن كان لا يزال طعمه جيِّدًا.

غير أن كونراد لم يعد إلى المنزل، لذا تناولته وحدي أمام التلفاز. ولكني وضعتُ له بعضًا مما تبقى من الطعام في طبق وتركتُه على طاولة المطبخ عندما نهضتُ للخلود إلى النوم.

وفي صباح اليوم التالي، وجدتُ الطعام قد اختفى، ورأيتُ الطبق مغسولًا.



الفصل الحادي والثلاثون

في المرة التالية التي تحدثتُ فيها أنا وكونراد إلى بعضنا بعضًا.. كانت في منتصف النهار، وكنتُ جالسةً إلى طاولة المطبخ ومعي مُجلَّد الزفاف الخاص بي. والآن بعد أن أعددنا قائمة ضيوفنا، أصبح الشيء التالي الذي يتوجب علينا فعله هو إرسال دعواتنا عبر البريد. يكاد الأمر أن يبدو سخيفًا إذ نهتم بالدعوات في حين أن عدد ضيوفنا كان قليلًا جدًّا، بيدَ أن فكرة إرسال رسالة بريد إلكتروني جماعية لم تبدُ فكرة ملائمة تمامًا. اشتريتُ الدعوات من متجر «ديفيد لمُستلزمات حفلات الزفاف» (David's Bridal). كانت بيضاء اللون مع نقشة لأصدافٍ باللون الفيروزي الفاتح، وكل ما كان عليَّ فعله هو تمريرهم عبر الطابعة. ومن ثم بوووف! تصبح دعوات الزفاف جاهزة.

فتح كونراد الباب الجرَّار ودخل إلى المطبخ. كان قميصه الرمادي مغرقًا بالعرق، لذا خمَّنتُ أنه قد ذهب إلى الركض.

سألته: «استمتعت بالركض؟».

فقال وقد بدا متفاجئًا: «أجل. (نظر إلى كومة الأظرُف خاصتي وسألني) دعوات حفل الزفاف؟».

- أجل. أنا فقط بحاجة إلى الذهاب لإحضار الطوابع.

قال وهو يصبُّ لنفسه كوبًا من الماء: «أحتاج إلى الذهاب إلى المدينة لشراء مِثقاب جديد من متجر المُعدات. سيكون مكتب البريد في طريقي. يمكنني إحضار طوابعكِ».

كان دوري قد حان لأبدي أنا الدهشة: «شكرًا، ولكني أرغب في أن أذهب وأرى ما نوع طوابع الحُب الموجودة لديهم».

أنزل كوبَ مائه: «أتعرفين ما هو طابع الحُب؟».

لم أنتظر سماع ردِّه.

- إنه طابع بريدي دائمًا ما يُكتب عليه كلمة «حُب». الناس يستخدمونه في حفلات الزفاف. أعرف هذا فقط لأن تايلور قد أخبرتني بأنني يجب عليَّ الحصول عليهم.

ابتسم كونراد نصف ابتسامة: «يمكننا أخذ سيارتي لو شئتِ. لنوفِّر عليكِ المشوار».

- بالطبع.

- سأستحم سريعًا. أعطني عشر دقائق.

ثم صعد الدرَج.

عاد كونراد إلى الطابق السفلي بعد عشر دقائق، تمامًا مثلما قال. أخذ مفاتيحه من فوق الطاولة، ووضعتُ دعواتي في حقيبة يدي، ومن ثم توجهنا إلى الخارج.

عرضتُ قائلة: «يمكننا أخذ سيارتي».

- ولكني لا أمانع!

لقد بدا الجلوس في مقعد الراكب الأمامي في سيارة كونراد مرة أخرى أمرًا هزليًّا نوعًا ما. كانت سيارته نظيفة؛ ولا تزال رائحتها هي نفسها.

قلتُ وأنا أشغِّل الراديو: «لا أستطيع تذكُّر آخر مرة كنتُ فيها بداخل سيارتك».

فقال، فورًا: «يوم حفلة تخرجكِ».

يا إلهي.

حفلة تخرجي. مكان انفصالنا... عندما تشاجرنا في موقفِ السيارات، تحت المطر. كان من المُحرج التفكير في ذلك الآن. كيف بكيتُ. كيف رجوته ألَّا يذهب. ليست إحدى أفضل لحظاتي.

كانت ثمة لحظات من الصمت المربك بيننا، وراودني شعور بأن كلينا كان يستذكر الشيء نفسه.

ولمِلء الصمت قلتُ بنبرةٍ مشرقة: «يا إلهي، يبدو ذلك وكأنه من مليون سنة! أليس كذلك؟».

وهذه المرة.. لم يُجب.

أوصلني كونراد أمام مكتب البريد، وقال إنه سيعود لأخذي خلال بضع دقائق. نزلتُ من السيارة مسرعة وركضتُ إلى الداخل.

تحرَّك طابور الانتظار سريعًا، وجاء دوري.

قلتُ: «هل يمكنني رؤية طابع الحُب الخاص بكم من فضلكِ؟».

بدأت السيدة الواقفة وراء الكاونتر في التنقيب بداخل دُرجِها وقدَّمَت لي ورقةً من الطوابع. كان مرسومٌ على الطوابع شكل جرسَيْ زفاف وكلمة «حب» منقوشة على شريط يربط الجرسين معًا. وضعتُ رزمة دعواتي على الكاونتر وعددتُها بسرعة.

قلتُ: «سآخذ ورقة».

سألتني وهي تنظر إليَّ: «هل هذه دعوات زفاف؟».

- أجل.

- أترغبين في دمغها يدويًّا؟

- عذرًا؟

فكررت قائلة، وقد بدت منزعجة هذه المرة: «أترغبين في دمغها يدويًّا؟».

ذُعِرتُ. ماذا يعني «دمغها يدويًّا»؟ كنتُ أرغبُ في إرسال رسالة نصيَّة إلى تايلور لأسألها، ولكن كان ثمة طابور يتزايد من خلفي، لذا قلتُ في تسرُّع: «لا، شكرًا».

وبعد أن دفعتُ ثمن الطوابع، خرجتُ، وجلستُ على الرصيف، وألصقتُ الطوابع على جميع دعواتي.. وواحدة لأمي كذلك. فقط إذا تغيرت الأمور. لا يزال بإمكانها تغيير رأيها. لا تزال هناك فرصة. وصل كونراد بينما كنتُ أدفع الدعوات من خلال فتحة البريد بالخارج. هذا يحدث حقًّا. إنني أتزوج حقًّا! لا مجال للتراجُع الآن، ليس وكأنني أريد ذلك.

قلتُ وأنا أركب السيارة: «هل حصلت على مثقابك الجديد؟».

- أجل. هل وجدتِ طوابع الحُب خاصتكِ؟

- أجل. مهلًا، ماذا يعني الدمغ اليدوي للبريد؟

- الدمغ هو عندما يضع مكتب البريد علامة على الطابع بحيث لا يمكن استخدامه مرة أخرى. وأعتقد أن الدمغ اليدوي هو عندما يتم ذلك باليد بدلًا من الشكل الآلي.

سألتُ في انبهار: «كيف عرفت ذلك؟».

- كنتُ أجمع الطوابع.

هذا صحيح. كان معتادًا جمعَ الطوابع. لقد نسيت. كان يحتفظ بها في ألبوم صور أعطاه له والده.

- لقد نسيتُ ذلك تمامًا. يا إلهي، لقد كنت جادًّا للغاية بشأن طوابعك. لم تكن تسمح لنا حتى بلمس كتابِك دون إذن. أتذكر كيف سرق جيرمايا أحدها ذات مرة واستخدمه لإرسال بطاقة بريدية وكنتَ غاضبًا جدًّا لدرجة أنك بكيت؟

فقال كونراد بنبرة دفاعية: «مهلًا، ذلك كان طابع «أبراهام لينكولن» الذي أعطاني إياه جدي. كان طابعًا نادرًا».

ضحكتُ، ومن ثم ضحك هو كذلك. بدا صوت ضحكاتنا لطيفًا. متى كانت آخر مرة ضحكنا فيها هكذا؟

قال وهو يهز رأسه: «كنتُ صبيًّا مهووسًا وغريب الأطوار».

- كلَّا، لم تكن كذلك!

رمقني كونراد بنظرة: «جمع الطوابع. مجموعة التجارب الكيميائية. الهوس بالموسوعات».

- أجل، ولكنك جعلت كل ذلك يبدو براقًا ورائعًا.

في ذاكرتي، لم يكن كونراد فتى مهووسًا أو غريب الأطوار. لقد كان أكبر سنًّا، وأحدُّ ذكاءً، ومهتمًّا بأمور الكبار.

قال: «وأنتِ كنتِ ساذجة. (ثم أردف قائلًا..) عندما كنتِ صغيرة جدًّا، كنتِ تكرهين الجزر. كنتِ لا تأكلينه أبدًا. ولكني بعد ذلك أخبرتكِ بأنكِ إذا أكلتِه ستستطيعين الرؤية بالأشعة السينية. وصدَّقتِني. كنتِ تصدقين كل شيء أقوله».

لقد فعلتُ. لقد فعلتُ حقًّا. صدَّقته حين قال بأن الجزر سيمكِّنُني من الرؤية بالأشعة السينية. وصدَّقته حين قال بأنه لم يكن قط مهتمًّا بي. وبعدها، في وقتٍ لاحق من تلك الليلة، حينما حاول التراجع عمَّا قاله، أعتقد أنني صدَّقته مجددًا. والآن.. لم أعد أعرف ماذا أصدِّق. بِتُّ فقط أعلم أنني لا أستطيع الوثوق به بعد الآن.

غيرتُ الموضوع. سألتُ فجأة: «هل ستظل في كاليفورنيا بعد التخرج؟».

- هذا معتمد على كُلية الطب.

- وهل أنت... هل لديك حبيبة؟

رأيته يجفل. رأيته مترددًا.

- لا.

الفصل الثاني والثلاثون

كونراد

كان اسمها أجنيس. والعديد من الناس كانوا يدعونها أجي، ولكني التزمتُ بأجنيس. كانت زميلتي في صف الكيمياء. مع أي فتاة أخرى، فإن اسمًا مثل أجنيس لم يكن ليصبح مستساغًا. فهو اسم يناسب السيدات المسنَّات بالأغلب. لدى أجنيس شعرٌ قصير أشقر يميل إلى البُنِّي الفاتح، مُموج، ويصل طوله إلى ذقنها. في بعض الأحيان، ترتدي النظَّارات، بشرتها بيضاء كالحليب. وعندما كنا في انتظار أن يُفتَح المختبر في أحد الأيام، دعتني للخروج معًا. كنتُ متفاجئًا جدًّا، ووافقتُ.

بدأنا في التسكع معًا كثيرًا. لقد أحببتُ صُحبتها. كانت ذكية، وتفوح من شعرها رائحة الشامبو، وليس فقط بعد الاستحمام مباشرةً، ولكن طوال اليوم بأكمله. قضينا معظم وقتنا معًا في المذاكرة. أحيانًا كنا نذهب لتناوُل فطائر «البان كيك» أو البرجر بعد المذاكرة. وفي بعض الأحيان كنا نحظى ببعض الوقت معًا في غرفتها في الاستراحات الدراسية عندما لا تكون شريكة غرفتها

موجودة. كان الأمر برمته متمحور حول كوننا زميلين في المرحلة التمهيدية لدراسة الطب. لم يكن الأمر كما لو أنني أقضي ليلة في غرفتها أو أدعوها لقضاء ليلة في غرفتي. لم أتسكع معها بصحبة أصدقائها ولم ألتقِ والديها، على الرغم من أنهما كانا يعيشان في مكانٍ قريب.

في أحد الأيام كنا نذاكر معًا في المكتبة؛ كان الفصل الدراسي على وشك الانتهاء. كنا نتواعد منذ شهرين أو ثلاثة. وفجأة، من حيث لا أحتسب، سألتني قائلة: «هل وقعتَ في الحب من قبل؟».

لم تكن أجنيس بارعةً في الكيمياء وحسب، بل كانت أيضًا بارعة في مُباغتتي على حين غرَّة. نظرتُ حولي لأرى ما إذا كان هنالك أيُّ شخصٍ يُنصت إلينا.

- هل فعلتِ أنتِ؟

- أنا مَن سألتُ أولًا.

- إذن.. أجل.

- كم مرة؟

- واحدة.

أخذت أجنيس لحظة لاستيعاب إجابتي وهي تعضُّ على قلمها الرصاص.

- على مقياس من واحد إلى عشرة، كم كان مدى حبك؟

- لا يمكنكِ وضع شعوركِ بالحب على مقياس. إما أنكِ تحبين، وإما لا.

- ولكن إذا اضطررتُ إلى قول شيءٍ كهذا؟

بدأتُ أعبث في أوراق ملاحظاتي. ولم أنظر إليها حين قلتُ: «عشرة».

- واو! ماذا كان اسمها؟

- أجنيس، بربكِ. لدينا امتحانٌ يوم الجمعة.

عبسَتْ وركلَتْ ساقي من تحت الطاولة.

- إذا لم تخبرني، فلن أستطيع التركيز. أرجوك؟ جارني وحسب.

زفرتُ نَفَسًا قصيرًا: «بيلي. أعني، إيزابيل. هل أنتِ راضية الآن؟».

هزَّت رأسها قائلة: «كلَّا. الآن أخبرني كيف التقيتما».

- أجنيس...

- أقسم بأنني سأتوقف لو أجبتَ فحسب. (رأيتُها تعدُّ على أصابعها). فقط ثلاثة أسئلة أخرى، وسيكون هذا كل شيء.

لم أجب بنعم أو لا، فقط نظرتُ إليها، منتظرًا.

- إذن كيف التقيتما؟

- إننا لم نلتقِ حقًّا. لقد كنتُ أعرفها طوال حياتي.

- ومتى عرفت أنكَ قد وقعت في الحب؟

لم تكن لديَّ إجابة عن هذا السؤال. لم تكن هناك لحظةٌ محددة. كان الأمر أشبه بأن تستيقظ تدريجيًّا. تنتقل من النوم إلى حالة ما بين الحلم واليقظة ومن ثم إلى الوعي. إنها عمليةٌ بطيئة، ولكن عندما تكون في تمام استيقاظك، فليس ثمة شك في ذلك، لا مجال لأن تكون مخطئًا. ليس هناك شكٌّ في أنه كان حبًّا. بيدَ أنني لم أرغب في قول ذلك لأجنيس.

- لا أعلم، لقد حدث وحسب.

نظرَتْ إليَّ، في انتظاري لأستطرد.

قلتُ: «لديكِ سؤال واحد آخر».

- هل تحبني؟

كما قلتُ سابقًا، كانت هذه الفتاة بارعة حقًّا في مُباغتتي. لم أعرف ماذا عساي أن أقول. لأن الإجابة كانت «لا».

- امم...

ظهر الإحباط على وجهها، ولكنها ما لبثت أن حاولت أن تصطنع نبرةً مبتهجة وهي تقول: «إذن.. لا، صحيح؟».

- حسنًا، هل تحبينني أنتِ؟

- قد أكون كذلك. إذا سمحتُ لنفسي.. لو أعطيتُ نفسي المجال، سأكون كذلك.

- أوه.

شعرتُ بشعور مزرٍ.

- أنا حقًّا معجب بكِ يا أجنيس.

- أعرف. أستطيع أن أشعر بأن هذا صحيح. أنت فتى صادق يا كونراد. ولكنك لا تسمح للناس بسبر أغوارك. من المستحيل التقرُّب إليك.

حاولَتْ لمَّ شعرها على هيئة ذيل حصان، ولكن الخصلات الأمامية ظلَّت تتساقط لأنها كانت قصيرة جدًّا.

ثم أطلقت شعرها وقالت: «أعتقد أنك ما زلت تحب تلك الفتاة الأخرى، ولو قليلًا على الأقل. ألستُ محقة؟».

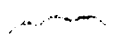
أجبتُ بيلي قائلًا: «لا».

قالت وهي تميل رأسها جانبًا: «إنني لا أصدقك (ثم قالت في مُناغشة..) لو لم تكن هناك فتاةٌ، لما ظللت بعيدًا كل تلك الفترة؟ لا بد أنه توجد فتاة».

بالفعل توجد. لقد ابتعدتُ لعامين. كان عليَّ فعل ذلك. كنتُ أعرف أنه لا ينبغي لي حتى البقاء في المنزل الصيفي، لأن وجودي هناك، بالقُرب منها، سيجعلني فقط أرغب فيما لا أستطيع الحصول عليه. كان خطِرًا. إنها الشخص الوحيد الذي لا أستطيع الوثوق بنفسي بالقُرب منه. في اليوم الذي رأيتها فيه مع جير، اتصلتُ بصديقي داني لأسأله ما إذا كان بإمكاني الاستلقاء على أريكته لبعض الوقت، ووافق. ولكني لم أستطع إجبار نفسي على القيام بذلك. لم أستطع المغادرة. كنتُ أعلم بأنه عليَّ توخِّي الحذر. وأنه عليَّ الحفاظ على المسافة، والبقاء بعيدًا. لو عَلِمَتْ إلى أيٍّ مدى لا أزال مهتمًّا بها، فسينتهي كلُّ شيء. لن أقوى على الابتعاد مرةً أخرى. كانت المرة الأولى صعبة بما فيه الكفاية.

الوعود التي تقطعها على فراش موت والدتِك وعودٌ قاطعة؛ وكأنها من التيتانيوم. ليس ثمة مجال لكسرها. لقد وعدت أمي بأن أعتني بأخي، بأنني سأتولى رعايته. وقد أوفيتُ بوعدي. فعلتُ ذلك بأفضل ما بوسعي... فعلتُ ذلك بالرحيل.

لربما كنتُ شخصًا فاشلًا، ومخيِّبًا للآمال، ولكني لم أكن كذَّابًا. وإن كنتُ قد كذبتُ على بيلي. مرة واحدة فقط في ذلك النُّزل القذر الرديء عندما كنا عالقَين على الطريق. فعلتُ ذلك لحمايتها. هذا ما ظللتُ أقوله لنفسي. ومع ذلك، لو كانت ثمة لحظة واحدة من حياتي يمكنني إعادتُها، وتصحيحُها.. لحظة واحدة من بين كل اللحظات الشنيعة، فسأختار تلك اللحظة. فعندما أتذكر تلك النظرة التي ارتسمت على وجهها -كيف تغضَّن جبينها، وكيف زمَّتْ شفتيها وجعَّدَت أنفها، لتمنع الألم من الظهور على وجهها- تقتلُني. يا إلهي، لو كان بوسعي ذلك، لعدتُ إلى تلك اللحظة وقلتُ كل الأشياء الصحيحة، كنتُ سأخبرها بأنني أحبها، كنتُ سأفعل ذلك لكيلا أرى تلك النظرة على وجهها مرةً أخرى.





الفصل الثالث والثلاثون

كونراد

في تلك الليلة في النُّزل القابع على الطريق، لم أنم. ظللتُ أُعيد مرارًا وتكرارًا كل ما حدث بيننا. لم أستطع الاستمرار في فعل ذلك، الاستمرار في القرب والبُعد، في التمسك بها ومن ثم دفعها بعيدًا. لم يكن الأمر صائبًا.

عندما استيقظت بيلي لتستحم قرب الفجر، نهضتُ أنا وجير أيضًا. كنتُ أطوي بطَّانيتي حينما قلتُ: «لا بأس إن كنتَ معجبًا بها».

حدَّق إليَّ جير، وفمه مفتوح ومتدلٍّ: «ما الذي تتحدث عنه؟».

شعرتُ وكأنني أختنق عندما قلتُ: «لا بأس بالنسبة لي... إن كنت تريد أن تكون معها».

نظر إليَّ كما لو أنني مجنون. شعرتُ وكأنني قد جننتُ بالفعل. سمعتُ صوت المياه في الحمَّام تُغلَق، فابتعدت عنه قائلًا: «فقط اعتنِ بها».

ومن ثم، عندما خرجت، مرتدية ملابسها، وشعرها مبلل، نظرت إليَّ بتلك العينين المفعمتين بالأمل، ونظرتُ أنا إليها كما لو أنني لا أعرفها. بوجهٍ خالٍ تمامًا من أيِّ تعبير. رأيتُ عينيها تنطفئان. رأيتُ حبها لي يموت. لقد قتلتُه.

عندما فكرتُ في الأمر الآن، في تلك اللحظة بداخل النُّزل، أدركتُ أنني أنا مَن بدأ هذا الشيء. أنا مَن دفعهما. لقد كانت فِعلتي أنا. وأنا مَن يتعين عليه التعايُش مع الأمر. إنهما سعيدان.

كنتُ أُبلي بلاءً حسنًا في التقليل من وجودي، ولكن تصادف أنني كنتُ موجودًا بالمنزل عندما احتاجت إليَّ بيلي، فجأة. كانت تجلس على أرضية غرفة المعيشة ومعها ذلك المُجَلَّد الغبي والأوراق في كل مكانٍ حولها. بدت خائفة، ومتوترة. رأيتُ على وجهها تكشيرة القلق تلك، تلك النظرة التي كانت ترتسم على وجهها عندما تحاول حلَّ مسألة رياضية ولكنها لا تستطيع فهمها. نفخَتْ شعرها لتبعده عن وجهها، وقالت: «إن جير عالقٌ في الزحام المروري. لقد أخبرته بأن يغادر مبكرًا. كنتُ حقًّا بحاجة إلى مساعدته اليوم».

- ماذا كنتِ تحتاجين منه أن يفعل؟

- كنا سنذهب إلى متجر «مايكلز» (Michaels). أتعرف متجر الديكورات والحِرف اليدوية ذلك؟

بنبرةٍ جافة، قلتُ: «لا يمكنني القول إنني قد ذهبتُ إلى متجر مايكلز من قبل قط. (ثم ترددتُ قبل أن أضيف قائلًا..) ولكن إن كنتِ ترغبين، فسأذهب معكِ».

- حقًّا؟ لأنني سألتقط بعض الأغراض الثقيلة اليوم. المتجر موجود في «بليموث» (Plymouth)، بالمناسبة.

قلتُ: «بالطبع، لا مشكلة».

وقد شعرتُ بالامتنان لسببٍ غير مفهوم لكَوني سأحمل الأغراض الثقيلة.

أخذنا سيارتها لأنها كانت أكبر. تولَّتْ هي القيادة. لم أركب معها سوى بضع مرَّات فقط. بدا هذا الجانب منها جديدًا بالنسبة لي. بدت ثابتة، وواثقة. قادت بسرعة، ولكنها كانت لا تزال متحكمة في زمام الأمور. أعجِبتُ بذلك. وجدتُ نفسي أسترق النظرات إليها، وكان عليَّ إجبار نفسي على الهدوء ومحاولة التوقف عن ذلك.

قلتُ: «لستِ سائقة سيئة».

ابتسمَت ابتسامة عريضة: «لقد أحسن جيرمايا تعليمي».

ذلك صحيح. لقد علَّمها القيادة.

- إذن، ماذا أيضًا قد تغيَّر بشأنكِ؟

- مهلًا، لم أكن قط سائقة سيئة.

ضحكتُ ضحكة ساخرة، ثم نظرتُ من النافذة.

- أعتقد أن ستيفن لن يوافقكِ الرأي.

- إنه لن ينسى لي أبدًا ما فعلته بسيارته العزيزة. (بدَّلت سرعة السيارة عندما اقتربنا من إشارة مرور). إذن، وماذا أيضًا؟

- صرتِ تنتعلين الكعب العالي الآن. في حفل افتتاح الحديقة كنتِ تنتعلين الكعب العالي.

كانت ثمة لحظة من التردد قبل أن تقول: «أجل، أحيانًا. ولكني ما زلتُ أتعثَّر به مع ذلك. (وبحسرةٍ أضافت..) لقد صرتُ أشبه بسيدةٍ حقيقية الآن».

مددتُ يدي لألمس يدها، ولكن على آخر لحظة، أشرتُ إلى أظفارها بدلًا من ذلك وقلتُ: «لا تزالين تقضمين أظفاركِ».

قوَّسَت أصابعها حول مقود السيارة. وبابتسامةٍ صغيرة، قالت: «أنتَ لا يفوتكَ أيُّ شيء».

- حسنًا، إذن، ما الذي سنشتريه من هنا؟ حوامل الزهور؟

ضحكت بيلي.

- أجل، حوامل الزهور، وبتعبير آخر: المزهريات. (أحضرَتْ عجلة تسوُّق، فأخذتُها منها وبدأتُ أدفعها أمامنا). أعتقدُ أننا قررنا شراء مزهريات إِعصارية.

- ما هي المزهريات الإعصارية؟ وكيف بحق الجحيم يعرفها جير؟

- لم أقصد أنا وجير قررنا، كنتُ أعني أنا وتايلور.

أخذَتْ عجلة التسوُّق وسارت أمامي. تبعتُها إلى الممر الثاني عشر.

رفعت بيلي مزهرية زجاجية منفوخة الشكل وقالت: «أترى؟».

عقدتُ ذراعيَّ وقلتُ بنبرة مَلُولة: «أجل، لطيفةٌ للغاية».

وضعَت المزهرية جانبًا والتقطت مزهرية أكثر نحافة، ولم تنظر إليَّ وهي تقول: «آسفة لكونكَ الشخص الذي علِق معي في القيام بهذا. أعلم أنَّ الأمر سخيف».

فقلتُ: «لا.. ليس سخيفًا للدرجة. (بدأتُ أمسك بإحدى المزهريات الموضوعة على الرف). كم واحدة سنحتاج؟».

قالت وهي ترفع واحدة لتتحقق من السعر: «مهلًا! هل علينا شراء الحجم الكبير أم الحجم المتوسط؟ أعتقد أنه لربما الحجم المتوسط. أجل، الحجم المتوسط بالتأكيد. ولكني لا أرى سوى عددٍ قليل مُتبقٍّ. أيمكنكَ أن تسأل شخصًا ما ممن يعملون هنا؟».

قلتُ: «بل الحجم الكبير. (قلتُ ذلك لأنني كنتُ قد وجدتُ بالفعل أربع قطع من الحجم الكبير ووضعتها في العربة). الحجم الكبير أجمل بكثير. سيمكنكِ من تنسيق عددٍ أكبر من الأزهار أو الرمال أو أيًّا ما يكن».

ضيَّقت بيلي عينيها: «أنتَ فقط تقول ذلك لأنك لا تريد الذهاب لإيجاد أحدٍ ممن يعملون هنا».

- حسنًا، أجل، ولكن جدِّيًا، أعتقد أن الحجم الكبير أجمل.

هزَّت كتفيها ووضعت مزهريةً أخرى من الحجم الكبير في عربة التسوق.

- أعتقد أننا يمكننا وضع مزهرية كبيرة واحدة فقط على كل طاولة بدلًا من مزهريتين متوسطتَي الحجم.

- والآن ماذا؟

بدأت أدفع العربة مجددًا، ولكنها أخذَتها مني.

- الشموع.

تبعتُها عبر ممرٍّ آخر، ثم آخر.

- لا أعتقد أنكِ تعرفين إلى أين أنتِ ذاهبة.

فقالت وهي توجِّه العربة: «إنني آخذكَ عبر الطريق ذي المناظر الخلابة. انظر إلى كل تلك الأزهار الاصطناعية والأكاليل».

- أشياء جيدة.

توقفتُ: «هل علينا الحصول على بعضٍ منها؟ قد تبدو رائعةً في الشرفة». أمسكتُ بمجموعة من دوَّار الشمس وأضفتُ إليها بعض الزهور البيضاء.

- يبدو هذا لطيفًا، أليس كذلك؟

قالت وقد امتصَّتْ خديها إلى الداخل: «كنتُ أمزح. (أستطيع القول إنها كانت تحاول ألَّا تبتسم). ولكن أجل، سيبدو هذا جيدًا. ليس رائعًا، ولكنه جيد».

أعدتُ الزهور إلى مكانها: «حسنًا، أنا أستسلم. من الآن فصاعدًا، سأتولى فقط حمل الأغراض الثقيلة».

- ولكنها كانت محاولة جيدة رغم ذلك.

عند عودتنا إلى المنزل، كانت سيارة جيرمايا مركونة بالخارج.

قلتُ وأنا أطفئ محرِّك السيارة: «يمكنني أنا وجير إفراغ السيارة من المشتريات لاحقًا».

فعرضَتْ قائلة وهي تقفز إلى خارج السيارة: «سأساعدكما. فقط سأُلقي التحية أولًا».

أخذتُ الكيسين الأثقل وزنًا وتبعتُها صعودًا على الدرَج إلى داخل المنزل. كان جيرمايا مستلقيًا على الأريكة يشاهد التلفاز. فلمَّا رآنا، نهض في جلسته.

سأل قائلًا: «أين كنتما؟».

قال ذلك بشكلٍ عَرَضي، غير أن عينيه رمقتانِي وهو يتحدث.

قالت بيلي: «في متجر مايكلز. متى وصلت إلى هنا؟».

- منذ فترةٍ قصيرة. لماذا لم تنتظريني؟ لقد أخبرتكِ بأنني سأصل في الوقت المحدد».

نهض جيرمايا وعبَرَ الغرفة. وسحب بيلي إليه مُعانقًا إياها.

قالت: «لقد أخبرتكَ بأن مايكلز يُغلق في الساعة التاسعة. شككتُ في كونكَ ستصل في الوقت المناسب».

لقد بدَت غاضبة، ولكنها سمحت له بتقبيلها.

التفتُّ بعيدًا وقلتُ: «سأفرغ السيارة من المشتريات».

- مهلًا سأساعدك. (رفع جيرمايا يده عن بيلي وضرب ظهري بخفة). كُون، شكرًا لكونك نائبًا عني اليوم.

- لا مشكلة.

قالت بيلي: «الساعة تجاوزت الثمانية. إنني أتضور جوعًا. فلنذهب جميعًا إلى مطعم جيمي لتناوُل العشاء».

هززتُ رأسي بالرفض: «كلَّا، لستُ جائعًا. فلتذهبا أنتما».

فقالت بيلي عابسة: «ولكنكَ لم تتناول أيَّ شيء للعشاء. فلتأتِ معنا وحسب».

قلتُ: «كلَّا، شكرًا».

بدأَتْ في الاحتجاج مرة أخرى، ولكن جير قال: «بيلز، إنه لا يرغب في الذهاب. فلنذهب نحن».

سألتني قائلة: «هل أنتَ متأكد؟».

فقلتُ: «أنا مرتاحٌ هكذا».

خرجت كلماتي بنبرةٍ أصرم مما قصدتُ. وأعتقد أن الأمر قد نجح، لأنهما غادرا.

الفصل الرابع والثلاثون

في مطعم جيمي، لم يطلب أيٌّ منَّا سرطان البحر. طلبتُ المحار المقلي والشاي المُثَلَّج وطلب جيرمايا لفافة كركند والبيرة. طلب النادل رؤية هويته وابتسم بتكلُّف عندما رآها، ولكنه قدَّم له البيرة على أي حال.

وضعتُ بِضعة أكياس من السكر في الشاي المُثَلَّج، وتذوقتُه، ثم أضفتُ إليه كيسَين آخرَين.

قال جيرمايا وهو يميل إلى الخلف في كرسيه ويغمض عينيه: «إني منهكٌ تمامًا».

- مهلًا، استيقِظ. لدينا عملٌ لنقوم به.

فتح عينيه: «مثل ماذا؟».

- ماذا تقصد، مثل ماذا؟ أطنانٌ من الأشياء. في متجر ديفيد كانوا يسألونني أسئلةً كثيرة. مثل، ما هي لوحة الألوان خاصتنا؟ وما إذا كنتَ سترتدي بدلة عادية أم بدلة سهرة؟

ضحك جيرمايا في سخرية: «بدلة سهرة؟ على الشاطئ؟ على الأرجح أنني لن أنتعل حذاءً أصلًا».

- حسنًا، أجل، أعلم، ولكن لربما ينبغي لكَ معرفة ما سترتديه.

- لا أعرف. فلتخبريني أنتِ. سأرتدي أيًّا ما تريدينني أنتِ وتايلور أن أرتديه. إنه يوم رفاقكِ، أليس كذلك؟

- هاها. مضحكٌ للغاية.

لم يكن الأمر كما لو أنني أهتم حقًّا بما سيرتديه. أردته فقط أن يتخذ قراره ويخبرني إياه لأتمكَّن من حذفه من قائمتي.

قال وهو ينقر بأصابعه على الطاولة: «كنتُ أفكر في قميصٍ أبيض وسروال كاكي. جميل وبسيط، مثلما اتفقنا».

- حسنًا.

تجرَّع جيرمايا بيرته.

- مهلًا، هل يمكننا الرقص على أنغام أغنية «لا يسعك أن تعرف أبدًا» (You Never Can Tell) في الاستقبال؟

- لا أعرف تلك الأغنية.

- بالتأكيد تعرفينها. إنها من فيلمي المفضَّل. تلميح: كنتُ أشغِّل الموسيقى التصويرية خاصته بشكل مستمر في غرفة الوسائط بمنزل الأخويَّة طوال الفصل الدراسي. (وعندما حدَّقتُ إليه بوجهٍ يخلو من أيِّ تعبير، بدأ جيرمايا يُغني..) كان حفل زفاف مراهقين وتمنى لهما الكبار السعادة...

- أوه، أجل. «خيال رخيص» (Pulp Fiction).

- إذن هل يمكننا ذلك؟

- هل أنت جاد؟

- بحقكِ يا بيلز. تمتعي بروحٍ رياضية. يمكننا وضعه على «اليوتيوب» (YouTube). أراهن على أننا سنحصد أطنانًا من المشاهدات. سيكون الأمر مضحكًا!

رمقته بنظرة: «مضحكًا؟ هل تريد لحفل زفافنا أن يكون مضحكًا؟».

فقال بوجه عابس: «بربكِ. إنكِ تتخذين جميع القرارات، وكل ما أريده هو هذا الشيء الوحيد».

لم أستطع أن أحدد ما إذا كان جادًّا أم لا. ولكن في كلتا الحالتين، لقد أغضبني الأمر. وبالإضافة إلى ذلك، كنتُ لا أزال غاضبة لأنه لم يصل في الوقت المناسب لمساعدتي في شراء الأغراض من متجر مايكلز.

جاء النادل ومعه طعامنا، وبدأ جيرمايا مباشرة في التهام لفافة الكركند خاصته.

سألته قائلة: «وما هي القرارات الأخرى التي اتخذتُها؟».

- قررتِ أن الكعكة ستكون كعكة جزر. (ذكَّرني بذلك والمايونيز يسيل على ذقنه). وأنا أحب كعكة الشوكولاتة.

- لا أرغب في أن أكون الشخص الذي يتخذُ جميع القرارات! إنني لا أعرف حتى ما الذي أفعله.

- إذن سأساعد أكثر. فقط أخبريني بماذا أفعل. مهلًا، لديَّ فكرة. ماذا لو أن حفل الزفاف يحمل تيمة أفلام «تارنتينو» (Tarantino)؟

فقلتُ بحدَّة: «أجل، ماذا لو...».

طعنتُ المحار بشوكتي.

- ستكونين عروسًا كعروس فيلم «اقتل بيل» (Kill Bill) (ثم رفع رأسه من طبقه لينظر إليَّ). أمزح، أمزح. ولكن الأمر برمته سيظل بسيطًا تمامًا، صحيح؟ لقد اتفقنا أن يكون غير متكلف.

- أجل، ولكن الناس سيحتاجون إلى تناول الطعام، وأشياء من هذا القبيل...

- لا تقلقي بشأن الطعام وتلك الأشياء. سيعيِّن أبي شخصًا ليعتني بكل ذلك.

شعرت بتهيُّج بدأ يُوخزني تحت جلدي كالطفح. وزفرتُ نَفَسًا قصيرًا قبل أن أقول: «من السهل عليكَ قول لا تقلقي. فأنتَ لست الشخص الذي يخطط لزفافنا».

ترك جيرمايا شطيرته واعتدل في جلسته: «أخبرتكِ بأنني سأساعد. وكما قلتُ سيعتني أبي بالكثير من تلك الأشياء».

- لا أريده أن يفعل. أريد أن نقوم بذلك معًا. والمزاح بشأن أفلام كوينت تارانتينو لا يعد حقًّا شكلًا من أشكال المساعدة.

فصحح لي جيرمايا قائلًا: «اسمه كوينتن».

رمقته بنظرةٍ حادة.

- لم أكن أمزح بشأن الرقصة الأولى. ما زلتُ أعتقد أنها ستكون رائعة. ويا بيلز، أعددتُ بعض الأشياء. لقد عرفتُ ما سنفعله بشأن الموسيقى. صديقي بيت يعمل منسقًا للحفلات في عطلات نهاية الأسبوع. وقال إنه سيُحضِر مكبرات الصوت خاصته وسيوصِّلها فقط بجهاز «الآي بود» الخاص به وسيتولى الاهتمام بالأمر برمته. ولديه بالفعل الموسيقى التصويرية لفيلم «خيال رخيص» بالمناسبة.

رفع جيرمايا حاجبيه بشكل كوميدي وهو ينظر إليَّ. أعلم أنه كان ينتظر ضحكة أو ابتسامة على الأقل. وقد كنتُ على وشك الاستسلام، فقط لينتهي هذا الشجار وأتمكن من تناوُل المحار الخاص بي دون الشعور بالغضب، عندما قال ببراءة: «أوه، مهلًا، هل ترغبين في استشارة تايلور أولًا؟ لترين ما إذا كانت موافقة على ذلك؟».

حدَّقتُ إليه. لقد كان بحاجة إلى التوقف عن المزاح وإلقاء النكات والبدء في التصرُّف بشكل أكثر تقديرًا وامتنانًا بكثير، لأن تايلور هي مَن كانت تقدم المساعدة فعلًا، على عكسه.

- لستُ بحاجة إلى أخذ مشورتها بهذا الشأن. إنها فكرة غبية، ولن تحدث.

أصدر جيرمايا صفيرًا بصوت يكاد يكون غير مسموع: «حسنًا، يا برايدزيلا[1]».

- إنني لستُ برايدزيلا! إنني لا أرغب حتى في القيام بأيٍّ من هذا. فلتقم به أنت.

حدَّق إليَّ: «ماذا تقصدين؟ لا ترغبين في القيام بأيٍّ من هذا؟».

تسارعت نبضات قلبي للغاية فجأة: «قصدتُ الترتيبات. لا أريد القيام بأيٍّ من تلك الترتيبات الغبية. وليس الجزء الخاص بالزواج الفعلي. فما زلتُ أريد القيام بذلك».

- جيد، وأنا أيضًا.

مدَّ يده عبر الطاولة، وانتزع إحدى المحارات من طبقي، وقذفها في فمه. حشوتُ آخر قطعة محار في فمي قبل أن يتمكن من أخذها أيضًا. ثم أخذتُ حفنة من البطاطس المقلية من طبقه، على الرغم من أنني قد أكلتُ البطاطس المقلية خاصتي.

قال عابسًا: «مهلًا! لقد أكلتِ البطاطس المقلية خاصتك».

قلتُ: «خاصتكَ مقرمشةٌ أكثر».

ولكن في الواقع كان ذلك انتقامًا بالأكثر. تساءلتُ: لبقية حياتنا، هل سيظل جيرمايا يحاول أكل آخر قطعة محار في طبقي أو آخر قضمة من شريحة اللحم خاصتي؟ كنتُ أحب إنهاء كل الطعام الموجود في طبقي... لست واحدةً من هؤلاء الفتيات اللاتي يخلفن بضع لقيمات في أطباقهن فقط ليبدو مؤدبات.

كانت لديَّ إحدى أصابع البطاطس المقلية في فمي عندما سأل جيرمايا قائلًا: «ألم تتصل لوريل مطلقًا؟».

ابتلعتُ ما في فمي. وفجأة لم أعد أشعر بالجوع.

- كلَّا.

---

(1) برايدزيلا: اسم يطلق على العروس ذات السلوك المتطلب أو العروس صعبة المراس.

- لا بدَّ أنها قد استلمت دعوتها بحلول هذا الوقت.

- أجل.

قال جير وهو يحشو بقية لفافة الكركند خاصته في فمه: «حسنًا، آمل أن تتصل هذا الأسبوع. أعني، أنا واثقٌ من أنها ستفعل».

- «آمل ذلك. (أخذتُ رشفة من شايي المُثَلَّج وأضفتُ..) يمكن أن تكون رقصتنا الأولى على أنغام أغنية «لا يسعك أن تعرف أبدًا» إن كنت ترغب حقًّا في ذلك.

ضرب جير بقبضته في الهواء: «أترين، لهذا السبب أتزوجكِ!».

تسللت ابتسامة إلى وجهي: «لأنني كريمة؟».

فقال وهو يستعيد بعضًا من بطاطسه المقلية: «لأنكِ كريمة جدًّا، وتفهمينني».

* *

عندما عدنا إلى المنزل، كانت سيارة كونراد قد اختفت.



الفصل الخامس والثلاثون

كونراد

كنتُ أفضِّل أن يُطلق شخص ما على رأسي مسدس تثبيت المسامير، عدة مرات، على أن أشاهد كليهما متعانقَين على الأريكة طوال الليل. بعدما ذهبا لتناوُل العشاء، ركبتُ سيارتي وذهبتُ إلى بوسطن. وفي أثناء قيادتي، فكرتُ في عدم العودة إلى كازينز مجددًا. سحقًا لهذا. سيكون الأمر أسهل على هذا النحو. في منتصف الطريق إلى المنزل، كنتُ قد اتخذتُ قراري، أجل، سيكون هذا أفضل. وعلى بُعد ساعة من المنزل، قررتُ، سحقًا لهما، إن لديَّ الحق في الوجود هناك مثلهما تمامًا. كنتُ لا أزال بحاجة إلى تنظيف المزاريب، وكنتُ متأكدًا تمامًا من أنني قد رأيتُ عشَّ دبابير في أنبوب الصرف. ثمة كل تلك الأشياء بحاجة إلى العناية بها. لا يمكنني ألَّا أعود هكذا ببساطة.

بحلول منتصف الليل، كنتُ جالسًا إلى طاولة المطبخ مرتديًا سروالي الداخلي وأتناول حبوب الإفطار عندما دخل أبي، وهو لا يزال مرتديًا بدلة عمله. لم أكن أعلم حتى بأنه في البيت.

لم يبدُ متفاجئًا لرؤيتي.

سأل قائلًا: «كُون، هل يمكنني التحدث معك لدقيقة؟».

- أجل.

جلس مقابلي ومعه كوب الويسكي الخاص به. وفي ضوء المطبخ الخافت، بدا أبي أشبه برجلٍ عجوز. بدا شعره خفيفًا من الأعلى، وقد فقد الوزن، الكثير من الوزن. متى شاخ هكذا؟ إنه ببالي لا يزال دائمًا في السابعة والثلاثين.

تنحنح أبي. ثم قال: «برأيك ماذا عليَّ أن أفعل بشأن موضوع جيرمايا ذلك؟ أعني، هل هو حقًّا مصمم على ذلك؟».

- أجل أعتقد أنه كذلك.

لوريل مُحطَّمة حقًّا بشأن الأمر. لقد جرَّبَتْ كل شيء، ولكنَّ الولدين لا يستمعان. لقد تركت بيلي المنزل، والآن هما لا تتحدثان إلى بعضهما بعضًا حتى. تعلم كيف يكون شعور لوريل حيال كل ذلك.

كان هذا خبرًا جديدًا بالنسبة لي. لم أكن أعلم أنهما لا تتحدثان إلى بعضهما بعضًا.

أخذ أبي رشفةً من كأسه: «أتعتقد أن هنالك أيَّ شيء بوسعي فعله؟ لأضع حدًّا لذلك؟».

ولأول مرة وافقتُ أبي الرأي فعلًا. بغض النظر عن مشاعري تجاه بيلي، رأيتُ أن الزواج في عمر التاسعة عشرة أمرًا غبيًّا. فما المغزى؟ ما الذي يحاولان إثباته؟

قلتُ: «يمكنك قطع المال عن جير. (ولكني ما لبثتُ أن شعرت بكوني وضيعًا لاقتراحي ذلك. فأضفتُ..) ولكن حتى إن فعلت، فسيزال لديه المال الذي تركته له أمه».

- معظمه في وديعة.

- إنه عازمٌ على الأمر. سيفعل ذلك في كلتا الحالتين. (ترددتُ، ثم أضفتُ..) وعلاوة على ذلك، إن فعلتَ شيئًا كهذا، فلن يسامحك أبدًا.

نهض أبي وسكب لنفسه المزيد من الويسكي. وارتشفه قبل أن يقول: «لا أريد أن أخسره مثلما خسرتك».

لم أدرِ ماذا عساي أن أقول. لذا جلسنا هناك في صمت، وحالما فتحتُ فمي أخيرًا لأقول: «أنت لم تخسرني»، نهض واقفًا.

تنهَّد بقوة، وقد أفرغ كأسه: «ليلةً سعيدة يا بُنَي».

- ليلةً سعيدة يا أبي.

شاهدتُ أبي وهو يصعد الدرَج، وبدت كل خطوة أثقل من سابقتها.. وكأنه أطلس الذي يحمل العالم على كتفيه. إنه لم يضطر قط إلى التعامل مع مثل هذه الأمور من قبل. لم يكن قط مضطرًّا إلى أن يكون هذا النوع من الآباء. فقد كانت أمي دائمًا موجودة لتولِّي الأمور الصعبة. والآن بعد أن رحلَتْ، صار هو كل ما تبقى لنا، ولم يكن هذا كافيًا.

لطالما كنتُ الابن المفضل. كنتُ يعقوب أبينا، وجيرمايا كان عيسى. ذلك شيءٌ لم أشك فيه يومًا؛ افترضت دائمًا أن هذا يرجع لكوني الابن البكر، لذلك أتيتُ في المقدمة بالنسبة لأبي. تقبلتُ الأمر فحسب، وهكذا فعل جير. ولكن كلما كبرنا، أدركت أن الأمر ليس كذلك. الأمر أنه كان يرى نفسه فيَّ. فبالنسبة لأبي، كنتُ مجرد انعكاسٍ له. كان يعتقد أننا متشابهَين جدًّا. جير كان يشبه أمنا، وأنا أشبه أبانا. لذلك كنتُ الشخص الذي يضع عليه كل الضغط. الشخص الذي يضخُّ فيه كل طاقته وأمله. في كرة القدم، في الدراسة، في كل شيء. وعملتُ بجدٍّ لتحقيق تلك التوقعات، لأكون مثله تمامًا.

أول مرة أدركتُ فيها أن أبي ليس مثاليًّا كانت عندما نسي عيد ميلاد أمي. كان يلعب الجولف طوال اليوم مع أصدقائه، وعاد إلى المنزل متأخرًا. لقد صنعتُ أنا وجير كعكة واشترينا أزهارًا وبطاقة مُعايدة. وضعنا كل شيءٍ فوق طاولة غرفة الطعام. كان أبي قد شرب بضع كؤوس من البيرة.. استطعتُ شمَّها عليه عندما عانقني.

قال: «أوه، تبًّا، لقد نسيت. يا ولدان، هل يمكنني وضع اسمي على بطاقة المُعايدة؟».

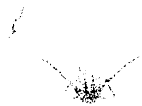
كنتُ طالبًا في السنة الأولى من المرحلة الثانوية. متأخرًا، أعلم ذلك، متأخرًا على اكتشاف أن والدك ليس بطلًا. كانت تلك هي المرة الأولى التي أتذكر فيها أنني شعرتُ بخيبة أمل بسبب شيءٍ فعلَه. وبعد ذلك، وجدتُ المزيد والمزيد من الأشياء التي تسببت لي في خيبة الأمل.

كل ذلك الحب والفخر الذي كان لديَّ تجاهه، تحوَّل إلى كراهية. ثم بدأتُ أكره نفسي، نفسي التي صنعها. لأنني رأيتُ ذلك أيضًا.. رأيتُ كم كنَّا متشابهَين. لقد أخافني ذلك. لم أرغب في أن أكون من ذلك النوع من الرجال الذي يخون زوجته. لم أرغب أن أكون ذلك النوع من الرجال الذي يضع العمل قبل عائلته، والذي يترك بقشيشًا زهيدًا في المطاعم، والذي لا يكلف نفسه أبدًا عناء معرفة اسم مدبرة منزلنا.

ومنذ ذلك الحين، شرعتُ في تدمير صورتي في رأسه. تركتُ جولات الركض الصباحية خاصتنا قبل أن يغادر إلى العمل، تركتُ رحلات الصيد خاصتنا، والجولف، والذي لم أحبه مطلقًا على أي حال. وتركتُ كرة القدم، التي أحببتُها. لقد كان يحضر جميع مبارياتي، ويصوِّرها بالفيديو لكَي نشاهدها لاحقًا ويتمكن من الإشارة إلى المواضع التي أخفقتُ فيها. وفي كل مرة كان ثمة مقال عنِّي في الجريدة، كان يضعه في إطار ويعلِّقه في مكتبه. لقد تركتُ كلَّ شيء لنكايته. أي شيء جعله فخورًا بي، سلبته إياه. لقد استغرق الأمر منِّي وقتًا طويلًا لمعرفة ذلك. لمعرفة أنني كنتُ أنا مَن حصرتُ أبي في تلك الصورة.. حصرته في فكرتي المثالية عنه. أنا من فعلتُ ذلك، وليس هو. ومن ثم احتقرته لكونه غير مثالي. لكونه إنسانًا.

*

قدتُ عائدًا إلى كازينز في صباح يوم الإثنين.



الفصل السادس والثلاثون

بعد ظهيرة يوم الإثنين كنتُ أنا وكونراد نتناول الطعام بالخارج في التراس. كان يتناول الدجاج المشوي والذرة كغداء. لم يمزح عندما قال إن كل ما كان يأكله هو الدجاج المشوي.

سألته قائلة: «هل أخبركَ جير بما يريدك أن ترتديه أنت وستيفن في حفل الزفاف؟».

هزَّ كونراد رأسه بالنفي، وقد بدا في حيرةٍ من أمره.

- ظننتُ أن الشباب فقط يرتدون البدلات في حفلات الزفاف.

- حسنًا، أجل، ولكنكما ستكونان إشبينَيه، لذا سيتعين عليكم جميعًا أن ترتدوا ملابس مشابهة. سراويل قصيرة كاكية وقمصان من الكتان الأبيض. ألم يخبركما؟

- هذه المرة الأولى التي أسمع فيها بشأن القمصان الكتانية البيضاء. أو بشأن كوني إشبينًا.

شُدهت.

- يحتاج جيرمايا إلى أن يبدأ في العمل قليلًا. بالطبع أنت إشبينه. أنت وستيفن، كلاكما.

- كيف يوجد إشبينَين. عادة ما يكون هناك إشبينًا واحدًا. (ثم أردف وهو يقضم الذرة خاصته..) فليكن ستيفن هو الإشبين، أنا غير مهتم.

- لا! أنت شقيق جيرمايا. عليك أن تكون إشبينه.

رنَّ هاتفي بينما كنتُ أشرح له ما الذي سيترتب على كونه إشبينًا. لم أتعرف على الرقم، ولكن منذ أن بدأتُ في ترتيبات الزفاف، كان هذا يحدث كثيرًا.

- هل هذه إيزابيل؟

لم أتعرف على الصوت. بدا صوتها كصوت شخصٍ ما أكبر سنًّا، وكأنها بعمر والدتي. أيًّا مَن كانت، كانت تتحدث بلكنة بوسطنية واضحة.

- امم، نعم، إنها هي. أعني، هذه أنا.

- اسمي دينيس كوليتي، أُحدِّثكِ من مكتب آدم فيشر.

- أوه... مرحبًا، تشرفنا.

- أجل، أهلًا بكِ. إنني فقط بحاجة إلى موافقتك على بعض التفاصيل المتعلقة بحفل زفافك. لقد اخترتُ شركة متعهدة لتقديم الطعام تسمى «بأناقة»، إنهم ينظمون المناسبات والحفلات في جميع أنحاء المنطقة. لقد قبلوا عرضنا في اللحظة الأخيرة، كاستثناء؛ فعادةً ما يتم حجز هذا المطعم أشهرًا مقدمًا للحفلات. هل هذا مناسبٌ بالنسبة لكِ؟

قلتُ بنبرة فاترة: «بالطبع».

نظر إليَّ كونراد بتساؤل، فحرَّكتُ شفتيَّ لأخبره من دون أن أصدر صوتًا: *إنها دينيس كوليتي*.

اتسعت عيناه، وأشار إليَّ لأعطيه الهاتف. ولكني أزحتُ يده بعيدًا.

ثم قالت دينيس كوليتي: «والآن، كم عدد الأشخاص الذين تتوقعين حضورهم؟».

- عشرون، إذا استطاع الجميع الحضور.

- لقد أخبرني آدم بأن عدد الحضور سيكون قرابة أربعين شخصًا. سأتأكد منه. (كان بإمكاني سماعها تكتب أشياء على لوحة مفاتيح الحاسوب). إذن على الأرجح أربعة أو خمسة أطباق من المُقَبِّلات لكل شخص. هل ترغبين في خيار نباتي للوجبة؟

- لا أعتقد أن لديَّ أنا وجيرمايا أي أصدقاء نباتيين.

- حسنًا. هل ترغبين في الذهاب وتذوُّق الطعام بنفسك؟ أعتقد أنه ربما عليكِ الذهاب.

- أوه، حسنًا.

- رائع. سأحجز لكِ للأسبوع المقبل إذن. والآن بالنسبة إلى ترتيبات المقاعد. هل تريدين طاولتين أو ثلاث طاولات طويلة أم خمس طاولات مستديرة؟

- امم... (لم أفكر حتى بشأن الطاولات. وما الذي كانت تتحدث عنه، أربعين؟ تمنيتُ لو أن تايلور كانت بجانبي لتخبرني بما يتوجب عليَّ فعله). أيمكنني الرد عليكِ بشأن ذلك لاحقًا؟

أطلقت دينيس تنهيدة صغيرة، فعرفتُ أنني قد قلتُ الشيء الخطأ.

- بالتأكيد. ولكن أسرعي بقدر الإمكان لأتمكن من منحهم إشارة بالبدء. هذا كل شيء حتى الآن. سأتواصل معكِ في وقتٍ لاحق من هذا الأسبوع. أوه! وتهانيَّ.

- شكرًا جزيلًا لكِ يا دينيس.

وبجانبي، صاح كونراد قائلًا: «مرحبًا يا دينيس!».

قالت: «هل هذا كونراد؟ أرسلي إليه تحياتي».

فأخبرته قائلة: «دينيس تقول لك مرحبًا».

ثم قالت أطيب الأماني، وأغلقنا الخط.

سألني كونراد قائلًا: «ما الذي يحدث هنا؟ (كانت ثمة حبة ذرة عالقة على خدِّه). لماذا تتصل بكِ دينيس».

وضعتُ هاتفي جانبًا وأجبته: «امم، على ما يبدو أن سكرتيرة والدك هي منسقة حفل زفافنا الآن. وأننا سندعو أربعين شخصًا بدلًا من عشرين».

فقال بلا مبالاة: «هذا خبرٌ جيد».

- كيف هو خبرٌ جيد؟

- إنه يعني أن أبي موافق على زواجكما يا رفيقَيَّ. وأنه سيتكفل بتكاليفه.

بدأ كونراد في تقطيع دجاجه.

- هاه. واو. (نهضتُ). من الأفضل أن أتصل بجير. مهلًا، نحن في منتصف النهار. إنه لا يزال في العمل.

جلستُ مرةً أخرى.

لربما كان من المُفترض أن أشعر بالارتياح، لأن شخصًا آخر قد تولى المسؤولية، ولكني بدلًا من ذلك، شعرتُ بالارتباك وحسب. لقد أصبح هذا الزفاف أكبر بكثير مما كنتُ أتخيله. الآن صرنا سنستأجر الطاولات؟ هذا كثير جدًّا، ومفاجئٌ جدًّا.

بمقابلي، كان كونراد يدهن كوز ذرة آخر بالزبدة. نظرتُ إلى أسفل في طبقي. لم أعد جائعة بعد الآن. شعرتُ بغثيانٍ في معدتي.

قال كونراد: «كُلي».

أخذتُ قضمةً صغيرة من الدجاج. لن أتمكن من التحدُّث إلى جيرمايا حتى وقت لاحق من ذلك المساء. ولكن الشخص الذي كنتُ أرغب في التحدث إليه حقًّا هو أمي. كانت ستعرف كيف ننظم ونعد الطاولات وأماكن جلوس الجميع. لم تكن دينيس هي الشخص الذي أردته أن يتدخل ويخبرني بما عليَّ فعله، ولا السيد فيشر أيضًا، ولا حتى سوزانا. لقد أردتُ أمي وحسب.



الفصل السابع والثلاثون

كونراد

لم أدرك حقًّا مدى صعوبة الوقت الذي كانت تمر به بيلي حتى سمعتها تتحدث مع تايلور عبر الهاتف في وقتٍ لاحق من ذلك الأسبوع. كان بابها مفتوحًا، وكنتُ أفرِّش أسناني في الحمَّام الموجود في الردهة.

سمعتها تقول: «تايلور، إنني أقدِّر حقًّا ما تحاول والدتكِ فعله، ولكني أعدكِ بأن الأمور ستكون على ما يرام... أعلم ذلك، ولكن سيكون من الغريب للغاية أن يحضر جميع كبار الحي حفل توديع عزوبيتي مع عدم وجود أمي هناك... (سمعتها تتنهَّد ثم تقول..) أجل، أعلم. حسنًا. بلغي والدتكِ شُكري».

أغلقَتْ بابها بعد ذلك، وكنتُ واثقًا من أنني قد سمعتُها تشرع في البكاء.

ذهبتُ إلى غرفتي، واستلقيتُ على سريري، وحدَّقتُ إلى السقف.

لم تخبرني بيلي بمدى حزنِها بشأن والدتها. إنها شخصٌ متفائل ومبتهجٌ بطبعه، مثل جير. لو كان ثمة جانب مشرق، لكانت بيلي ستجده. سماعها

تبكي، قد صدمني. كنتُ أعلم أنه عليَّ ألا أتدخل في الأمر. كان هذا هو الخيار الذكي. إنها لا تحتاج إليَّ لأعتني بها. إنها فتاةٌ كبيرة. وعلاوة على ذلك، ماذا عساي فعله لأجلها.

حتمًا أنني سأبقى بعيدًا عن الأمر.

في صباح اليوم التالي، استيقظتُ مبكرًا لرؤية لوريل. كان الظلام لا يزال مخيمًا بالخارج عندما غادرتُ. اتصلتُ بها وأنا في الطريق وسألتها ما إذا كان بإمكانها مقابلتي لنتناول الفطور معًا. بدت لوريل متفاجئة، ولكنها لم تطرح أيَّ أسئلة؛ قالت إنها ستلتقي بي في مطعم على الطريق السريع.

أعتقد أن لوريل لطالما كانت شخصًا مميزًا بالنسبة لي. منذ أن كنتُ طفلًا، وقد أحببتُ فقط أن أكون بالقُرب منها. أحببتُ كيف يسعك أن تظل هادئًا حولها، ومعها. لم تكن تستخف بالأطفال في حديثها. كانت تعاملنا على قدم المساواة. وبعد أن تُوفِّيَت أمي وانتقلتُ إلى ستانفورد، بدأتُ أتصل بلوريل بين كل حينٍ وآخر. كنتُ لا أزال أحب التحدث معها، وأحببتُ أنها كانت تذكرني بأمي دون أن يؤلمني هذا كثيرًا. كانت بمنزلة رابط يربطني بالديار.

وصَلتُ إلى المطعم.. وجدتُها جالسة إلى طاولة في انتظاري.

قالت وقد نهضت وفتحت ذراعيها: «كُوني...».

بدت وكأنها قد فقدت الوزن.

قلتُ وأنا أعانقها: «مرحبًا يا لور».

بدت هزيلة بين ذراعيَّ، ولكن رائحتها كانت هي نفسها. لطالما كانت للوريل رائحةً نظيفة تميل إلى رائحة القرفة.

جلستُ مقابلها. وبعد أن طلبنا فطائر «البان كيك» واللحم المقدد لكلينا، قالت: «إذن، كيف حالك؟».

قلتُ وأنا أرتشف العصير: «إنني بخير».

كيف عساي أن أطرح هذا الموضوع؟ لم يكن هذا أسلوبي. لم يكن الأمر اعتياديًّا بالنسبة لي، ليس كما هو الحال بالنسبة إلى جير. كنتُ سأتدخل في أمرٍ لا يعنيني. كان عليَّ فعل ذلك. لأجلها.

تنحنحتُ ثم قلتُ: «لقد اتصلتُ بكِ لأنني أردتُ التحدث بشأن حفل الزفاف. (بدا الضيق على وجهها، غير أنها لم تقاطعني). لور، أعتقد أن عليكِ الحضور. عليكِ أن تكوني جزءًا من هذا. أنتِ أمها».

قلَّبَتْ لور قهوتها، ومن ثم نظرت إليَّ وقالت: «أتعتقد أن عليهما أن يتزوجا؟».

- لم أقل ذلك.

- إذن، ما رأيك؟

- أظن أنهما يحبان بعضهما بعضًا وأنهما سيفعلان ذلك بصرف النظر عن رأي أيِّ شخص آخر. و... أعتقد أن بيلي تحتاج حقًّا إلى أمها الآن.

قالت بجفاف: «يبدو أن إيزابيل بخيرٍ من دوني. إنها لم تتصل بي حتى لتخبرني بمكانها. كان عليَّ أن أستمع إلى كلام آدم، والذي، بالمناسبة، يبدو أنه مَن سيتكفل بمصاريف هذا الزفاف الآن. تصرفٌ معتاد من آدم. والآن صار ستيفن إشبين العريس، وسيستسلم والد بيلي مثلما يفعل دائمًا. يبدو أنني العاقل الوحيد».

- بيلي ليست بخير. إنها بالكاد تأكل. و... قد سمعتها تبكي ليلة أمس. كانت تقول كيف أن والدة تايلور ستقيم لها حفل توديع العزوبية ولكنها لن تشعر بأن الأمر على ما يرام دون وجودك هناك.

لانَ وجه لور، قليلًا فحسب.

- ستقيم لوسيندا حفل توديع العزوبية؟ (ثم قلَّبَت قهوتها مرةً أخرى، وقالت..) لم يفكر جير مليًّا في هذا الأمر. إنه لا يأخذ الأمر بجديَّة كافية.

- أنتِ على حق. إنه ليس فتى جادًّا. ولكن صدقيني، هو جادٌّ بشأنها. (أخذتُ نَفسًا عميقًا قبل أن أقول..) لوريل، إن لم تحضري، ستندمين.

نظرَتْ إليَّ مباشرة: «هل نتحدث بصراحة إلى بعضنا بعضًا هنا؟».

- ألسنا كذلك دائمًا؟

أومأت لوريل برأسها وهي تتناول رشفةً من القهوة: «أجل، هذا ما نفعله دائمًا. إذن، أخبرني، ما مصلحتك في كل هذا؟».

كنتُ أعلم أننا سنصل إلى هنا. فهذه هي لوريل في نهاية المطاف. إنها لا تعبث.

- أريدها أن تكون سعيدة.

- آه. هي فقط؟

- وجيرمايا أيضًا.

- وهذا كلُّ شيء؟

رمقتني بنظرةٍ ثابتة.

وما كان منِّي إلَّا أن نظرتُ إليها كذلك وحسب.

* *

حاولتُ دفع ثمن الإفطار بما أنني كنتُ أنا من دعوتها للخروج، بيدَ أن لوريل لم تسمح لي.

قالت: «هذا لن يحدث».

وفي طريقي للعودة، ظللتُ أعيد حديثنا في رأسي. ونظرة العارف التي ارتسمت على وجه لور وهي تسألني عن مصلحتي في هذا. ما الذي أفعله؟ انتقاء المزهريات مع بيلي، ومحاولة لعب دور وسيط السلام مع والدينا. لقد أصبحتُ فجأة منسق حفل زفافهما، وأنا الذي لم يكن يوافقهما أصلًا. كنتُ بحاجة إلى الانسحاب من الموقف. سأغسل يديَّ من كل هذه الفوضى.



الفصل الثامن والثلاثون

سألتُ كونراد وهو يدخل من الباب عند عودته: «أين كنت؟».

لقد اختفى طوال النهار.

لم يجبني على الفور. بل أنه في الواقع، بالكاد كان ينظر إليَّ.

ومن ثم قال، باقتضاب: «فقط أؤدي بعض المهام».

رمقته بنظرة استغراب، ولكنه لم يفصِح عن أي معلومة أخرى. لذا سألتُ وحسب: «أترغب في مرافقتي عند ذهابي إلى بائع الزهور في دايرستاون؟ عليَّ اختيار الزهور من أجل حفل الزفاف».

- أليس جير قادمًا اليوم؟ ألا يمكنكِ الذهاب معه؟

لقد بدا منزعجًا.

تفاجأتُ، وتألمتُ قليلًا لذلك. لقد اعتقدتُ أن علاقتنا قد تحسنت بشكلٍ جيد حقًّا خلال الأسابيع القليلة الماضية.

- إنه لن يصل إلى هنا حتى مساء اليوم. (ثم أضفتُ، مازحة..) وعلى كل حال، أنت خبير تنسيق الزهور، وليس جير، أتذكُر؟

وقف كونراد عند الحوض وقد أدار ظهره لي. فتح صنبور المياه، وأخذ يملأ كوبًا.

- لا أريد أن أُغضبه.

أعتقد أنني سمعتُ مسحةً من الألم في صوته. الألم وشيء آخر... الخوف.

- ما الخطب؟ هل حدث شيء ما هذا الصباح؟

انتابني القلق فجأة. وعندما لم يجبني كونراد، ذهبتُ إليه وشرعتُ في وضع يدي على كتفه، ولكنه ما لبث أن استدار وسقطتْ يدي إلى جانبي.

- لا، لم يحدث شيء.

- دعنا نذهب. سأتولى أنا القيادة.

ظلَّ هادئًا جدًّا عند بائع الزهور. كنت قررتُ أنا وتايلور شراء أزهار زنابق الكالا، ولكن عندما نظرتُ في كتاب تنسيق الزهور، انتهى بي الأمر إلى اختيار الفاوانيا بدلًا منها. وعندما أريتها لكونراد، قال: «كانت تلك المفضلة لدى أمي».

- أتذكَّر.

طلبتُ خمسة تنسيقات، واحدًا لكل طاولة، تمامًا كما أخبرتني دينيس كوليتي أن أفعل.

سألتني بائعة الزهور: «وماذا عن الباقات؟».

فسألتُ قائلة: «هل يمكنها أن تكون من زهور الفاوانيا أيضًا؟».

- بالتأكيد يمكننا فعل ذلك. سأعدُّ شيئًا جميلًا من أجلكِ. (ولكونراد، قالت..) هل ترغب أنت وأشابينُك في عرواتٍ من الزهور؟».

احمرَّ وجهه: «أنا لستُ العريس».

فقلتُ وأنا أعطيها بطاقة السيد فيشر الائتمانية: «إنه شقيق العريس».

وغادرنا بعد وقتٍ قصير.

في طريق عودتنا إلى المنزل، مررنا بكشكٍ لبيع الفاكهة على جانب الطريق. أردتُ أن أتوقف، ولكنني لم أقل ذلك. أعتقد أن كونراد قد أدرك ذلك، لأنه سأل قائلًا: «أترغبين في العودة؟».

قلتُ: «لا، لا بأس، لقد تجاوزناه بالفعل».

انعطف كونراد بعكس الاتجاه في الطريق ذي الاتجاه الواحد.

كان حامل الفاكهة عبارة عن صندوقين خشبيين من الخوخ ولافتة تنص على ترك المال في العُلبة. وضعتُ دولارًا، لأنني لم أملك الفَكَّة.

سألتُ وأنا أمسح خوختي في قميصي: «ألن تأخذ واحدة؟».

- كلَّا، لديَّ حساسية من الخوخ.

- منذ متى؟ لقد رأيتك بالتأكيد تأكلُ الخوخ من قبل. أو فطيرة الخوخ على الأقل.

هزَّ كتفيه: «دائمًا ما كنتُ كذلك. لقد أكلتُه من قبل، ولكنه يُسبب لي شعورًا بالحكَّة داخل فمي».

وقبل أن أقضم خاصتي، أغمضتُ عينيَّ واستنشقتُ رائحتها: «أنتَ الخاسر».

لم أتذوق في حياتي خوخةً كهذه. ناضجة تمامًا، حتى إن أصابعك تغوص فيها قليلًا بمجرد لمسها. التهمتُها، وقد سال عصير الخوخ على ذقني، وتقطَّر اللب على جميع أنحاء يديَّ. كانت حلوة، ولاذعة. تجربةٌ تستشعرها بكامل جسدك: الرائحة، والطعم، والشكل.

- هذه خوخةٌ مثالية. أكاد أكون لا أرغب في الحصول على واحدةٍ أخرى، لأنه ليس ثمة مجال أن تكون رائعة مثلها.

- فلنختبر ذلك.

وذهب واشترى لي واحدةً أخرى. أكلتُها في أربع قضمات.

- هل كانت طيبة؟

- أجل. كانت طيبة.

مدَّ كونراد يده ومسح ذقني بقميصه. لربما كانت تلك أكثر اللفتات حميمية التي فعلها لي أيٌّ شخصٍ على الإطلاق.

شعرتُ بدوارٍ في رأسي، وبقدميَّ تترنحان.

كل ذلك من تلك الطريقة التي نظر إليَّ بها، من تلك الثواني المعدودة وحسب. ومن ثم غضَّ عينيه، وكأن الشمس ساطعة من خلفي.

ابتعدتُ خطوة عنه وقلتُ: «سأشتري المزيد، من أجل جير».

فقال وهو يبتعد للوراء: «فكرةٌ جيدة. سأذهب لانتظارك في السيارة».

كنتُ أرتجف وأنا أجمِّع الخوخات في كيسٍ بلاستيكي. فقط نظرة واحدة منه، لمسة واحدة منه، جعلتني أرتجف. هذا جنون. إنني سأتزوج أخاه.

في السيارة، لم أتكلم. لم أستطع، حتى لو أردتُ ذلك. لم أملك الكلمات. في خضم هدوء السيارة المُكيَّفَة، بدا الصمت بيننا صاخبًا جدًّا. لذا فتحتُ نافذتي وثبتُّ ناظريَّ على الأجسام المتحركة على جانبي.

عند وصولنا إلى المنزل، رأيتُ سيارة جيرمايا مركونة أمامه. اختفى كونراد بمجرد دخولنا إلى المنزل. وجدتُ جير مُستلقيًا على الأريكة، ونظَّارته الشمسية لا تزال على رأسه. قبَّلته فاستيقظ. فتح عينيه قائلًا: «مرحبًا».

- مرحبًا. (ثم سألتُ وأنا أُورجح كيسي البلاستيكي كالبندول). أترغب في تناول الخوخ؟

شعرتُ بتوترٍ مفاجئ.

عانقني جيرمايا وقال: «أنتِ الخوخة».

- هل كنتَ تعلم بأن كونراد يعاني حساسيةً تجاه الخوخ؟

- بالطبع. أتذكرين تلك الليلة التي تناول فيها مثلَّجات الخوخ وتورَّم فمه؟

ذهبتُ لغسل الخوخ. وقلتُ لنفسي حينها: *ليس ثمة شيء لتشعُرِي بالذنب تجاهه. إنكِ لم تفعلي أي شيء.*

كنتُ أشطف الخوخ في المصفاة البلاستيكية الحمراء، وأتخلص من الماء الزائد بالطريقة التي رأيتُ سوزانا تفعلها مرات عديدة. وبينما كانت المياه تتدفق على الخوخ، أتى جيرمايا من خلفي وأمسك بواحدة، وقال: «أظن أنه أصبح نظيفًا الآن».

رفع نفسه ليجلس فوق طاولة المطبخ وقضم الخوخة.

سألته قائلة: «لذيذة، أليس كذلك؟».

رفعتُ واحدة إلى وجهي واستنشقتُها بعمق، محاولةً تصفية ذهني من كل الأفكار الجنونية.

أومأ جيرمايا برأسه. كان قد انتهى منها بالفعل ورمى بالنواة في الحوض.

- لذيذة حقًّا. هل اشتريتِ أيَّ فراولة؟ يمكنني أن آكل علبة كاملة من الفراولة الآن.

- لا، الخوخ فقط.

وضعتُ الخوخ في وعاء الفاكهة الفِضي، ورتبتها بشكلٍ جيد ولطيف قدر استطاعتي. وكانت يداي لا تزالان ترتجفان.

الفصل التاسع والثلاثون

كانت الشقة تحتوي على سجاجيد باللون الأزرق الداكن يمتد من الجدار إلى الجدار، وعلى الرغم من أنني كنتُ أنتعل نعلين شاطئيين، فإنني فقط أستطيع القول بأنه كان رطبًا. كان المطبخ بحجم حمَّام طائرة، فعليًّا، وكانت غرفة النوم بلا نوافذ. كان للمكان أسقف عالية، وكان هذا هو الشيء الجميل الوحيد فيه، في رأيي.

أمضيتُ أنا وجيرمايا اليوم بأكمله في البحث عن شقق قريبة من جامعتنا. وإلى الآن رأينا ثلاثة. وكان هذا المكان أسوأها على الإطلاق.

قال جيرمايا وقد بدا عليه الإعجاب: «أحببتُ السجاجيد. من الجميل أن تستيقظ في الصباح وتضع قدميك على سجَّادة».

ألقيتُ نظرةً خاطفة على الباب المفتوح، حيث كان المالك ينتظرنا. لقد بدا في عمر أبي تقريبًا. وكان شعره ملمومًا للخلف على شكل ذيل حصان أبيض طويل، له شارب، ووشم لحورية بحر عارية الصدر على ساعده. لقد رآني وأنا أنظر إلى الوشم وابتسم لي ابتسامة عريضة. وابتسمتُ له ابتسامةً فاترة بالمقابل.

ثم ذهبتُ إلى غرفة النوم وطلبتُ من جيرمايا أن يتبعني.

همستُ قائلة: «إن رائحة الغرفة كرائحة دخان السجائر. وكأن السجاجيد مشبَّعةٌ بالرائحة».

- يمكنكِ تعطيرها يا عزيزتي.
- فلتُعَطِّرها أنت بنفسك. أنا لن أعيش هنا.
- ما المشكلة؟ هذا المكان يكاد يكون داخل الحرم الجامعي، وثمة مساحة خارجية.. يمكننا الشواء فيها. فكري في جميع الحفلات التي يمكننا إقامتها. بربكِ يا بيلي!
- بربك أنت. دعنا نعُد إلى أول مكان رأيناه. ذلك المكان مزوَّد بمكيِّف هواء مركزي. وفوقنا، كان بإمكاني الشعور باهتزاز الصوت الصادر من جهاز ستيريو الخاص بأحدهم، قبل حتى سماعه.

وضع جيرمايا يديه في جيبيْه: «ذلك المكان يقطنه فقط كبار السن والعائلات. أما هذا المكان فلمن هم في مثل عمرنا. شباب الجامعات».

نظرتُ مجددًا إلى المالك. كان ينظر إلى هاتفه المحمول متظاهرًا بعدم الاستماع إلى حديثنا.

قلتُ بصوتٍ خافت: «هذا المكان هو بالأساس منزل أخويَّة. إن كنت ترغب في العيش في منزل أخويَّة، فسأستقر معك هناك في غرفتك بمنزل أخويتك».

أدار عينيه. وقال بصوت عالٍ: «أعتقد أننا لن نأخذ الشقة».

ثم هزَّ كتفيه إلى المالك وكأنه يقول ماذا نحن بفاعلَين! كما لو كانا متآمرين معًا على ذلك، كما لو أنهما حليفان.

قلتُ: «شكرًا لأنك أريتنا الشقة».

فقال الرجل وهو يشعل سيجارة: «لا مشكلة».

وفي أثناء خروجنا من الشقة، رمقتُ جيرمايا بنظرة حادة. حرَّك شفتيه ليقول دون أن يصدر صوتًا: *ماذا!* بطريقةٍ متحيرة. وما كان مني إلا أن هززتُ رأسي فحسب.

قال جيرمايا في السيارة: «إن الوقتَ يتأخر. دعينا نختَر مكانًا وحسب. أريد أن أنتهي من هذا الأمر حقًّا».

قلتُ وأنا أشغِّل مكيِّف الهواء: «حسنًا، لا بأس. إذن، أختارُ المكان الأول».

- حسنًا.

- حسنًا.

عدنا إلى مُجمَّع الشقق الأول من أجل ملء الأوراق. ذهبنا مباشرةً إلى مكتب الإدارة. كان اسم مديرة المبنى كارولين. امرأة طويلة وشعرها أحمر، وكانت ترتدي فستانًا بنقشةٍ مطبوعة يتقاطع أحد جانبيه مع الآخر ومثبَّت بربطة من الجانب. كانت رائحة عطرها مثل عطر سوزانا. وقد اعتبرتُ ذلك فألَ خيرٍ واضحًا.

سألَتْ كارولين قائلة: «إذن، ألن يستأجر والديكما الشقة لكما؟ إن معظم الطلاب يطلبون من أولياء أمورهم التوقيع على الإيجار».

فتحتُ فمي لأتكلم، ولكن جيرمايا سبقني.

قال: «لا، سنفعل ذلك بنفسينا. إننا مخطوبان. وسنتزوج قريبًا».

بدت متفاجئة، ورأيتُها تلقي بنظرةٍ خاطفة على بطني.

قالت: «أوه! حسنًا، تهانيَّ».

قال جيرمايا: «شكرًا لكِ».

لم أقل شيئًا. وبداخلي، كنتُ أفكر في مدى سخطي لكون الجميع يظنون أنني حامل لمجرد أننا سنتزوج.

قالت كارولين: «سنحتاج إلى إجراء فحص ائتماني، وبعد ذلك سأتمكن من متابعة إجراءات طلبكما. لو تم التحقق من كل شيء، فالشقَّة لكما».

سأل جيرمايا وقد مال إلى الأمام: « هل إذا تأخر الشخص عن سداد بعض فواتير بطاقة الائتمان، فسيؤثر ذلك سلبًا على.. امم، ائتمانه؟».

أمكنني الشعور بعينيَّ تتسعان.

همستُ قائلة: «ما الذي تتحدث عنه؟ إن أباك يسدد رصيد بطاقتك الائتمانية».

- أجل، أعلم، ولكني أنشأتُ واحدًا جديدًا في سنتي الأولى من الجامعة أيضًا. (ثم أضاف وهو يبتسم لكارولين ابتسامةً فاتنة..) لبناء رصيدي الخاص.

فقالت، غير أن ابتسامتها قد تلاشت عن وجهها: «أنا واثقة من أن الأمور ستكون على ما يرام. إيزابيل، ماذا عن رصيدكِ؟».

أجبتُ قائلة: «امم، إنه جيد، على ما أعتقد. لقد أضافني أبي على بطاقته الائتمانية، ولكني لم أستخدمها مطلقًا».

فسألَتْ: «اممم. حسنًا، ماذا عن بطاقات التسوق؟ ألديكِ أيٌّ منها؟».

هززتُ رأسي نافية.

قال جيرمايا: «نحن بالتأكيد نملك إيجار الشهري الأول والأخير. ولدينا مبلغ التأمين أيضًا. لذا فإن كل شيء على ما يرام».

قالت كارولين وقد نهضت من كرسيها: «عظيم. سأشرع في الإجراءات اليوم، وسأُعلمكما خلال اليومين المقبلين».

فقلتُ محاولِة أن أبدو مبتهجة: «سأظل متفائلة».

خرجتُ أنا وجيرمايا من المبنى إلى موقف السيارات. وعندما صرنا واقفين أمام السيارة، قلتُ: «آمل حقًّا أن نحصل على تلك الشقة».

- وإذا لم نفعل، فأنا واثق من أننا سنتمكن من الحصول على واحدة من الأُخريات. أشكُّ في أن «غاري» قد يجري لنا فحصًا ائتمانيًّا حتى.

- ومن هو غاري؟

اتجه جيرمايا إلى الجانب الذي يخص السائق وفتح الباب: «ذلك الرجل صاحب آخر شقَّة رأيناها».

حدقتُ إليه: «أنا متأكدة من أن غاري سيجري لنا فحصًّا ائتمانيًّا».

- أشك في ذلك. غاري لا يبالي.

- على الأرجح لدى غاري معمل لمخدِّر «الميث» في السرداب.

وهذه المرة، كان جيرمايا هو من أدار عينيه في ضجر.

أردفتُ قائلة: «إذا عشنا في تلك الشقة، فمن المحتمل أن نستيقظ في منتصف الليل لنجد أنفسنا نسبح في حمَّام ثلجي من دون كليتَينا».

- بيلي، إنه يؤجر شُققًا لكثير منِ الطلاب. لقد سكن زميلي في فريق كرة القدم إحدى شققه طوال السنة الماضية، وهو على ما يرام. ولا يزال محتفظًا بكليتيه.

نظرنا إلى بعضنًا بعضًا وكل منا واقفٌ على إحدى جانبي السيارة المتقابلين.

قال جير: «لماذا لا نزال نتحدث بشأن ذلك؟ لقد حصلتِ على ما تريدين، أتذكُرين؟».

لم ينهِ جُملته بالطريقة التي كنتُ أعلم بأنه يرغب فيها.. *لقد حصلتِ على ما تريدين، مثلما تفعلين دائمًا.*

- لا نعلم ما إذا كنا قد حصلنا على ما أريده أم لا.

ولم أنهِ الجملة كما أردتُها.. *لا نعلم ما إذا كنا قد حصلنا على ما أريده أم لا، بسبب ائتمانك السيئ.*

فتحتُ باب الراكب الأمامي بانفعالٍ ودخلتُ.

تلقيتُ المكالمة في وقتٍ لاحق من ذلك الأسبوع. لم نحصل على الشقة. لم أعرف ما إذا كان ذلك بسبب ائتمان جير السيئ أم لنقص ائتماني، ولكن مَن كان يهتم حقًّا. المهم هو، أننا لم نحصل عليها.



الفصل الأربعون

إنه يوم حفل تايلور لتوديع العزوبية. ظللتُ أفكر فيه هكذا لأنها هي ووالدتها مَن كانتا تقيمانه. كانت الدعوات التي أرسلتاها أجمل من دعوات حفل زفافي الفعليَّة.

وجدتُ بالفعل مجموعة من السيارات متوقفة أمام المنزل. تعرفتُ على سيارة فضية اللون من نوع «أودي» (Audi) التي تملكها مارسي يو، وسيارة زرقاء من نوع «هوندا» (Honda) التي تملكها ميندي، عمَّة تايلور. كان صندوق بريد تايلور مُزيَّنًا ببالونات بيضاء مُعلَّقة عليه. لقد ذكَّرتني رؤيتها بكل عيد ميلاد أقامته تايلور في حياتها. دائمًا ما كانت تزينه ببالونات وردية زاهية. دائمًا.

ارتديتُ فستانًا صيفيًّا أبيض اللون وصندلًا. وضعتُ الماسكارا وأحمر الخدود وملمع شفاهٍ وردي اللون. عندما غادرتُ منزل كازينز، قال كونراد إنني أبدو جميلة. كانت هذه المرة الأولى التي نتحدث فيها منذ أن توقفنا لشراء الخوخ. قال: «تبدين جميلة». وقلتُ: «أشكرك». بشكلٍ عادي تمامًا.

قرعتُ جرس الباب، وهو أمرٌ لم أعتَد فعله قط في منزل تايلور. ولكن بما أنها كانت حفلة، فأعتقد أنني يجب عليَّ فعل ذلك.

فتحت تايلور الباب. كانت ترتدي فستانًا ورديَّ اللون مع رسمة مطبوعة لسمكة باللون الأخضر الفاتح تسبح على طول حاشيته، وقد صففت شعرها نصفه مرفوعٍ للأعلى. بدت وكأنها هي العروس، وليس أنا.

قالت وهي تعانقني: «تبدين جميلة».

فقلتُ وأنا أخطو إلى الداخل: «وكذلك أنتِ».

قالت وهي تقودني إلى غرفة المعيشة: «الجميع هنا تقريبًا».

قلتُ: «فقط سأذهب للتبوُّل أولًا».

- أسرعي، فأنتِ ضيفة الشرف.

استخدمتُ الحمَّام بسرعة، وبعد أن غسلت يدي حاولتُ تمشيط شعري بأصابعي. وضعتُ المزيد من ملمِّع الشفاه. ولسببٍ ما، شعرتُ بالتوتر. كانت تايلور قد علَّقَتْ في السقف أجراس الزفاف المصنوعة من ورق الزينة، وكانت أغنية «ذاهبان إلى الكنيسة» (Going to the Chapel) مُشَغَّلَةً على جهاز الستيريو.

رأيتُ صديقاتنا: مارسي وبلير وكاتي، وميندي عمة تايلور، والسيدة إيفانز جارتي في المنزل المجاور، ولوسيندا والدة تايلور، وكانت تجلس إلى جانبها، على الأريكة، مرتدية بدلة باللون الأزرق الفاتح، أمي. امتلأت عيناي بالدموع عندما رأيتُها.

لم نقطع الغرفة ركضًا لنتعانق، ولم نبكِ. شققتُ طريقي عبر الغرفة، أعانق السيدات والفتيات، وعندما وصلتُ أخيرًا إلى أمي، تعانقنا بقوة، عناقًا طويلًا. لم يكن علينا قول أيِّ شيء، لأن كلتينا كانت تعلم.

على طاولة البوفيه، ضغطت تايلور على يدي وهمسَت قائلة: «سعيدة؟».

فهمستُ إليها وأنا ألتقطُ طَبَقًا: «سعيدة جدًّا».

شعرتُ بارتياحٍ هائل. لقد بدا كل شيءٍ على ما يرام حقًّا. كان هذا يحدث بالفعل.

قالت تايلور: «عظيم».

- كيف حدث ذلك؟ هل تحدَّثت والدتك مع أمي؟

- امم.. هممم (وقد أعطتني قُبلةً صغيرة في الهواء). قالت أمي بأنه لم يكن من الصعب حتى إقناعها بالمجيء.

كانت لوسيندا قد أعدَّت الطاولة بكعكة جوز الهند البيضاء باعتبارها قطعة مركزية. وكان هناك عصير الليمون الفوَّار، ولفائف النقانق، والجزر صغير الحجم، وصلصة البصل.. جميع أطعمتي المفضلة. وكانت أمي قد أحضرت لها مكعبات كعك الليمون.

ملأتُ طبقي بالطعام وجلستُ بجانب الفتيات. وضعتُ إحدى لفائف النقانق في فمي، وقلتُ: «شكرًا جزيلًا لكم على حضوركم يا رفاق!».

قالت مارسي وهي تهز رأسها في ذهول: «لا أصدق أنكِ ستتزوجين».

وقالت بلير: «وأنا أيضًا».

فقلتُ: «وأنا أيضًا».

كان فتح الهدايا هو الجزء الأفضل. شعرتُ كما لو أنه عيد ميلادي. صينية مُقَسَّمة لصُنع الكعكات الصغيرة من مارسي، وأكواب للشُّرب من بلير، ومناشف لليد من العمة ميندي، وكتب للطبخ من لوسيندا، وإبريق زجاجي من تايلور، ولحاف محشو بالريش من أمي.

جلست تايلور بجانبي، وأخذت تكتب مَن أهداني ماذا وتجمع شرائط التغليف. صنعَتْ ثقبًا في طبق من الورق ونسجَت الشرائط من خلاله.

سألتها: «لماذا تفعلين ذلك؟».

فقالت لوسيندا وهي تبتسم لي مبتهجة: «هذه ستكون باقتكِ في بروفة حفل الزفاف أيتها السخيفة».

عرفتُ أنها كانت تأخذ حمَّام شمس في الصباح. استطعتُ قول ذلك لأنه كان بإمكاني رؤية العلامات التي تركتها نظَّارتها الواقية.

قلتُ: «أوه، إننا لن نقيم عشاءً تدريبيًّا لحفل الزفاف».

لأنه بصراحة، ما الذي قد نتدرب عليه؟ إننا سنتزوج على الشاطئ. سيكون الأمر بسيطًا وغير معقد، كما نريده.

فسلَّمَتني تايلور الطبق قائلة: «إذن عليكِ ارتداؤه كقبعة».

نهضت لوسيندا وربطت الطبق حول رأسي مثل قلنسوَة. ضحكنا جميعًا حين التقطت مارسي صورةً لي.

وقفت تايلور وهي تحمل دفتر ملاحظاتها. وقالت: «حسنًا، استعدوا لما ستقوله بيلي في ليلة زفافها».

غطيتُ وجهي بقبعة شرائط التغليف خاصتي. لقد سمعتُ عن هذه اللعبة من قبل. تدوِّن وصيفة الشرف كل الأشياء التي تقولها العروس في أثناء فتح الهدايا.

صاحت تايلور قائلة: «أوه، جميل جدًّا!».

حاولتُ انتزاع الدفتر منها، ولكنها رفعته فوق رأسي وقرأَتْ قائلة: «جيرمايا سيحب هذا!».

وبعد مسابقة صنع فستان زفاف باستخدام مناديل المرحاض الورقية، وبعد أن ساعدنا في التنظيف وغادر الجميع، أوصلتُ أمي إلى سيارتها.

شعرتُ بالخجل وأنا أقول: «شكرًا لمجيئكِ يا أمي. هذا يعني لي الكثير».

مَلَّسَت شعري مُبعِدة إياه عن عينيَّ. وقالت ببساطة: «أنتِ فتاتي».

ألقيتُ ذراعيَّ حولها: «أحبكِ.. كثيرًا».

اتصلتُ بجيرمايا بمجرد أن ركبتُ سيارتي. صرختُ قائلة: «لا شيء يمكنه منعُنا!».

لا يعني هذا أن شيئًا كان يمكنه منعنا من قبل. ولكن مع ذلك، فإن التخطيط لهذا الزفاف، والبقاء بعيدًا عن المنزل، والشجار مع أمي، قد أصابني بتوترٍ شديد. ولكن بوجود والدتي بجانبي، شعرتُ أخيرًا بأنني أستطيع التنفس مرةً أخرى. لقد تلاشت مخاوفي بعيدًا. شعرتُ أخيرًا بالكمال. شعرتُ كما لو أنني أستطيع فعل ذلك.

في تلك الليلة، نمتُ في منزلنا. شاهدتُ أنا وستيفن وأمي برنامج جريمة، واحدًا من تلك البرامج التي يعيدون فيها تمثيل الجرائم. مِتنا ضحكًا على التمثيل البشع. وأكلنا مقرمشات «الفريتوس» وبقية مكعبات كعك الليمون الخاصة بأمي. كان شعورًا رائعًا.

الفصل الحادي والأربعون

كونراد

في اليوم الذي عادت بيلي فيه إلى المنزل، ذهبتُ لزيارة إيرني، المالك القديم لمطعم المأكولات البحرية الذي اعتدتُ على ترتيب وتنظيف الطاولات فيه. كلُّ طفل ذهب إلى كازينز يعرف مَن هو إيرني، تمامًا كما كان إيرني يعرف كل طفل. لم ينس وجهًا قط، مهما كبر في السن. لا بد أن إيرني كان في السبعين من عمره على الأقل عندما عملتُ هناك في المرحلة الثانوية. صار ابن أخيه جون هو مَن يدير المكان الآن، وقد كان نذلًا. في البداية، أخفض رتبة إيرني إلى نادل، ولكن إيرني لم يستطع مواكبة العمل، لذا جعله جون يلفُّ أدوات المائدة بالمناديل. انتهى الأمر بأن أبعده جون عن العمل تمامًا، مما أجبره على التقاعد. بالتأكيد كان إيرني كبيرًا في السن، ولكنه كان مجتهدًا، وكان الجميع يحبونه. لقد اعتدتُ أن آخذ استراحات التدخين بصُحبته في الخارج. كنتُ أعلم أنه من الخطأ أن أتركه يدخن سيجارة، ولكنه كان رجلًا عجوزًا، ومَن يستطيع حقًّا أن يقول لا لرجلٍ عجوز؟

عاش إيرني في منزلٍ صغير يقع قبالة الطريق السريع، وكنتُ أحاول الذهاب إلى رؤيته مرة في الأسبوع على الأقل، لمؤانسته وأيضًا للتأكد من أنه لا يزال على قيد الحياة. فلم يكن لدى إيرني أي شخص ليذكِّره بتناوُل دوائه، ومن المؤكد كالجحيم أن ابن أخيه جون لم يكن يأتي لزيارته. فبعد أن طرده جون من العمل، قال إيرني أن جون لم يعد من دمه بعد الآن.

لذلك تفاجأتُ للغاية عندما توقفتُ في شارع إيرني ورأيتُ سيارة جون في طريقها للخروج منه. ركنتُ سيارتي أمام المنزل وطرقتُ الباب مرة واحدة قبل أن أسمح لنفسي بالدخول.

سألني إيرني من على الأريكة قائلًا: «هل أحضرت لي سيجارة؟».

كان نفس الشيء يحصل كل مرة. لم يكن من المسموح له أن يدخن.

قلتُ: «لا. لقد أقلعتُ عن التدخين».

- إذن فلتنصرف من هنا بحق الجحيم.

ثم ضحك مثلما يفعل دائمًا، وجلستُ على أريكته. شاهدنا مسلسلات بوليسية قديمة وأكلنا الفول السوداني في صمت. وخلال الفواصل الإعلانية، كانت الفترة التي نتجاذب فيها أطراف الحديث.

سألته: «أسمعتَ بأن أخي سيتزوج نهاية الأسبوع المقبل؟».

ضحِكَ: «إنني لم أصبح ترابًا بعد يا فتى. بالطبع سمعت. الجميع سمع. إنها فتاةٌ حلوة. لقد اعتادت أن تنحني عند رؤيتي عندما كانت صغيرة».

فقلتُ وقد ابتسمتُ ابتسامةً عريضة: «هذا لأننا أخبرناها بأنك كنت أميرًا في إيطاليا ولكنك بعد ذلك أصبحت رجل مافيا. عرَّاب شاطئ كازينز».

- الحقيقة الصادمة.

عاد المسلسل، وأخذنا نشاهد في صمتٍ مريح. ومن ثم، في الفاصل التالي، قال إيرني: «هل ستبكي بشأن ذلك كالجبان، أم أنك ستفعل شيئًا ما؟».

كدتُ أختنق بالفول السوداني الذي آكله. سعلتُ وأنا أقول: «عن ماذا تتحدث؟».

نخر، وقال: «لا تتحذلق معي. إنك تحبها، صحيح؟ أليست هي فتاتك المنشودة؟».

- إيرني، أعتقد أنكَ نسيت تناول أدويتك اليوم. أين علبة الدواء خاصتك؟

تجاهلني، ولوَّح لي بيده الشاحبة التي تبرز منها عظامها وقد أعاد انتباهه للتلفاز مرةً أخرى.

- هدوء! لقد عاد المسلسل.

اضطررتُ إلى الانتظار حتى الفاصل الإعلاني التالي حتى سألته بشكل عَرَضي: «هل تؤمن بذلك حقًّا؟ أنه على المرء أن يكون مع شخصٍ واحد بعينه؟».

قال وهو يُقَشِّر إحدى حبَّات الفول السوداني: «بالطبع أومن. إليزابيث كانت فتاتي المنشودة. وعندما توفيَتْ، لم أجد سببًا واحدًا للبحث عن أخرى. لقد رحلت فتاتي. والآن أنا فقط أنتظر وقت رحيلي. أحضِر لي زجاجة من البيرة، هلَّا فعلت؟».

نهضتُ وذهبتُ إلى ثلاجته. عدتُ ومعي زجاجة من البيرة وكأسًا نظيفة. كان يحب إيرني الشرب في كؤوس نظيفة.

سألتُ قائلًا: «ما الذي كان يفعله جون هنا؟ لقد رأيته في طريقي».

- لقد جاء لجزِّ العشب.

فقلتُ وأنا أسكب البيرة في كأسه: «اعتقدتُ أن تلك كانت مهمتي».

- إنك تجزُّ الحواف بشكل مزرٍ.

- متى بدأتما في التحدث من جديد؟

هزَّ إيرني كتفيه ووضع حبة فول سوداني في فمه.

- على الأرجح أنه يحوم في الأرجاء لكي أترك له ممتلكاتي بعد مماتي. (شرب بيرته واتكأ على كرسيه المريح) على كل حال، إنه فتى طيِّب. الابن الوحيد لأخي. إنه فردٌ من العائلة. والعائلة عائلة. لا تنس هذا أبدًا يا كونراد.

- إيرني، قبل فاصلين إعلانيين، أخبرتني بأنني إن لم أحاول وأفض حفل زفاف أخي، فسأكون جبانًا!

فقال وهو يزيل بقايا الطعام من بين أسنانه: «لو أن الفتاة هي فتاتكَ المنشودة، فعليك إبقاء كل المنافسين خارج الصورة، سواء كانوا من العائلة أم من خارجها».

شعرتُ بأنني أخف حملًا عندما غادرتُ منزل إيرني بعد قرابة الساعتين. لطالما كان شعوري كذلك بعد رؤيته.

الفصل الثاني والأربعون

كان يوم أربعاء، قبل بضعة أيام قليلة فقط من حفل الزفاف. وغدًا، ستحضرُ تايلور وأنيكا إلى كازينز، وكذلك جوش وريدبيرد وأخي. كان الأولاد سيقضون ما يسمى بليلة توديع العزوبية، وكنتُ أنا وتايلور وأنيكا سنتسكع بجوار المسبح. وفيما بين دينيس كوليتي وتايلور، كان كل ما يخص حفل الزفاف جاهزًا إلى حدٍّ كبير. وقد تم طلب الطعام، وهو لفائف الكركند وكوكتيل من الجمبري. ولدينا أضواء عيد الميلاد لتزيين التراس والفناء. كونراد سيعزف لحن أغنية على الجيتار عند ظهوري مع أبي في حفل الزفاف. وسأرتدي المجوهرات التي تركتها لي سوزانا؛ وسأصفف شعري وأضع مكياجي بنفسي.

بدا أن كل شيء كان يسير بسلاسة، وعلى ما يرام، غير أنني ما زلت لا أستطيع التخلص من الشعور بأنه ثمة شيء ما قد نسيته.

كنتُ أنظِّف غرفة المعيشة بالمكنسة الكهربائية عندما فتح كونراد الباب الجرَّار. لقد أمضى طوال الصباح يمارس ركوب الأمواج. أوقفتُ تشغيل المكنسة الكهربائية.

سألته قائلة: «ما الخطب؟».

لقد بدا شاحبًا، وكان شعره يُقَطِّر ماءً في عينيه: «انزلقتُ. وجرحتني زعنفة لوحي».

- هل الجرح سيئ؟

- لا، ليس سيئًا للغاية.

شاهدته وهو يعرج إلى الحمَّام، فركضتُ إليه. وجدته جالسًا على حافة حوض الاستحمام، وكان الدم يبلل منشفته ويسيل على ساقه. شعرتُ بالدوار لجزءٍ من الثانية.

قال كونراد وقد بدا وجهه شاحبًا كرخام الطاولة الأبيض: «لقد توقف النزيف بالفعل. إنه يبدو أسوأ مما هو عليه».

لقد بدا وكأنه سيغشى عليه.

- فقط استمِر في الضغط عليه. سأحضرُ بعض الأغراض لتنظيفه.

لا بدَّ أنه كان يؤلمه حقًّا، لأنه أطاعني. وعندما عدتُ ومعي الماء الأكسجيني والشاش ومُطهر للجروح، وجدته جالسًا هناك في الوضعية نفسها، وساقه داخل حوض الاستحمام. جلستُ بجانبه، وأخبرته قائلة: «اتركه. دعني أنظفه».

- إنني بخير. سأتولى أمري.

- كلَّا، أنت لست بخير.

أبعد يده عن المنشفة، وتوليتُ أنا الضغط عليها. وجفل في أثناء ذلك.

- آسفة.

استمررتُ في الضغط عليها لبضع دقائق، ومن ثم أبعدتُ المنشفة الملطخة بالدماء عن ساقه. كان الجرح ضيِّقًا وممتدًا على طول بضعة إنشات. لم يكن النزيف حادًّا، لذا بدأتُ في سكب الماء الأكسجيني على الجرح.

صرخ قائلًا: «آه!».

- لا تكن كالطفل الصغير. إنه يكاد يكون مجرَّد خدش.

كذبتُ حيال ذلك. لقد كنتُ أتساءل ما إذا كان سيحتاج إلى غرز.

مال كونراد نحوي، وكاد رأسه يستقر على كتفي وأنا أنظف الجرح. استطعتُ الشعور بأنفاسه شهيقًا وزفيرًا، استطعتُ الشعور بكل شهقةٍ حادة في كل مرة كنتُ ألمس فيها الجرح.

عندما صار الجرح نظيفًا بدا شكله أفضل بكثير. ضمدته بمطهر الجروح ثم لففتُ ساقه بالشاش.

ثم ربتُّ على ركبته وقلتُ: «أترى؟ لقد تحسَّن كثيرًا».

رفع رأسه وقال: «شكرًا لكِ».

- لا داعي للشكر.

كانت ثمة لحظة فيما بيننا بعد ذلك، لحظة فقط نظرنا فيها إلى بعضنا بعضًا، لحظة أطال كلانا النظر في عينَي الآخر. تسارعت أنفاسي. لو ملتُ للأمام قليلًا فحسب، سنتبادل القبل. كنتُ أعلم بأنه كان عليَّ الابتعاد، ولكنني لم أستطع.

- بيلي؟

كنتُ أستطيع الشعور بأنفاسه على رقبتي.

- نعم؟

- أيمكنكِ مساعدتي على النهوض؟ سأصعد إلى الطابق العلوي وآخذ قيلولة.

- لقد فقدتَ الكثير من الدم. (وقد تردَّد صدى صوتي بين بلاط الحمَّام). لا أعتقد أنك من المفترض أن تنام.

ابتسم بوهن: «ذلك في حالات الارتجاج».

نهضتُ، ثم سحبته لينهض بجواري: «أتستطيع السير؟».

قال وهو يعرج مبتعدًا عني، وقد أسند يده على الحائط: «سأتدبر أمري».

كان التي-شيرت الخاص بي مبللًا من أثر رأسه على كتفي. وتلقائيًّا، بدأتُ في تنظيف الفوضى، وقلبي ينتفض بضرباته القوية داخل صدري. ما الذي

حدث للتو؟ ما الذي كدتُ أفعله؟ هذه المرة لم تكن تشبه موقف الخوخ. هذه المرة كانت بشأني أنا.

نام كونراد خلال وقت العشاء، وتساءلت عما إذا كان عليَّ أن أحضِر له بعض الطعام ولكنني قررتُ عدم القيام بذلك. وفي المقابل، سخَّنتُ إحدى فطائر البيتزا المُجَمَّدة التي اشتريتها، ومن ثم أمضيتُ بقية الليل في تنظيف الطابق السفلي. شعرتُ بالارتياح لأن الجميع سيكونون هنا بحلول الغد. لن أعود أنا وهو وحدنا بعد الآن. بمجرد أن يصبح جيرمايا هنا، سيعود كل شيءٍ إلى وضعه الطبيعي.

الفصل الثالث والأربعون

عاد كل شيءٍ إلى وضعه الطبيعي. عدتُ أنا إلى وضعي الطبيعي، وكذلك فعل كونراد. بدا الأمر وكأن شيئًا لم يحدث. لأن شيئًا لم يحدث بالفعل. لو لم تكن لديه ضمادة على ساقه، لظننتُ بأن الأمر برمته كان حُلمًا من نسج خيالي.

كان الأولاد جميعًا على الشاطئ، باستثناء كونراد، لأنه لا يمكنه جعل الماء يلامس ساقه. كان في المطبخ، يجهِّز اللحم للشوي. وكنَّا نحن الفتيات مستلقيات بجوار حمَّام السباحة، نمرر فيما بيننا كيسًا من الفشار ذهابًا وإيابًا. ومن حيث الطقس، فقد كان يومًا مثاليًّا في كازينز. كانت الشمس مرتفعة وحارَّة، وثمة عدد قليل من السُّحب. لا أمطار في توقعات الطقس للأيام السبعة المقبلة. كان حفل زفافنا في مأمن.

قالت تايلور وهي تضبط الجزء العلوي من البيكيني الخاص بها: «إن ريدبيرد ظريفٌ نوعًا ما، أليس كذلك؟».

قالت أنيكا: «إنه مقزز. أيُّ شخص يحمل كنية مثل ريدبيرد.. فلا، شكرًا».

عبست تايلور في وجهها: «لا تتسرعي في إلقاء الأحكام بهذه السهولة. بيلي، ما رأيكِ؟».

- امم... إنه فتى لطيف. يقول جيرمايا إنه مخلص جدًّا.

فصاحت تايلور وهي توخز أنيكا بإصبع قدمها قائلة: «أرأيتِ؟».

نظرت إليَّ أنيكا، وابتسمت ابتسامة ماكرة وقالت: «إنه مخلص جدًّا، جدًّا. ولكن ماذا إن كان أشبه بـ... إنسان بدائي ضئيل الحجم؟».

ألقت تايلور حفنة من الفشار عليَّ، وحاولتُ، وأنا أضحك، أن ألتقط بعضها بفمي.

سألَتْ أنيكا قائلة: «هل سنخرج مع الأولاد الليلة؟».

- لا، إنهم يقومون بشيءٍ خاص بهم. إنهم ذاهبون إلى حانةٍ ما تقدم مشروبات كوكتيل الويسكي الأيرلندية بنصف السعر تقريبًا أو شيءٌ من هذا القبيل.

قالت تايلور: «يا للقرف!».

نظرت أنيكا مرة أخرى نحو المطبخ، وقالت بصوت خفيض: «إنكم يا رفاق لم تخبروني قط عن مدى وسامة وجاذبية كونراد».

قالت تايلور: «إنه ليس بهذه الوسامة. إنه فقط يظنُّ نفسه كذلك».

فدافعتُ قائلة: «كلَّا، هو لا يظن نفسه كذلك (ثم نظرتُ إلى أنيكا وأردفتُ..) إن تاي فقط غاضبة لأنه لم يحاول ملاحقتها يومًا».

- ولماذا سيلاحقها وقد كان حبيبكِ؟

أشرتُ إليها لتصمت.

وهمستُ قائلة: «إنه لم يكن حبيبي قط».

قالت تايلور وهي ترشُّ نفسها بمزيد من زيت تسمير البشرة: «لطالما كان حبيبكِ».

فقلتُ بحزم: «ليس بعد الآن».

وعلى العشاء تناولنا شرائح اللحم والخضراوات المشوية. كانت وجبة كوجبات الكبار. وبشرب النبيذ الأحمر، والجلوس حول الطاولة مع جميع أصدقائي، شعرتُ بكوني فتاة ناضجة. كنتُ جالسة بجانب جيرمايا، وكانت ذراعه حول كرسيَّ. ولكن لا يزال...

طوال الليل، تحدثتُ مع أشخاص آخرين. ولم أنظر اتجاهه، ولكنني كنتُ أعرف دومًا مكانه. كنتُ أعي به على نحوٍ مؤلم. وعندما يكون في مكان قريب، أشعر بجسدي يُهمهم. وحين يبتعد أشعر بهذا الألم الباهت المُثقِل. ومعه، أشعر بكل شيء.

كان يجلس بجوار أنيكا، وقد قال شيئًا جعلها تضحك. شعرت بغصَّة في قلبي. أشحتُ بناظريَّ بعيدًا.

نهض توم وقدَّم نخبًا: «إلى بيلي وجي-فيشر الثنائي الــ.. -تجشَّأ- الرائع. الثنائي المذهل حقًّا».

رأيتُ أنيكا ترمق تايلور بنظرة، وكأنها نظرة تقول: *أتعتقدين أن هذا الفتى وسيم؟* هزَّت تايلور كتفيها لها. ورفع الجميع علب البيرة وكؤوس النبيذ خاصتهم، وقرعناها معًا. ضمني جيرمايا إليه وطبع قبلة على شفتيَّ أمام الجميع. انسحبتُ بعدها مبتعدةً عنه بعض الشيء، وقد شعرتُ بالحرج. رأيتُ النظرة المرتسمة على وجه كونراد، وتمنيت لو أنني لم أفعل.

ثم قال ستيفن: «نخبٌ آخر يا رفاق. (وقف بتثاقل). إنني أعرف جير منذ نعومة أظفاري. وبيلي أيضًا، مع الأسف».

رميته بمنديلي.

فقال ستيفن وهو ينظر إليَّ: «أنتما رائعان معًا يا رفيقان. (ثم نظر إلى جيرمايا). فلتُحسن معاملتها يا رجل! إنها كألم المؤخرة، ولكنها أختي الوحيدة!».

أمكنني الشعور بعينيَّ تدمعان. نهضتُ وعانقته.

قلتُ وأنا أمسح عينيَّ: «يا لكَ من وغد».

وبينما أعود إلى الجلوس بجانب جير، قال: «أعتقد بأنني عليَّ قول شيءٍ أيضًا. أولًا، شكرًا لحضوركم يا رفاق. جوش، ريدبيرد، وأنيكا. إن وجودكم هنا معنا يعني الكثير».

وكزني جير، ورفعتُ وجهي محدِّقة إليه في انتظار أن يذكر كونراد. رمقته بنظرةٍ حادة، ولكن يبدو أنه لم يفهمها.

قال: «فلتقولي شيئًا كذلك يا بيلي».

رددتُ قائلة: «شكرًا على حضوركم. وكونراد.. شكرًا على هذه الوجبة الرائعة. بحق الجحيم، إنها مذهلة حقًّا!».

ضحك الجميع.

وبعد العشاء، صعدتُ إلى غرفة جيرمايا وشاهدته وهو يستعد لخروجه مع الأولاد. كانت الفتيات سيبقين في المنزل. لقد أخبرت تايلور بأنها تستطيع الذهاب لمغازلة ريدبيرد، ولكنها قالت إنها تفضِّل البقاء.

قالت وقد بدت متقززة: «لقد أكل شريحة اللحم خاصته بيديه».

كان جير يضع مزيل العرق، وكنتُ أجلس على سريره غير المرتَّب.

سأل قائلًا: «أمتأكدةٌ من أنكِ لا ترغبين في المجيء معنا؟».

- متأكدة. (ثم قلتُ فجأة..) مهلًا، هل تتذكر تلك المرة التي وجدت فيها تلك الكلبة على الشاطئ؟ وكنَّا نسميها روزي حتى أدركنا أنها ذكر، ومن ثم واصلنا مناداتها روزي على أي حال؟

نظر إليَّ، عابسًا بعض الشيء، محاولًا التذكر: «لست أنا من وجدها، كان كونراد».

- كلَّا، لم يكن هو. كان أنت. وقد بكيتَ عندما جاء أصحابها وأخذوها.

فقال وقد احتدَّت نبرته فجأة: «لا، ذلك كان كونراد».

- لا أعتقد ذلك.

- بالتأكيد كان كذلك.

- هل أنت واثق؟

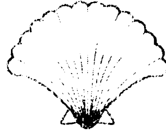
- أنا متأكد. لقد وبخناه أنا وستيف كثيرًا بسبب بكائه.

أكان كونراد حقًّا؟ لقد كنتُ واثقة من تلك الذكرى.

لقد أمضينا مع روزي ثلاثة أيام رائعة قبل يأتي شخص مطالبًا بها. كانت روزي جميلة ولطيفة، وصفراء اللون ووفروها ناعمًا وكنا نتشاجر بشأن سرير أيٍّ منَّا ستنام عليه ليلًا. فقررنا أن نجعل الأدوار بالتناوُب، وكان دوري هو الأخير لأنني كنتُ الأصغر سنًّا، لذلك لم أتمكن قط من إبقائها في سريري.

ما الذي أُخطِئ في تذكره أيضًا؟ لقد كنتُ شخصًا يحب لعب لعبة «أتذكرُ عندما..» في داخل رأسي. ولطالما كنتُ أفخر بنفسي بشأن كيفية تذكري لكل التفاصيل.

لقد أخافني التفكير في أن ذكرياتي قد تكون خاطئة ولو بمجرَّد قدرٍ بسيط.



الفصل الرابع والأربعون

بعد أن غادر الأولاد، صعدنا إلى غرفتي لتقليم الأظفار وطلائها والتدرُّب على مكياج حفل الزفاف.

قالت تايلور من فوق سريري: «ما زلتُ أعتقد بأنه لا يجب عليكِ وضع مكياجكِ بنفسك».

كانت تطلي أصابع قدميها بلونٍ وردي باهت طباشيري.

قلتُ: «لا أرغب في أن أنفق المزيد من أموال السيد فيشر. إنه ينفق كثيرًا بما يكفي بالأساس. وعلاوة على ذلك، فأنا أكره وضع الكثير من المكياج. إنه يجعل شكلي لا يُشبهني البتة».

- إنهم محترفون.. ويعرفون ما يفعلونه.

- تلك المرة التي أخذتِني فيها إلى متجر «ماك» (MAC)، لقد جعلوني أبدو وكأنني شيطان.

قالت تايلور: «هذا أسلوبهم الجمالي. على الأقل دعيني أضع لكِ رموشًا اصطناعية. أنا سأضعها لنفسي. وأنيكا كذلك».

نظرتُ إلى أنيكا، التي كانت مستلقية على الأرض وتضع قناعًا من الخيار على وجهها.

قلتُ: «إن رموشكِ طويلة بالفعل».

فقالت أنيكا من دون أن تفتح فمها، محاولة عدم إفساد قناعها: «إنها تجبرني على ذلك».

قلتُ: «حسنًا، أنا لن أضعها. إن جير يعرف كيف تبدو رموشي الحقيقية، وهو لا يهتم بمثل هذه الأشياء. هذا إلى جانب أنها تسبب لي الحكة. أتذكرين يا تاي؟ لقد وضعتهما لي في يوم الهالووين. وقد خلعتهما حالما أدرتِ ظهركِ».

فشهقت تايلور قائلة: «خمسة عشر دولارًا مهدرة!».

ثم انزلقَتْ من السرير وجلست بجانبي على الأرض. كنتُ أحاول تجربة أنواع أحمر الشفاه المختلفة التي أحضرتها تايلور معها. وحتى تلك اللحظة كان الخيار بين مُلَمِّع الشفاه الوردي وأحمر الشفاه المشمشي.

سألتُها قائلة: «أيهما تفضلين أكثر؟».

كنتُ قد وضعتُ المُلَمِّع على شفتي العليا وأحمر الشفاه على شفتي السفلى.

قالت تايلور: «أحمر الشفاه. سيظهر بشكلٍ أفضل في الصور».

في البداية، كنا سنطلب من جوش أن يلتقط لنا الصور وحسب.. فقد تلقى بعض الدروس في التصوير الفوتوغرافي في «فينش»، وكان هو المصور الرسمي للأخويَّة في جميع حفلاتهم. ولكن الآن بعد أن تدخل السيد فيشر ودينيس كوليتي، وكَّلنا مُصَوِّرًا حقيقيًّا، شخصًا تعرفه دينيس.

قالت تايلور: «ربما لا يزال بإمكاني الذهاب لتصفيف شعري في صالون الشَّعر».

فأخبرتها قائلة: «فلتفعلي ذلك».

بدلنا جميعًا ما نرتديه من ملابس بملابس نومنا، وقدَّمتْ لي تايلور وأنيكا هدية زفاف.. ثوب نوم قصير «بيبي دول» من الدانتيل الأبيض مع سروال داخلي مطابق له.

قالت تايلور بنبرة ذات مغزى: «من أجل ليلة الزفاف».

فقلتُ وأنا أحمل السروال الداخلي: «أوه، أجل، فهمت ذلك. (كنتُ آمل ألَّا يكون وجهي قد احمرَّ كثيرًا). شكرًا لكنَّ يا رفيقات.

سألت تايلور وهي تعود إلى الجلوس على سريري: «هل لديكِ أي استفسارات لنا؟».

- تايلور! إنني أعيش في هذا العالم! لست بحمقاء.

- إنني فقط أقول... (ثم توقفت لوهلة..) أنه لربما لن يعجبكِ الأمر كثيرًا في أول مرتين أو نحو ذلك. أعني، إنني ضئيلة الحجم جدًّا، مما يعني أن ذلك المكان بالأسفل ضئيلٌ جدًّا، لذلك يؤلمني كثيرًا. قد لا يكون الأمر مؤلمًا للدرجة بالنسبة لكِ. أخبريها يا أنيكا.

اتسعت عينا أنيكا: «لم يؤلمني الأمر على الإطلاق يا إيز».

فقالت تايلور: «إذن، على الأرجح أن لديكِ مهبلًا كبيرًا».

ضربت أنيكا تايلور على رأسها بوسادة، وبدأنا جميعًا في الضحك ولم نتمكن من التوقف.

ثم قلتُ: «انتظري، ما مدى الألم الذي شعرتِ به بالضبط يا تاي؟ أكان ألمًا أشبه بألم لكمةٍ في المعدة؟».

سألتني أنيكا قائلة: «ومن الذي قد سبق ولكمك في بطنكِ يا بيلي؟».

فذكَّرتها قائلة: «لديَّ أخ أكبر».

قالت تايلور: «إنه نوعٌ مختلف من الألم».

- أهو أسوأ من تقلُّصات الدورة الشهرية؟

- أجل. ولكن أستطيع القول إنه أقرب لأخذ جرعة من «النوفوكايين» في لثتك.

قالت أنيكا وهي تنهض: «عظيم، والآن إنها تقارن فقدانكِ لعذريتكِ بحشو أحد ضروسك. إيز، توقفي عن الاستماع إليها. أعدك بأنه أكثر متعة من الذهاب إلى طبيب الأسنان. سيختلف الأمر لو كان كلاكما عذراوين، ولكن جيرمايا على درايةٍ بالأمر. سوف يعتني بكِ».

غرقت تايلور في نوبةٍ أخرى من الضحك: «سيعتني بها!».

حاولتُ الابتسام، ولكن وجهي كان متجمِّدًا. لقد حظي جيرمايا بتجربتين مع فتاتين أخريين. مارا، صديقته في المدرسة الثانوية، ومن ثم لاسي بارون. لذلك أجل، كنتُ واثقة تمامًا من أنه يعرف ما يتوجب عليه فعله. تمنيتُ فقط لو أنه لم يكن كذلك.

كنَّا جميعًا مستلقيات على سريري، جنبًا، إلى جنبٍ. كنا نتحدث فحسب والأضواء مطفأة، وكانت أنيكا أول من غفت. ظللت أعيد التفكير في الأمر مرارًا وتكرارًا، ما إذا كان ينبغي لي الوثوق في كلام تايلور أم لا، وهل أخبرها بشأن كونراد.. ومدى الارتباك الذي شعرتُ به. أردتُ إخبارها، ولكنني كنتُ خائفة أيضًا.

همستُ قائلة: «تاي؟».

كانت مستلقية بجانبي، وكنتُ أنا على حافة السرير لأنني كنتُ سأغادر وأنام في غرفة جير عندما يعود الأولاد.

- ماذا؟

بدا صوتها ناعسًا.

- لقد حدث شيءٌ غريب.

- ماذا؟

بدت متيقظة الآن.

- بالأمس، جرح كونراد ساقه في أثناء ركوبه للأمواج، وقد ساعدته في تضميد الجرح، وكانت ثمة.. لحظة غريبة بيننا.

فهسهسَتْ قائلة: «هل تبادلتما القُبَل؟».

- لا! (ثم همستُ بعد ذلك قائلة..) ولكنني أردتُ ذلك. لقد شعرتُ.. شعرتُ بإغراءٍ لفعل ذلك.

قالت مع تنهيدةٍ صغيرة: «أوه! ولكن شيئًا لم يحدث، أليس كذلك؟».

- لم يحدث شيء. فقط أشعُر.. أشعُر بالذعر لأنني أردتُ ذلك نوعًا ما. لثانية واحدة فقط. (زفرتُ نفسًا كبيرًا). إنني سأتزوج في خلال بضعة أيام. لا ينبغي لي التفكير في تقبيل فتيانٍ آخرين.

قالت بهدوء: «كونراد ليس «فتيان آخرين». إنه حبكِ الأول. حبكِ الكبير الأول».

قلتُ وقد انتابني شعور بالارتياح، وقد خَفَّ الحِمل بداخلي بالفعل: «أنتِ محقة! إنه مجرد حنين إلى الماضي. هذا كلُّ ما في الأمر».

ترددت تايلور ثم قالت: «ثمة شيء لم أخبركِ إياه. لقد ذهب كونراد لرؤية والدتكِ».

حبستُ أنفاسي.

- متى؟

- منذ أسبوعين ماضيين. لقد أقنعها بحضور حفل توديع العزوبية. لقد أخبرَتْ أمي بذلك، وأمي أخبرتني....

خيَّم عليَّ الصمت. لقد فعل ذلك من أجلي؟

- لم أخبركِ، لأنني لم أرغب في تشويشكِ مرةً أخرى. لأنكِ تحبين جير، أليس كذلك؟ تريدين الزواج به؟

- آآ.. آه.

- هل أنتِ متأكدة؟ لأنه لم يفت الأوان بعد، تعلمين ذلك. لا يزال بإمكانكِ إلغاء الأمر برمته.. لستِ مضطرة إلى إتمام الأمر في نهاية الأسبوع الجاري. يمكنكِ أخذ المزيد من الوقت.

- حسنًا.

تقلَّبتُ على الجانب الآخر.

- طابت ليلتكِ يا تاي.

- طابت ليلتكِ.

استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تصبح أنفاسها ثقيلة ومنتظمة، وأنا ظللتُ مستلقية بجانبها وحسب، أفكر.

إن كونراد لا يزال يهتم لأمري. في صمتٍ، نهضتُ من السرير، وقطعتُ الغرفة، وتحسستُ طريقي حول مكتبي حتى وجدته. الحصان وحيد القرن الزجاجي الخاص بي.

الفصل الخامس والأربعون

عندما كانت سوزانا توصِلنا إلى المركز التجاري أو إلى ملعب الجولف المُصَغَّر، كانت تُولِّي كونراد المسؤولية في كل مرة.

كانت تقول: «اعتنِ بهم يا كُوني. إنني أعتمد عليك».

وفي إحدى المرَّات، افترقنا في المركز التجاري، لأن الأولاد أرادوا الذهاب إلى صالة ألعاب الآركيد وأنا لم أُرِدْ ذلك. كنتُ في الثامنة من عمري. وأخبرتهم أنني سأقابلهم في صالة الطعام بعد ساعة واحدة. ذهبتُ مباشرةً إلى متجر المشغولات الزجاجية. لم يرغب الأولاد قط في الذهاب إلى متجر المشغولات الزجاجية، ولكنني أحببته. تجولت من طاولة عرض إلى أُخرى. أحببتُ بشكلٍ خاص تأمل الأحصنة وحيدة القرن الزجاجية. كنتُ أرغب في شراء واحد، واحد صغير فحسب، ولكن سعرها اثنا عشر دولارًا. ولم أملك سوى عشرة. لم أستطع التوقف عن النظر إلى الحصان وحيد القرن. أخذتُ ألتقطه ثم أضعه مرة أخرى ثم ألتقطه من جديد. وقبل أن أدرك ذلك، كانت قد مرَّت أكثر من ساعة، نحو ساعتين تقريبًا. ركضتُ عائدة إلى صالة الطعام بأسرع ما يمكن. قلقتُ أن يكون الأولاد قد غادروا من دوني.

عندما وصلتُ إلى قاعة الطعام، لم يكن كونراد هناك. ووجدتُ جيرمايا وستيفن جالسين في قسم مطعم «تاكو بيل» (Taco Bell) يحصون عدد تذاكر ألعاب الآركيد خاصتهم.

قال ستيفن وقد بدا منزعجًا: «أين كنتِ؟».

تجاهلته. وسألتُ جيرمايا وأنا ألهث: «أين كونراد؟».

قال جيرمايا: «لقد ذهب للبحث عنكِ. (ولستيفن قال..) أترغب في استخدام تذاكرنا لشراء شيءٍ ما الآن أم تريد توفيرها للمرَّة القادمة؟».

قال ستيفن: «دعنا ننتظر. لقد أخبرني الرجل بأنهم سيحصلون على المزيد من الجوائز في الأسبوع المقبل».

عندما عاد كونراد بعد فترة قصيرة ليجدني جالسة مع جيرمايا وستيفن أتناول مخروطًا من المثلجات، بدا غاضبًا جدًّا.

صاح قائلًا: «أين كنتِ؟ كان من المُفترض أن تعودي إلى هنا في الساعة الثالثة!».

شعرتُ بغصةٍ في حلقي، وأدركتُ أنني كنتُ على وشك البكاء.

همستُ قائلة: «في متجر المشغولات الزجاجية».

كانت مثلجاتي ذات نكهة الفانيليا وزبدة الفول السوداني قد بدأت تسيل على يديَّ.

- لو أن شيئًا ما قد حدث لكِ لكانت أمي ستقتلني! لقد حمَّلتني المسؤولية.

- كان هناك هذا الحصان وحيد القرن...

- انسي الأمر. إنكِ لن تأتي معنا إلى أيِّ مكان بعد الآن.

فبكيتُ قائلة: «لا يا كونراد! بربك. (مسحتُ عينيَّ بيديَّ الدبقتين). أنا آسفة».

لقد شعر بالسوء لصياحه، أستطيع قول ذلك. جلس بجواري وقال: «لا تفعلي ذلك مرةً أخرى يا بيلي. من الآن فصاعدًا، سنظل معًا. حسنًا؟».

فقلتُ وقد استنشقتُ نَفَسًا: «حسنًا».

وفي عيد ميلادي في شهر أغسطس ذاك، أهداني كونراد الحصان وحيد القرن الزجاجي. وليس ذا الحجم الصغير، وإنما ذو الحجم الكبير الذي تبلغ تكلفته عشرين دولارًا. لقد انكسر قرنه في أثناء إحدى جولات المصارعة بين جيرمايا وستيفن، ولكنني بقيتُ محتفظةً به. لقد احتفظتُ به فوق مكتبي. فكيف لي أن ألقي بمثل هذه الهدية بعيدًا؟

الفصل السادس والأربعون

كونراد

تطوعت لأكون من سيمتنع عن تناول الكحول بكميةٍ كبيرة من أجل القيادة لتوصيل البقية. وبحلول الوقت الذي غادرنا فيه المنزل، كان الجميع بالفعل مُتثاقلي الخُطى من شرب النبيذ والبيرة. أخذنا سيارة ذلك الفتى توم أو ريدبيرد أو أيًّا ما كان اسمه لأنها كانت الأكبر حجمًا. كانت سيارة «هامر» تقريبًا. جلس جير في مقعد الراكب الأمامي بجانبي، وجلس الآخرون في الخلف.

مدَّ توم يده بيننا وشَغَّلَ الراديو. وبدأ في غناء «الراب» مع الموسيقى، بلحنٍ ناشز وكلمات خاطئة. انضم إليه جوش في الغناء، وفتح ستيفن فتحة السقف وأخرج رأسه.

رمقتُ جير بنظرة جانبية وقلتُ: «أهؤلاء هم أصدقاؤك؟».

فضحك وبدأ في الغناء أيضًا.

كانت الحانة مكتظة بالفتيات في كل مكان، بالكعوب العالية وحمرة الشفاه البرَّاقة، وشعورهن لامعة وملساء. وعلى الفور، بدأ ريدبيرد يحاول الرقص مع كل فتاةٍ يمرُّ بجانبها. غير أنه كان يفشل في كل مرة.

توجهتُ إلى البار للحصول على أول كأس، ومن ثم تبعني ستيفن. كنا ننتظر أن يلتفت إلينا النادل عندما صفق بيديه على كتفَيَّ وقال: «إذن، كيف حالك إزاء الأمر برمته؟».

- ماذا؟ حفل الزفاف؟

- أجل.

التفتُّ بعيدًا: «الأمر ما هو عليه».

- أتعتقد أنه غلطة؟

لم أكن مضطرًّا إلى إجابته، لأن النادل قد نظر إلينا أخيرًا.

قلتُ: «خمس جرعات مزدوجة من التيكيلا وزجاجة بيرة «نيوكاسل»».

قال ستيفن: «ألن تشرب معنا؟».

- عليَّ تولي رعايتكم أيها الحمقى، أتذكُر؟

حملنا المشاريب إلى الطاولة حيث كان بقية الشباب جالسين. شرب الشباب الخمسة جميعًا مشروبهم على جرعة واحدة، ثم نهض ريدبيرد وبدأ يضرب صدره مثل طرزان. انفجر الشباب ضاحكين وبدأوا يحثونه على الذهاب للتحدث مع فتاتين في ساحة الرقص. توجه هو وستيفن إليهما، وجلسنا جميعًا نشاهد. كان حظ ستيفن أفضل من ريدبيرد. فقد بدأ هو والفتاة ذات الشعر الأحمر بالرقص، وعاد ريدبيرد إلى طاولتنا، مثقلًا بالكآبة.

قلتُ: «سأحضر لنا كؤوسًا أخرى».

فكَّرتُ في أنه من واجبي كإشبين أن أجعلهم جميعًا يشربون حد الثمالة.

عدتُ ومعي خمس كؤوس أخرى من التيكيلا، وبما أن ستيفن كان لا يزال في ساحة الرقص، فقد شرب جير كأسه.

كنتُ أشرب البيرة خاصتي عندما سمعتُ ذلك الفتى المدعو جوش يقول لجيرمايا: «يا صاح، ستقترب من بيلي أخيرًا...».

ارتفع رأسي فجأة بشكلٍ لا إرادي. طوَّق جيرمايا جوش بذراعيه بينما كان يغني قائلًا: «إنه يوم جميل لعُرسٍ أبيض».

ألم يمارسا الحب حتى الآن؟

ثم سمعتُ جوش يقول: «إنك.. بتَّ أشبه بالبِكْر الآن أيضًا. فأنت لم تحظَ بأيِّ شيء منذ علاقتك مع لاسي في كابو».

كابو؟ لقد ذهب جيرمايا إلى كابو في عطلة الربيع الماضية. ولكنه كان مرتبطًا ببيلي في ذلك الحين.

بدأ جيرمايا يغني خارج اللحن قائلًا: «مثل بِكر تُلمَسُ للمرة الأولى (ثم نهض وقال..) عليَّ الذهاب للتبوُّل».

راقبته وهو يتعثر في طريقه إلى الحمَّام، وقال جوش: «يا لفيشر من وغدٍ محظوظ. إن لاسي تُدخن».

فضربه توم بمرفقه وقال بصوت عالٍ: «اللعنة، أتتذكر كيف أغلقا باب غرفة الفندق عليهما وتركانا في الخارج؟ (ثم وجَّه كلامه إليَّ قائلًا..) هذا مضحكٌ للغاية يا رجل. مضحكٌ لأقصى درجة. لقد تركانا بالخارج، وبدوَا مندمجَين جدًّا فيما يفعلانه، حتى إنهما لم يسمعا طرقنا على الباب. لقد اضطررنا إلى النوم في الردهة ذات البرودة القارسة في تلك الليلة».

وقال جوش ضاحكًا: «كان صوت تلك الفتاة عاليًا للغاية».

احمرَّ وجهي. ومن تحت الطاولات، أحكمتُ قبضتيَّ. أردتُ أن أضرب شيئًا ما. في البداية أردتُ أن أضرب هذين الفتيين، ومن ثم أردتُ الذهاب للعثور على أخي وإبراحه ضربًا.

انتفضتُ ناهضًا من على الطاولة وشققتُ طريقي عبر الملهى، أدفع الناس بكتفيَّ وأحاول المرور من بين الجُموع حتى وصلتُ إلى الحمَّام.

قرعتُ الباب بقوة.

فقال جيرمايا من الداخل متلعثمًا: «ثمة شخص بالداخل».

ثم سمعته يتقيَّأ في المرحاض.

بقيتُ واقفًا هناك لبضع لحظات، ومن ثم مشيتُ بعيدًا، متجاوزًا طاولتنا في طريقي إلى موقف السيارات بالخارج.

الفصل السابع والأربعون

بعد ساعة، عاد الأولاد، وهم سُكارى كالظربان. لقد رأيتُ جيرمايا ثملًا من قبل، ولكن ليس بهذا الشكل. كان شبه فاقدٍ للوعي، اضطر الأولاد فعليًّا إلى حمله إلى الطابق العلوي. بالكاد كان يستطيع فتح عينيه. صاح قائلًا: «بيلللليي، سأتزوجكِ يا فتاة».

فصحتُ له من أسفل الدَّرَج قائلة: «اخلد إلى النوم!».

لم يكن كونراد معهم. فسألتُ توم: «أين كونراد؟ لقد ظننته سائقكم المُعين».

كان توم يترنح في الطابق العلوي: «لا أدري. لقد كان معنا».

خرجتُ إلى السيارة، معتقدةً أنه لربما قد فقد وعيه في المقعد الخلفي. بيدَ أنه لم يكن هناك. كان القلق قد بدأ يساورني، ولكنني من ثم لمحته على الشاطئ، جالسًا على منصَّة الإنقاذ. خلعتُ حذائي وقطعتُ طريقي ذهابًا إليه.

قلتُ وقد رفعتُ صوتي ونظرتُ إلى الأعلى: «انزل.. لا تغفُ في النوم هناك بالأعلى».

قال: «اصعدي.. فقط لدقيقة واحدة».

فكرتُ في الأمر للحظة. لم يبدُ صوته ثملًا؛ لقد بدا على ما يرام. صعدتُ إلى جانب الكرسي وجلستُ بجانبه.

سألته قائلة: «هل استمتعتم بوقتكم يا رفاق».

لم يُجبني.

شاهدتُ أمواج البحر تلتقي بالشاطئ. وكان القمر هِلالًا في السماء.

قلتُ: «أحب هذا المكان في الليل».

ومن ثم، فجأة، قال: «عليَّ أن أقول لكِ شيئًا».

شيءٌ ما في صوته قد أخافني.

- ماذا؟

قال وهو ينظر إلى المحيط: «لقد خانكِ جير عندما كان في كابو».

ولم يكن هذا ما أتوقع منه قوله. بل ربما كان هذا آخر شيءٍ توقعت منه قوله.

رأيتُ فكَّه مشدودًا، وقد بدا غاضبًا.

أردف قائلًا: «الليلة في الملهى، قال أحد أصدقائه الأغبياء شيئًا ما. (ثم نظر إليَّ أخيرًا..) آسف لأنكِ كان عليكِ سماع ذلك مني. فكرتُ في أنه لديكِ الحق في معرفة الأمر».

لم أكن أعرف كيف عساي أن أجيبه.

قلتُ أخيرًا: «أعلمُ بشأن ذلك بالفعل».

فجفل وقد أرجع رأسه للخلف قائلًا: «كنتِ تعلمين؟».

- أجل.

- وما زلتِ ستتزوجينه؟

شعرتُ بوجنتيَّ تشتعلان بالحرارة.

قلتُ بهدوء: «لقد ارتكب خطأً. إنه يكره نفسه لما ارتكبه. لقد سامحته. وكل شيءٍ على ما يرام الآن. كل شيء رائع حقًّا».

تجعَّد فم كونراد في اشمئزاز.

- أتمازحينني؟ لقد قضى ليلة في غرفة فندقية مع فتاةٍ أخرى وأنتِ تدافعين عنه؟

- ومَن أنت لتحكم علينا؟ هذا ليس من شأنك.

- ليس من شأني؟ هذا الحقير أخي، وأنتِ...

لم يُنهِ جُملته.

وبدلًا من ذلك قال: «لم أعتقد قط أنكِ ستكونين فتاة تغفر أمرًا كهذا لفتى».

- لقد تحملتُ وغفرتُ ما هو أكثر من ذلك معك.

قلتُها تلقائيًّا. قلتُها من دون تفكير.

قال وعيناه ترمشان: «إنني لم أخنكِ قط. حتى إنني لم أنظر قط إلى فتاةٍ أخرى عندما كنا معًا».

تزحزحتُ بعيدًا عنه وبدأتُ في النزول: «لا أريد التحدث عن هذا بعد الآن».

لم أعرف لماذا كان يتطرَّق إلى كل هذه الأمور الآن. لقد أردتُ فقط أن يتلاشى كل ذلك بعيدًا.

قال: «اعتقدتُ أنني أعرفكِ».

- أظن أن اعتقادك خاطئ.

ثم قفزت مختصرة بقية طريقي للأسفل.

سمعته يقفز خلفي، فبدأتُ أمشي مبتعدة. شعرتُ بالدموع تترقرق في عينيَّ، ولم أرغب في أن يراها.

ركض كونراد خلفي وأمسك بذراعي. حاولتُ أن أدير رأسي بعيدًا عنه، ولكنه رأى وجهي، وتغير التعبير المرتسم على وجهه في الحال. لقد شعر بالأسف تجاهي. مما زاد شعوري سوءًا.

قال: «أنا آسف. لم يكن ينبغي لي قول أيِّ شيء. أنتِ محقة. هذا ليس من شأني».

ابتعدتُ عنه. لستُ بحاجة إلى شفقته. بدأتُ أسير في الاتجاه المعاكس للمنزل. لا أعرف إلى أين أنا ذاهبة، أردتُ الابتعاد عنه وحسب.

صاح قائلًا: «ما زلتُ أحبكِ».

تجمَّدتُ. ثم استدرتُ ببطءٍ لأنظر إليه: «لا تقل ذلك...».

اقترب خطوةً وقال: «لا أعرف كيف أخرجكِ من داخلي، ليس كُليًّا. لديَّ... لديَّ ذلك الشعور. بأنكِ ستظلين هناك إلى الأبد. ستظلين هنا».

أشار كونراد بأصابعه على صدره وكأنه على وشك أن يقتلع قلبه من داخله ومن ثم أسقط يده.

- هذا فقط لأنني سأتزوج جيرمايا. (كرهتُ كيف بدا صوتي.. مهزوزًا وخافتًا. بدا ضعيفًا). لهذا السبب أنت تُصَرِّح بكل هذا فجأة.

فقال وعيناه تنظران بثبات في عينيَّ: «الأمر ليس «فجأة». إنه شعورٌ دائم».

- لا يهم. لقد فات الأوان.

التفتُّ مبتعدةً عنه.

- انتظري.

أمسك بذراعي ثانيةً.

- دعني أذهب.

كان صوتي باردًا، حتى إنني لم أستطع التعرف عليه. وقد فاجأه هو أيضًا.

جفل وسقطت يده إلى جانبه: «فلتخبريني شيئًا واحدًا فقط. لماذا الزواج الآن؟ لماذا لا تعيشان معًا وحسب؟».

كنتُ قد سألتُ نفسي السؤال ذاته. وما زلتُ لم أتوصل إلى إجابة شافية بعد.

بدأتُ أسير مبتعدة، ولكنه تبعني. طوقني بذراعيه، من حول كتفيَّ.

قلتُ محاوِلة الفرار: «دعني أذهب».

ولكنه ظلَّ عاقدًا ذراعيه: «انتظري، انتظري».

تسارعت ضربات قلبي. ماذا لو رآنا أحد؟ ماذا لو سمع أحد؟

- إذا لم تتركني، فسأصرخ.

- اسمعيني، فقط لدقيقة واحدة. أرجوكِ. إنني أتوسل إليكِ.

بدا صوته مختنقًا ومبحوحًا.

زفرتُ. وفي داخل رأسي بدأتُ في العدِّ تنازليًّا. ستون ثانية هي كل ما سيحصل عليه مني. سأدعه يتحدث لستين ثانية، ومن ثم سأذهب ولن أنظر ورائي. قبل عامين، كان هذا كل ما أردتُ سماعه منه. ولكن الأوان قد فات الآن.

قال بهدوء: «قبل عامين، ارتكبتُ خطأً فادحًا. ولكن ليس بالطريقة التي تعتقدينها. في تلك الليلة.. أتذكرين تلك الليلة؟ تلك الليلة التي كنا عائدَين فيها من الجامعة وكانت السماء تمطر بغزارة، واضطررنا إلى التوقف في ذلك النُّزل القابع على الطريق؟ أتذكرين؟ (أتذكَّر تلك الليلة. بالطبع أتذكرها...) في تلك الليلة، لم أنم على الإطلاق. بقيتُ مستيقظًا، أفكر فيما يتوجب عليَّ القيام به. ما هو الشيء الصحيح الذي كان ينبغي لي فعله؟ لأنني كنتُ أعلم بأنني أحبكِ. ولكني كنتُ أعلم بأنني عليَّ ألا أفعل. لم يكن لديَّ الحق في حب أيِّ أحد في ذلك الحين. فمن بعد وفاة أمي، كنتُ حانقًا للغاية. كان لديَّ ذلك الغضب بداخلي طوال الوقت. شعرتُ وكأنني على وشك الانفجار في أي لحظة. (التقط أنفاسَه). لم يكن بوسعي أن أحبكِ بالطريقة التي تستحقينها. ولكني عرفتُ مَن القادر على ذلك. إنه جير. لقد أحبكِ. لو أبقيتُكِ معي، لجرحتُك وتسببت في إيذاء مشاعركِ بطريقةٍ ما. أدركتُ ذلك. لذا تركتكِ تذهبين. (كنتُ قد توقفتُ عن العدِّ حينها. صببتُ كل تركيزي على أنفاسي وحسب. شهيق.. وزفير). ولكن هذا الصيف.. يا إلهي، هذا الصيف... كَوني بالقرب منكِ مرةً أخرى، والتحدث بالطريقة التي اعتدنا التحدث بها. ونظركِ إليَّ بالطريقة التي اعتدتها. (أغلقتُ عينيَّ. لا يهم ما قاله الآن. كان ذلك ما قلتُه لنفسي). فقط أراكِ من جديد، فيصبح كل ما خططتُه هباءً. هذا مستحيل... إنني أحب

جير أكثر من أيِّ شخص آخر. إنه أخي، إنه عائلتي. أكره نفسي لفعلي ذلك. ولكن عندما أراكما معًا، فإنني أكرهه أيضًا. (انكسر صوته). لا تتزوجيه. لا تكوني معه. كُوني معي».

اهتزَّت كتفاه. كان يبكي. وبسماعه يتوسل بهذه الطريقة، ورؤيته مكشوفًا وضعيفًا بهذا الشكل، شعرتُ وكأنما قلبي ينكسر. ثمة الكثير من الأشياء التي أردتُ قولها له. ولكنني لم أستطع. فمع كونراد، حالما أبدأ، لا أستطيع التوقف.

ابتعدتُ عنه بقوة قائلة: «كونراد...».

أمسك بي: «فقط أخبريني. هل ما زلتِ تكنين لي أيَّ مشاعر؟».

دفعته بعيدًا: «لا! ألا تفهم هذا؟ لن تصبح أبدًا بمكانة جير بالنسبة لي. إنه صديقي المُقرَّب. إنه يحبني مهما يحدث. لا متى ما شعر برغبةٍ في ذلك! لم يعاملني أحد قط بالطريقة التي يعاملني بها. لا أحد. وبالأخص أنت. أنا وأنت لم.. (ثم سكتُّ لوهلة. كان عليَّ الحصول على هذا الحق. كان عليَّ أن أفعل ذلك ليتركني أذهب إلى الأبد). أنا وأنت لم نكن شيئًا قط.

تلاشى أيُّ تعبيرٍ عن وجهه. ورأيتُ النور ينطفئ في عينيه. لم أستطع النظر إليه بعد الآن.

بدأت في المشي مرةً أخرى، وهذه المرة لم يتبعني. لم أنظر إلى الوراء. لم أستطع النظر إلى الوراء. لو رأيتُ وجهه مرة أخرى، فقد لا أتمكن من المغادرة.

وبينما أسير، قلتُ لنفسي، تماسكي، تماسكي، فقط لقليلٍ من الوقت. وفقط عندما تأكدتُ من أنه لن يتمكن من رؤيتي، فقط عندما صار المنزل على مرمى البصر من جديد، حينها فقط سمحتُ لنفسي بالبكاء. سقطتُ فوق الرمال وبكيتُ.. بكيتُ من أجل كونراد ومن ثم بكيتُ على نفسي. بكيتُ على ما لن يحدث أبدًا.

إنها حقيقة معروفة عن الحياة، لا يمكنكَ الحصول على كل شيء. في قلبي كنتُ أعلم أنني أحببتُ كليهما، بقدر ما يمكن لأحد أن يقع في حب شخصين في الوقت نفسه. كان ثمة ترابط ما بيني وبين كونراد، ودائمًا ما سنكون

كذلك. ليس هذا شيئًا يمكنني التخلُّص منه. وقد أدركتُ ذلك الآن.. أدركتُ أن الحب ليس بشيءٍ يمكنك محوه، مهما حاولت.

نهضتُ ونفضتُ الرمال عن جسدي، ودخلتُ إلى المنزل. صعدتُ إلى سرير جيرمايا، واستلقيتُ بجانبه. كان فاقدًا للوعي، ويشخِّر بصوتٍ عالٍ كما يفعل دائمًا عندما يسرف في الشرب.

قلتُ وظهره مُدارٌ لي: «أحبك».

الفصل الثامن والأربعون

في وقتٍ متأخر من صباح اليوم التالي، ذهبت تايلور وأنيكا إلى المدينة لإحضار بعض الأشياء التي يظهر احتياجنا إليها في اللحظة الأخيرة. وأنا بقيتُ في المنزل لتنظيف الحمَّامات، بما أن الآباء كانوا سيصلون في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم. كان الأولاد جميعًا لا يزالون نائمين، وهو لأمرٌ جيد. لم أكن أعرف ما الذي عساي قوله أو عدم قوله لجيرمايا. كان القلق ينهشني من الداخل. هل سيكون من الأنانية أم من الرحمة عدم قول أي شيء؟

صادفتُ كونراد وأنا في طريقي للخروج من الحمَّام، ولم أتمكن حتى من النظر في عينيه. سمعتُ سيارته تغادر بعدها بفترةٍ وجيزة. لم أعرف إلى أين ذهب، ولكنني تمنيتُ أن يبقى بعيدًا عني. بدا الأمر كجرح حديث جدًّا، ومؤلم جدًّا. تمنيتُ لو أنني أنا أو هو لم نكن هناك. لم يكن بمقدوري المغادرة -فأنا مَن ستتزوج- ولكني تمنيتُ أن يغادر هو. فهذا من شأنه أن يُسَهِّل الأمور. إنه تفكيرٌ أناني، أعلم ذلك. فنصف هذا المنزل مِلكًا لكونراد، في نهاية المطاف.

بعد أن رتبتُ الأسِرَّة وأعددتُ حمَّام الضيوف، نزلتُ إلى المطبخ لأعدَّ لنفسي شطيرة. ظننتُ أنني في مأمن، ظننته لا يزال بالخارج. ولكنه كان هناك، يأكل شطيرة أيضًا.

حالما رآني، وضع كونراد شطيرته جانبًا. شطيرة لحم بقري مشوي، بدت كذلك.

- هل يمكنني التحدث معكِ للحظة؟

قلتُ وقد ثبَّتُّ عينيَّ على مكانٍ ما بمقربة من كتفه، أي مكان عدا النظر إليه: «أنا على وشك الذهاب إلى المدينة لقضاء بعض المهام. أشياء تخص الزفاف».

بدأتُ في السير بعيدًا، ولكنه تبعني إلى الشرفة.

- اسمعي، أنا آسف بشأن الليلة الماضية. (لم أقل أيَّ شيء...) أتسدين لي معروفًا؟ أيمكنكِ فقط نسيان كل ما قلتُه؟ (لاحت ابتسامة طفيفة على وجهه، ابتسامة مثيرة للسخرية نوعًا ما. أردتُ أن أصفع تلك الابتسامة على وجهه). لقد فقدتُ عقلي ليلة أمس، كنتُ ثملًا حتى النخاع. وجودي هنا مرةً أخرى، أعاد لي الكثير من الذكريات. ولكنها كلها ماضٍ قديم، أدركُ ذلك. بصراحة، بالكاد أستطيع تذكر ما قلته، ولكني متأكد أنه أيًّا كان ما قيل، فهو متجاوز للحد. أنا آسف حقًّا.

للحظة، شعرتُ بغضب عارم، أعتقد أنني قد نسيتُ كيف أتكلم. شعرت أنه من الصعب التقاط أنفاسي. شعرتُ وكأنني سمكة زينة تتخبط، أفتح فمي وأغلقه، محاولةً امتصاص الهواء. لم أنم حتى في الليلة الماضية؛ وإنما قضيتُ الليل أتألم من أثر كل كلمةٍ قالها لي. شعرتُ بكوني غبية للغاية. إن التفكير فيما قاله أمس، ولو لثانيةٍ واحدة، ولو للحظة واحدة، قد جعلني أتردد. لقد جعلني أتصور كيف سيكون الأمر لو كنتُ سأتزوجه هو وليس جيرمايا. وقد كرهته لأجل ذلك.

قلتُ: «لم تكن ثملًا».

- بلى، لقد كنتُ حقًّا كذلك.

وهذه المرة منحني ابتسامة اعتذارية.

تجاهلتُها، وقلتُ: «لقد طرحتَ كل ذلك في عطلة نهاية الأسبوع الخاصة بحفل زفافي، والآن تريد مني أن أنسى الأمر فحسب؟ أنت مريض. ألا تفهم أنه لا يمكنك اللعب بالناس بهذا الشكل؟».

تلاشت ابتسامة كونراد: «تمهلي لحظة. بيلي...»

- لا تنطق اسمي. (تراجعت مبتعدةً عنه). لا تفكر فيه حتى. بل في الواقع، لا تتحدث معي أبدًا مرة أخرى.

ومن جديد، قال وعلى وجهه نصف الابتسامة الساخرة تلك: «حسنًا، سيكون هذا صعبًا نوعًا ما، بالأخذ في الاعتبار حقيقة أنكِ ستتزوجين أخي. بحقكِ يا بيلي...».

لم أعتقد أنه من الممكن أن أصير أكثر غضبًا، ولكني أصبحتُ كذلك. كنتُ غاضبة جدًّا، وكنتُ فعليًّا أبصق وأنا أقول: «أريدك أن تغادر. فلتختلق أحد أعذارك السخيفة وتذهب فحسب. عد إلى بوسطن أو إلى كاليفورنيا. لا يهمني إلى أين. أريدك فقط أن تذهب من هنا».

اختلجت عيناه: «لن أغادر».

قلتُ وأنا أدفعه، بقوة: «اذهب. فلتذهب وحسب».

وهنا بدأتُ أرى الشقوق الأولى في دِرعه.

تهدَّج صوته وهو يقول: «ماذا كنتِ تتوقعين مني قوله لكِ يا بيلي؟».

صرختُ قائلة: «توقَّف عن قول اسمي!».

فصرخ هو الآخر قائلًا: «ماذا تريدين مني؟ لقد تعريتُ تمامًا الليلة الماضية! لقد أفضيتُ بكل ما في قلبي هناك، وأنتِ أسكتِّني. والحق معكِ في ذلك. أُدرك أنه لم ينبغِ لي قول أيٍّ من تلك الأشياء. ولكني الآن أحاول إيجاد طريقة للخروج من هذا بقليل من الكبرياء فقط حتى أتمكن من النظر في عينيكِ عندما ينتهي كل هذا، وأنتِ لا تسمحين لي حتى بالحصول على ذلك. لقد حطَّمتِ قلبي الليلة الماضية، حسنًا؟ هل هذا ما تودين سماعه؟».

من جديد، كنتُ عاجزة عن إيجاد كلمات. ومن ثم.. وجدتها. قلتُ: «أنت حقًّا بلا قلب».

- لا، في الواقع، أعتقد أنكِ أنتِ الشخص الذي لا يملك قلبًا هنا.

كان قد بدأ يبتعد بالفعل عندما صرختُ قائلة: «ماذا من المُفترض أن يعنيه ذلك؟ (تبعته على الفور ولويتُ ذراعه ناحيتي حتى أصبحنا وجهًا لوجه). أخبرني ماذا تقصد بذلك».

- تعلمين ما الذي يعنيه ذلك. (انتفض كونراد مبتعدًا عني). ما زلتُ أحبكِ. لم أتوقف قط. أعتقد أنكِ تعرفين ذلك. أعتقد أنكِ كنتِ تعرفين طوال ذلك الوقت.

زممتُ شفتيَّ معًا، وهززتُ رأسي بالنفي.

- هذا ليس صحيحًا.

- لا تكذبي. (هززتُ رأسي مرةً أخرى). افعلي ما يحلو لكِ. ولكني لن أتظاهر من أجلكِ بعد الآن.

نزل الدرَج واتجه إلى سيارته. أما أنا، فانهرتُ على الأرض. شعرتُ بقلبي ينبض مليون تريليون نبضة في الدقيقة. لم أشعر بأنني على قيد الحياة يومًا أكثر من هذه اللحظة. غضب، حزن، فرح. شعرتُ بكل شيء. لا أحد يملك هذا الحجم من التأثير عليَّ. لا أحد.

وفجأة، راودني هذا الشعور، هذا اليقين المطلق، بأنني لن أتمكن أبدًا من تخطيه. إن الأمر بهذه البساطة، وبهذه الصعوبة. لقد تشبثتُ به كالبرنقيل[1]، طوال تلك السنوات، والآن صرتُ لا أستطيع انتزاع نفسي وإبعادها عنه. هذا خطئي أنا، حقًّا. لم أستطع التخلي عن حُبي لكونراد، والآن لا أستطيع الابتعاد عن جيرمايا.

ما العمل الآن؟

(1) البرنقيل: هو محار يعيش في المياه المالحة، ويلتصق بالصخور والسلاحف والحيتان وقيعان السفن.

إن موعد زواجي بالغد.

لو فعلتُها، لو اخترتُ كونراد، فلن أستطيع التراجع أبدًا. لن أتمكن من لمس ظهر رقبة جير بيديَّ ثانية أبدًا، وأشعر بنعومتها الزغَبية، كنعومة الريش. لن ينظر إليَّ جير أبدًا بالطريقة التي ينظر بها إليَّ الآن؛ كفتاته. وأنا كذلك بالفعل. لقد شعرتُ أن الأمر سيظل دائمًا على هذا النحو. سأفقد كل هذا. سينتهي تمامًا. بعض الأشياء لا يمكنك استرجاعها. كيف عساي أن أقول وداعًا لكل تلك الأشياء؟ لا أستطيع. وماذا عن عائلتَينا؟ ماذا سيفعل ذلك بأمي، وبأبيه؟ هذا من شأنه أن يدمِّرنا. لن أستطيع فعل ذلك. وخاصة.. وخاصة لأن كل شيء قد أصبح هشًّا جدًّا الآن من بعد رحيل سوزانا. فنحن لا نزال نحاول معرفة كيف عسانا أن نتعايش من دونها، وكيف يمكننا أن نظل تلك العائلة الصيفية.

لا يمكنني التخلِّي عن كل ذلك، فقط من أجل هذا. فقط من أجل كونراد. كونراد، الذي أخبرني أنه يحبني. أخيرًا، نطق فعليًّا بتلك الكلمات.

وعندما يخبر كونراد فيشر فتاةً بأنه يحبها، فإنه يعني ذلك حقًّا. يمكن للفتاة أن تُصدق كلمته، وأن تُؤمن بها. بل يمكن للفتاة حتى أن تراهن بحياتها كلها عليها.

وهذا ما كنتُ سأفعله. كنتُ سأراهن بحياتي كلها عليه. ولكنني لا أستطيع. لا يمكنني فعل ذلك.



الفصل التاسع والأربعون

كونراد

كنتُ في سيارتي، أقود مبتعدًا عن المنزل، والأدرينالين يتدفق بقوة في عروقي.

لقد قلتُها أخيرًا. الكلمات الفعلية، بصوتٍ عالٍ، في وجهها. إنه لشعور مريح، ألَّا أحمل هذا بداخلي بعد الآن، وقد كان اندفاعًا مني، أن أخبرها الحقيقةَ. كنتُ في حالة من الذهول الممزوج بالابتهاج، كنتُ منتشيًا تمامًا. لقد أحبتني. لست بحاجة إلى سماعها تقولها بصوت عالٍ، كنتُ أعرف ذلك بالفطرة، عرفته في صميم قلبي، من مجرد نظرتها إليَّ حينها.

لكن ماذا الآن؟ إذا كانت تحبني وأنا أحبها، فماذا سنفعل الآن، ثمة الكثير من الناس بيننا.. كيف عسايَ الحصول عليها. هل لديَّ ما يكفي من الشجاعة لأمسك بيدها ونهرب بعيدًا؟ أومن بأنها ستأتي معي. إذا طلبتُ منها، أومن بأنها قد تأتي حقًّا. ولكن إلى أين سنذهب؟ وهل سيغفرون لنا ذلك؟ جير، ولوريل، وأبي. ولكن لو هربتُ معها بعيدًا حقًّا، فإلى أين سآخذها؟

وعلاوة على ذلك، الأسئلة والشكوك التي سنتعرض لها، في داخلي، كان يقبع كل هذا الندم. لو كنتُ قد أخبرتها قبل عام، قبل شهر، أو قبل أسبوع حتى، هل كانت الأمور ستختلف الآن؟ لقد صارحتُها قبل زفافها بيوم واحد. في غضون أربعٍ وعشرين ساعة ستصبح زوجة أخي. لماذا انتظرتُ كلً هذا الوقت؟

قُدت سيارتي لفترةٍ من الوقت، إلى داخل المدينة ومن ثم على طول الشاطئ، ثم عدت إلى المنزل. لم أجد أيًّا من السيارات مركونة أمام المنزل، لذا اعتقدتُ أن المنزل سيكون خاليًا لفترة من الوقت.. ولكني ما لبثتُ أن وجدتُ تايلور تجلس في الشرفة الأمامية.

سألتها قائلًا: «أين الجميع؟».

- حسنًا، مرحبًا بك أيضًا. (رفعَتْ نظّارتها الشمسية إلى أعلى رأسها). لقد ذهبوا للإبحار الشراعي.

- لماذا لم تذهبي معهم؟

- أُصابُ بدوار البحر. (رمقتني تايلور بنظرة..) أحتاج إلى التحدث إليك.

وبحذر، رمقتُها بنظرة كذلك: «بشأن ماذا؟».

أشارت إلى الكرسي المجاور لها: «تعالَ واجلس أولًا. (جلستُ). ماذا قلت لبيلي ليلة أمس؟».

فقلتُ متحاشيَ النظر إلى عينيها: «ماذا أخبرتْكِ؟».

- لا شيء. ولكن يمكنني القول إن هنالك خطبًا ما. أعلم أنها كانت تبكي الليلة الماضية. بدت عيناها منتفختين تمامًا هذا الصباح. وسأراهن بالمال على أنها كانت تبكي بسببك. مجددًا. أحسنت يا كونراد.

شعرتُ بضيقٍ في صدري.

- هذا ليس من شأنكِ.

حدَّقَتْ تايلور إلى وجهي في غضب: «بيلي هي أقدم صديقة لي في هذا العالم. بالطبع هذا من شأني. إني أحذرك يا كونراد. اتركها وشأنَها. أنت تربكها. من جديد».

نهضت: «هل انتهينا؟».

- كلَّا. أجلِس مؤخرتك مرةً أخرى.

فجلستُ مرةً أخرى.

- هل لديك أي فكرة عن حجم جرحك لها، عن مدى الألم الذي تتسبب به، مرارًا وتكرارًا؟ إنك تعاملها وكأنها لعبة تلتقطها فقط لتلعب بها وقتما تشاء. أنت مجرد طفل صغير. ثمة شخص آخر أخذ ما كان لك، وهذا لا يعجبك البتة، لذا تنقض وتفسد كل شيء فقط لمجرد أنك تستطيع ذلك.

زفرتُ: «ليس هذا ما أحاول القيام به».

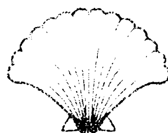
عضَّتْ شفتيها: «أخبرتني بيلي بأن جزءًا منها سيظل يحبك دائمًا. أما زلتَ تحاول أن تقول لي بأنك لا تهتم؟».

- هي قالت ذلك؟ لم أقل قط أنني لا أهتم.

- ربما تكون أنت الشخص الوحيد القادر على منعها من إتمام هذا الزفاف. ولكن ينبغي لك أن تكون واثقًا بحق الجحيم من أنك لا تزال تريدها، لأنك إذا لم تكن واثقًا، فأنت تعبثُ بحياتيهما دون سبب. (أعادت تايلور ارتداء نظَّارتها الشمسية). لا تخرِّب حياة صديقتي المفضلة يا كونراد. لا تكن أنانيًّا ووغدًا كالمعتاد. كُن الفتى الصالح الذي تصفك به. دعها وشأنها.

كُن الفتى الصالح الذي تصفك به.

اعتقدتُ أنني أستطيع فعل ذلك، القتال من أجلها حتى النهاية، وألَّا أفكر في أيٍّ شخصٍ آخر. أن أمسك بيدها وأركض. ولكن لو فعلتُ ذلك، ألن أثبت بذلك أن بيلي مخطئة؟ لن أكون ذلك الفتى الصالح. سأكون وغدًا أنانيًّا تمامًا كما قالت تايلور. بيدَ أني أريد أن تكون بيلي إلى جانبي.



الفصل الخمسون

في تلك الليلة، تناولنا جميعًا العشاء في مطعمٍ جديد بالمدينة: أمي وأبي، والسيد فيشر، وجميعنا نحن الصغار. لم أكن جائعة، ولكنني طلبتُ لفافة الكركند وتناولتُ كل قضمةٍ منها، لأن أبي هو مَن سيدفع. لقد أصرَّ على ذلك. أبي، الذي كان يرتدي القميص الأبيض المُقَلَّم بخطوطٍ رمادية نفسه في كل مناسبة «مُفتَخَرة». كان يرتديه في تلك الليلة، وهو جالس إلى جانب أمي بفستانها الكُحلي ذي التصميم الأشبه بالقميص، وشعرتُ بقلبي يفيض بالحب في كل مرة كنتُ أنظر فيها إليهما.

وكانت تايلور هناك، تتظاهر بالاهتمام بينما كان أبي يتحدث عن الجهاز العصبي الخاص بالكركند. كانت تجلس بجانب أنيكا، والتي بدت مهتمةً بالفعل. وبجانب أنيكا، كان يجلس أخي، الذي كان يدير عينيه في ضجر.

أما كونراد، فجلس في أقصى الطاولة مع أصدقاء جير. وقد بذلتُ جهدًا واعيًا لعدم النظر إلى اتجاهه، ولأبقي تركيزي على طبقي وحسب، وعلى جيرمايا بجانبي. لم يكن عليَّ أن أقلق، لأن كونراد لم يكن ينظر إليَّ كذلك.

كان يتحدث إلى الفتيان، وإلى ستيفن، وإلى أمي. إلى الجميع سواي. هذا ما أردتِه، ذكرتُ نفسي بذلك. لقد أخبرتهِ بأن يتركِكِ وشأنك. لقد طلبتِ ذلك.

لا يمكنكِ السير باتجاهَين.

همس جيرمايا قائلًا: «هل أنتِ بخير؟».

رفعتُ رأسي وابتسمتُ له: «أجل! بالطبع. لقد شبعتُ وحسب».

أخذ جيرمايا إحدى أصابع البطاطس المقلية خاصتي وقال: «ادخري حَيِّزًا للتحلية».

أومأتُ. ثم انحنى وقَبَّلني، وقد بادلته القبلة. وبعدها، رأيتُ عينيه تسترقان نظرةً وامضة إلى نهاية الطاولة، نظرة سريعة جدًّا حتى إنني قد أكون تخيلتُها.

الفصل الحادي والخمسون

كونراد

شعرتُ وكأنني سأفقد عقلي في تلك الليلة. بالجلوس هناك مع الجميع على تلك الطاولة، وهتافي معهم عندما قدَّم أبي نخبًا، ومحاولتي عدم النظر عندما قبَّلها جير أمامنا جميعًا.

بعد انتهاء العشاء، ذهب جير وبيلي وجميع أصدقائهما إلى الممشى الخشبي لشراء المُثلجات. وذهب أبي ووالد بيلي إلى فندقهما، وصرتُ أنا ولور وحدنا بالمنزل. كنتُ في طريقي إلى غرفتي، ولكن لور أوقفتني وقالت: «مهلًا، دعنا نشرب البيرة يا كُوني. أعتقد أننا نستحق ذلك، ألا توافقني؟».

جلسنا إلى طاولة المطبخ، بزجاجتَي البيرة خاصتينا، نقرَتْ بزجاجتها على زجاجتي وقالت: «في نخب... في نخب مَن علينا أن نشرب؟».

- ومَن غيرهما؟ في نخب الثنائي السعيد.

ومن دون النظر إليَّ، قالت لوريل: «كيف حالك؟».

- بخير. بأحسن حال.

- بحقِّك. هذه لورتك التي تتحدث إليها. أخبرني. كيف تشعر؟

- بصراحة؟ (شربتُ جرعةً كبيرة من بيرتي بنَهم). هذا يقتلني.. يقتلني بحق.

نظرت لوريل إليَّ، وعلى وجهها نظرة عطوفة: «أنا آسفة. أعلم أنك تحبها كثيرًا يا فتى. لا بدَّ أن هذا صعبٌ عليكَ حقًّا».

شعرت بحلقي وقد بدأ ينغلق. حاولت أن أتنحنح، ولكنني لم أنجح. شعرتُ به قادمًا من خلال صدري، ومن وراء عينيَّ. كنتُ على وشك البكاء أمامها. كان بسبب طريقة قولها للأمر، قالته كما لو كانت أمي تجلس أمامي، تعرف ما بي دون أن أفصح لها عنه.

أمسكَتْ لور بيدي وأشبكتها في يدها. حاولتُ سحب يدي بعيدًا، ولكنها أحكمَتْ قبضتها عليها أكثر.

- سنتجاوز الأمر غدًا، أعدك بهذا. سنواجه الأمر معًا يا فتى. (ثم ضغطت على يدي وقالت..) يا إلهي، أفتقد أمك.

- وأنا أيضًا.

- نحن حقًّا بحاجةٍ إليها الآن، أليس كذلك؟

أحنيتُ رأسي وبدأتُ في البكاء.



الفصل الثاني والخمسون

لقد أردتُ النوم في غرفة جيرمايا تلك الليلة، ولكن عندما بدأتُ أتبعه إلى الطابق العلوي، هزَّت تايلور إصبعها لي بالرفض قائلة: «كلَّا، هذا سيجلب الحظَّ السيئ».

لذا ذهبتُ إلى غرفتي، وذهب هو إلى غرفته.

كان الجو حارًّا للغاية. لم أستطع النوم. نزعتُ أغطيتي عني وقلبتُ وسادتي لأحصل على الجانب الأكثر برودة، ولكن أيًّا من ذلك لم يُفِد. ظللتُ أحدِّق إلى ساعة المنبه. الساعة الواحدة، الساعة الثانية.

عندما لم أستطع تحمُّل الأمر أكثر، رميتُ ملاءتي وارتديتُ ثوب سباحتي. لم أشعل أيَّ أضواء، فقط وجدتُ طريقي للأسفل عبر الظلام. كان ضوء القمر كافيًا لإرشادي. والجميع كانوا نيامًا.

شققتُ طريقي للخارج، وصولًا إلى حوض السباحة. غطستُ إلى أعماقه، وحبستُ أنفاسي لأطول فترة ممكنة. أمكنني بالفعل الشعور بعظامي وقد بدأَتْ في الاسترخاء. وعندما صعدتُ من أجل الهواء، طفوت على ظهري

وأخذتُ أتأمل السماء. كانت النجوم مُتلألِئة. أحببتُ كيف كان الجو هادئًا، وساكنًا. الشيء الوحيد الذي أستطيع سماعه هو صوت ارتطام أمواج المحيط بالرمال.

غدًا سأصبح إيزابيل فيشر. طالما ما أردت هذا؛ حلم طفولتي يتحقق. وقد دمرتُه. أو بالأحرى، كنتُ على وشك تدميره. كان عليَّ قول الحقيقة. لن أستطيع الزواج من جيرمايا غدًا بهذه الطريقة، ليس بوجود سرٍّ بهذا الكبر بيننا.

خرجتُ من المَسبح، ولففتُ نفسي بالمنشفة، ودخلتُ إلى المنزل، متجهة إلى غرفة جيرمايا. كان نائمًا، ولكني أيقظته.

قلتُ: «إني بحاجة إلى التحدث معك».

تقطَّر الماء من شعري على وسادته، وعلى وجهه.

قال ناعسًا: «أليس هذا يجلب الحظ السيئ؟».

- لا آبه.

نهض جيرمايا جالسًا، وقد مسح خدَّيه: «ما الخطب؟».

- دعنا نتحدث في الخارج.

نزلنا إلى الشرفة وجلسنا على أحد كراسي الاستلقاء.

ودون مقدمات، قلتُ بهدوء: «ليلة أمس، أخبرني كونراد أنه لا يزال يكنُّ مشاعر تجاهي. (أمكنني الشعور بجسد جيرمايا يتصلَّب بجانبي. انتظرتُ أن يتكلم، ولكن عندما لم يفعل، واصلتُ الحديث...) بالطبع أخبرته أنني لا أكنُّ نفس الشعور. أردتُ أن أخبرك بالأمر في وقتٍ أبكر، ولكني بعد ذلك فكرتُ في أنه قد يكون خطأً، وأنني عليَّ أن أحتفظ بالأمر لنفسي...».

قال: «سأقتله».

صدمني سماع تلك الكلمة تخرج من فمه. نهض. حاولتُ سحبه للعودة إلى جواري، ولكنه رفض.

توسلتُ قائلة: «جير، لا. لا تفعل ذلك. أرجوك، فقط اجلس هنا وتحدث معي».

- لماذا تحاولين حمايته؟
- أنا.. أنا لا أفعل. لا أفعل.

نظر إليَّ بالأسفل وقال: «أتتزوجينني لتمحيه من داخلكِ؟».

- لا! (وقد خرجت الكلمة من فمي أشبه بشهقة). لا.

قال جيرمايا، وقد بدت نبرته باردة على نحوٍ غريب: «المشكلة يا بيلز.. هي أنني لا أصدقكِ. إني أرى الطريقة التي تنظرين بها إليه. لا أعتقد أنكِ قد نظرتِ إليَّ قط بالطريقة نفسها. ولو لمرةٍ واحدة».

هببتُ واقفة وأمسكتُ بيديه بقوة مُستميتة، ولكنه سحبهما بعيدًا. كنتُ أتنفس بصعوبة وأنا أقول: «هذا ليس صحيحًا يا جير. ليس صحيحًا على الإطلاق. إن مشاعري تجاهه مجرد ذكريات. هذا كلُّ شيء. لا علاقة لها بنا. هذا كله في الماضي. ألا يمكننا فقط أن ننسى الماضي ونصنع مستقبلنا بأنفسنا؟ نحن الاثنان فحسب؟».

فقال بنبرة تخلو من أي عاطفة: «في الماضي؟ أعلم أنكِ قابلته في عيد الميلاد. أعلم أنكما كنتما هنا. (فتحتُ فمي، ولكن لم تخرج منه أي كلمات). قُولي شيئًا. هيًّا، حاولي إنكار الأمر».

- لم يحدث شيءٌ بيننا يا جير. أقسم لك. لم أكن أعلم حتى بأنه سيكون هنا. والسبب الوحيد في أنني لم أخبرك هو... (ماذا كان السبب؟ ولماذا لم أخبره؟ ولماذا لم أستطع التفكير في سبب ما؟). أنني لم أرغب في مضايقتك على لا شيء.
- لو كان حقًّا لا شيء، لكنتِ قد أخبرتني بشأنه. ولكنكِ بدلًا من ذلك أبقيته سرًّا. بعد كل كلامكِ لي عن الثقة، احتفظتِ بذلك لنفسك. لقد شعرتُ بسوء لا يوصف لما فعلتُه مع لاسي، ولم نكن أنا وأنتِ حتى معًا عندما حدث ذلك.

شعرتُ بغثيان في داخلي.

- منذ متى وأنت تعلم ذلك؟

فقال منفعلًا: «وهل هذا يهم؟».

- أجل، بالنسبة لي يهم.

بدأ جيرمايا يبتعد عني: «لقد عرفتُ الأمر منذ حدوثه. لقد ذكر كونراد أنه رآكِ، كان يعتقد أنني أعرف بالفعل. لذا بالطبع كان عليَّ أن أتظاهر بأنني أعرف. أتعرفين كم شعرتُ بأنني غبي؟».

همستُ قائلة: «أستطيع التخيل... لماذا لم تقل شيئًا؟».

كنا نقف على بُعد خمسة أو ستة أقدام فقط من بعضنا بعضًا، ولكني شعرتُ كما لو أنها أميال. إنهما عيناه. شعرتُ بكونهما بعيدتين جدًّا.

- كنتُ أنتظركِ لتخبريني، ولكنكِ لم تفعلي قط.

- أنا آسفة. أنا آسفة. كان عليَّ أن أخبرك. لقد أخطأتُ. (كان هذا غباء. شعرتُ بقلبي يخفق بسرعة كبيرة). أنا أحبك. إننا سنتزوج بالغد. أنا وأنت، صحيح؟ (وعندما لم يجبني، سألتُ مرة أخرى..) أليس كذلك؟

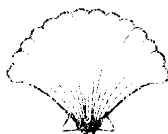
قال أخيرًا: «عليَّ الخروج من هنا. أحتاج إلى التفكير».

- هل أستطيع القدوم معك؟

وهذه المرة جاء الرد سريعًا، وقد كان مُدَمِّرًا: «لا».

غادر، ولم أحاول اللحاق به. انهرتُ على الدرَج. لم أستطع الشعور بقدميَّ. لم أستطع الشعور بجسدي.

هل هذا يحدث حقًّا؟ هل هذا حقيقي؟ لم يبدُ حقيقيًّا على الإطلاق.



الفصل الثالث والخمسون

في مكانٍ ما بالخارج، ثمة صوت زقزقة طائر الحسُّون، أو لربما كان عصفور الدُّوري المُغَرِّد. لقد حاول أبي أن يعلمني الفرق بين زقزقة الأنواع المختلفة من الطيور، ولكنني لم أستطع التذكُّر تمامًا.

بدت السماء رمادية. لم يكن ثمة أمطار بعد، ولكن في أي لحظة من الآن، ستبدأ في الهطول. كان مثله كمثل أي صباحٍ آخر في شاطئ كازينز، غير أنه لم يكن كذلك، لأنني كنتُ سأتزوج.

كنتُ واثقة إلى حدٍّ معقول من أنني سأتزوج. المشكلة الوحيدة هي أنني لم تكن لديَّ أي فكرة إلى أين قد ذهب جيرمايا أو ما إذا كان سيعود أم لا.

كنتُ جالسة أمام مرآة الزينة، مرتدية روب الاستحمام الوردي الخاص بي، أحاول تجعيد خصلات شعري. أما تايلور، فكانت في صالون التجميل، وقد حاولتْ إقناعي بتصفيف شعري هناك أيضًا، ولكني رفضتُ. فالمرة الوحيدة التي صففتُ فيها شعري في صالون تجميل، كرهتُ شكله. كان أشبه بشعر فتيات مسابقات الجمال، متصلِّبًا ومرفوعًا. لم يكن يشبهني. وفكرتُ في أنه اليوم تحديدًا، من بين كل الأيام، عليَّ أن أبدو بمظهرٍ يشبهني.

سمعتُ طَرقًا على الباب.

قلتُ محاولة تثبيت إحدى الخصلات التي كانت قد انحلَّت بالفعل: «ادخل».

فُتِح الباب. كانت أمي. وقد ارتدَتْ ملابسها بالفعل. كانت ترتدي سترة بدلة رسمية وبنطالًا من الكتان وكانت تحمل مظروفًا باللون الأصفر الليموني. عرفته على الفور: كان من قرطاسية سوزانا الشخصية. كان يشبهها كثيرًا. تمنيتُ أن أكون جديرةً به. من المؤلم التفكير في أنني قد خذلتُها بهذه الطريقة. ماذا كانت ستقول لو علِمَتْ بما حدث؟

أغلقت أمي الباب وراءَها. وسألت قائلة: «أتريدين أي مساعدة مني؟».

سلَّمتُها مكواة تجعيد الشعر. وضعَت الرسالة فوق طاولة زينتي. ثم وقفَتْ خلفي، وقسَّمَتْ شعري إلى ثلاثة أقسام.

- هل قامت تايلور بوضع مكياجك؟ يبدو لطيفًا.

- أجل، هي من وضعته لي. شكرًا. وأنتِ أيضًا.. يبدو مظهركِ لطيفًا حقًّا.

قالت: «لستُ مستعدةً لهذا».

نظرتُ إليها في المرآة، وهي تلفُّ شعري حول المكواة، ورأسها مخفوض. بدت لي أمي جميلة حقًّا في تلك اللحظة.

وضعَتْ يديها على كتفيَّ ونظرت إليَّ في المرآة: «ليس هذا ما أردته لكِ. ولكني هنا. هذا يوم زفافكِ.. وأنتِ.. ابنتي الوحيدة».

مددتُ يديَّ إلى كتفيَّ وأمسكتُ بيديها. ضغَطَتْ على يديَّ بقوة، حتى أنها كادت تؤلمني. أردتُ أن أثق بها، وأن أعترف لها أن الأمور في حالة من الفوضى، وأنني لا أعرف حتى أين جيرمايا أو ما إذا كنتُ سأتزوج حقًّا في نهاية المطاف. ولكن الأمر قد استغرق وقتًا طويلًا للوصول إلى هنا، وإذا أثرتُ ولو شَكًّا واحدًا الآن، فسيكون هذا أكثر من كافٍ لوضع حدٍّ لهذا الأمر. كانت ستلقيني على كتفها وتحملني بعيدًا عن هذا العُرس بأكمله.

لذا كل ما خرج من فمي هو: «شكرًا لكِ يا أمي».

- على الرحب والسعة. (نَظَرَتْ نحو نافذتي). هل تعتقدين أنِ الطقس سيصمد؟

- لا أدري. آمل ذلك.

- حسنًا، في أسوأ الأحوال، سننقل حفل الزفاف إلى الداخل. ليس ثمة أشياء معقدة للغاية. لا داعي للقلق. (ثم سلَّمتني الرسالة). أرادت سوزانا أن تحصلي على هذه في يوم زفافكِ.

طبعَتْ أمي قُبلة على أعلى رأسي وخرجَتْ من الغرفة.

التقطتُ الرسالة، ومررتُ أصابعي على اسمي المكتوب بخط سوزانا الأنيق. ثم وضعتُها مرةً أخرى على طاولة الزينة. لم يحن وقتُها بعد.

طُرِقَ الباب.

سألتُ قائلة: «مَن هناك؟».

- ستيفن.

- تفضَّل.

فُتِحَ الباب، ودخل ستيفن، وأغلق الباب خلفه. كان يرتدي قميصًا من الكتَّان الأبيض وسروالًا قصيرًا كاكيًّا مثلما كان يرتدي جميع رفقاء العريس.

قال وهو يجلس على سريري: «مرحبًا. شعركِ يبدو لطيفًا».

- هل عاد؟ (تردد ستيفن...) فقط أخبرني يا ستيفن.

- كلَّا. لم يعد. لقد ذهب كونراد للعثور عليه. يعتقد أنه يعرف إلى أين ذهب جير.

شعرتُ بارتياح، ولكن في الوقت نفسه.. ماذا سيفعل جيرمايا عندما يرى كونراد؟ ماذا لو زاد ذلك الأمور سوءًا فحسب؟

- سيتصل بنا حالما يجده.

أومأتُ برأسي، ثم التقطتُ مكواة الشعر مرة أخرى. ارتعشَتْ أصابعي، وكان عليَّ تثبيت يدي لكيلا أحرق خدِّي.

سأل ستيفن: «هل أخبرتِ أمي بأيِّ شيء؟».

- كلَّا. لم أخبر أحدًا. إلى الآن ليس هناك ما يمكن قوله. (لففتُ خُصلة من شعري حول المكواة). سيعود إلى هنا. أعلم أنه سيفعل.

وكنتُ أصدِّقُ ذلك إلى حدٍّ كبير.

قال ستيفن: «أجل. أجل، متأكد من أنكِ محقة. أترغبين في أن أبقى معكِ؟».

هززتُ رأسي بالنفي: «أحتاج إلى تجهيز نفسي».

- متأكدة؟

- أجل. فقط أعلمني فور أن يجِدَّ جديد.

نهض ستيفن: «سأفعل».

ثم اقترب وربت على كتفي بشيء من الارتباك: «سيكون كل شيءٍ على ما يرام يا بيلي».

- نعم، أعلم أنه سيكون كذلك. لا تقلق بشأني. فقط اعثروا على جير.

وحالما خرج، أنزلتُ مكواة الشعر مرة أخرى. كانت يدي ترتجف. ربما أحرق نفسي إذا لم أعطها استراحة. كان شعري قد تجعَّد بما يكفي على أي حال.

سيعود. سيعود. أعلم أنه سيعود.

وبعد ذلك، لأنه لم يعد يتبقَّ شيءٌ آخر لأفعله، ارتديتُ فستان زفافي.

كنتُ جالسة عند النافذة، أشاهد أبي وهو يُعَلِّق أضواء عيد الميلاد في الشرفة الخلفية عندما اقتحمَتْ تايلور الغرفة. كانت تحمل كيسًا ورقيًّا بنِّيَّ اللون وقهوة مُثَلَّجة.

- حسنًا، إذن، لقد أحضرتُ الغداء، وأنيكا تساعد والدتك في إعداد الطاولات، وهذا الطقس لا يُسدي لشعري أيَّ معروف. (أعلنت تايلور عن كل ذلك في نفس واحد). ولا أدري كيف أخبركِ بذلك، ولكنني متأكدة تمامًا من أنني شعرتُ بقطرة مطر في طريقي إلى الداخل، لماذا ارتديتِ فستانكِ

بالفعل؟ لا يزال هناك الكثير من الوقت قبل بدء الزفاف. اخلعيه. سيصبح مُتجعدًا بالكامل.

وعندما لم أجبها، سألَتْ قائلة: «ما الخطب؟».

- جيرمايا ليس هنا.

- حسنًا، بالطبع هو ليس هنا أيتها الغبية. إنه لفألٌ سيئ أن يرى العروس قبل بدء الحفل.

- إنه ليس في المنزل. لقد غادر الليلة الماضية، ولم يعد إلى الآن. (ثم بدا صوتي هادئًا بشكلٍ مفاجئ). لقد أخبرته بكلٍّ شيء.

جحظَتْ عيناها: «ماذا تعنين بكلٍّ شيء؟».

- أول أمس، أخبرني كونراد بأنه لا يزال يكنُّ مشاعر تجاهي. وليلة أمس، أخبرتُ جيرمايا بالأمر.

زَفرتُ نَفَسًا قد بدا أشبه بلُهاث. شعرتُ بأن اليوميْن الماضيين كأسابيع. لم أدرِ حتى متى أو كيف حدث كل ذلك. كيف أصبحت الأمور مضطربة إلى هذا الحد. كان كل شيء مشوشًا في ذهني، وفي قلبي.

قالت تايلور وهي تغطي فمها بيدها وتسقط جالسة على السرير: «يا إلهي! ماذا سنفعل؟».

- لقد ذهب كونراد للبحث عنه.

نظرتُ عبر النافذة مرة أخرى. كان أبي قد انتهى من تزيين الشرفة، وانتقل إلى تزيين الشجيرات. ابتعدتُ عن النافذة وبدأتُ في فكِّ سحَّاب فستاني.

قالت في ذهول: «ماذا تفعلين؟».

- لقد قلتِ إنه سيتجعَّد، أتذكرين؟

خطوتُ خارج فستاني، فانزلق على الأرض، وبدا وكأنه بركة حريرية بيضاء. ثم التقطته ووضعته على شمَّاعة. وضعَتْ تايلور الروب على كتفيَّ، ثم أدارتني وربطَتْ لي حِزامه وكأنني فتاة صغيرة.

- سيكون الأمر على ما يرام يا بيلي.

طرق أحدهم الباب، فحَلَّقَتْ أعيننا على الفور نحوه.

قال أخي وهو يفتحه: «هذا أنا، ستيفن. (دخل وأغلق الباب خلفه). لقد أعاده كونراد».

انهرتُ على الأرض وتنهَّدتُ تنهيدة كبيرة: «لقد عاد».

قال ستيفن: «إنه يستحم، وبعد ذلك سيرتدي ملابسه ويصبح جاهزًا.. أعني، جاهزًا للزواج. وليس للمغادرة من جديد».

ركعَتْ تايلور بجانبي. جثت على رُكبتيها وأمسكت بيديَّ وشبكت أصابعي بأصابعها. قالت وهي تُدفئها بيدها الأخرى: «يدكِ باردة. (ثم قالت..) أتريدين القيام بهذا؟ ليس عليكِ فعل شيء لا تريدينه».

أغلقتُ عينيَّ بشدة. كان يغمرني الخوف من فكرة أنه قد لا يعود. والآن بعد أن عاد إلى هنا، ارتفع كل الخوف والذعر إلى السطح.

جلس ستيفن إلى جانبي أنا وتايلور على الأرض. طوَّقني بذراعه، وقال: «بيلي. تعاملي مع الأمر كما ترغبين في التعامل معه، حسنًا؟ لديَّ خمس كلمات لكِ. مستعدة؟ (فتحتُ عينيَّ وأومأتُ برأسي، قبل أن يردف بمنتهى الجديَّة قائلًا..) إما المخاطرة وإما العودة للمنزل!».

قالت تايلور منفعلة: «ما الذي يعنيه ذلك بحقِّ الجحيم يا ستيفن؟».

تسلَّلت ضحكة من أعماق صدري: «إما المخاطرة وإما العودة للمنزل؟ إما المخاطرة وإما العودة للمنزل».

كنتُ أضحك بقوة، وسالت الدموع على خديَّ.

فقفزت تايلور قائلة: «مكياجكِ!».

أمسكَتْ بعلبة المناديل الموجودة على طاولة الزينة ومسحَتْ وجهي بدقة ولطف. كنتُ ما زلتُ أضحك.

قالت تايلور وهي ترمق أخي بنظرةِ قلق: «كُفِّي عن هذا يا كونكلين».

كانت الزهرة الموضوعة في شعرها مائلة. كانت محقة: «لم تكن الرطوبة تُسدي إلى شعرها أيَّ معروف».

قال ستيفن: «أوه، هي على ما يرام. إنها تضحك وحسب. أليس كذلك يا بيلي؟».

فكررتُ ضاحكةً: «إما المخاطرة وإما العودة للمنزل».

سألَتْ تايلور أخي قائلة: «أعتقد أنها في حالة هستيرية أو شيء من هذا القبيل. هل عليَّ صفعُها؟».

فقال وهو يتقدم نحوي: «لا. سأتولى أنا ذلك».

توقفتُ عن الضحك. لم أكن في حالة هستيرية. أو لربما كنتُ كذلك، نوعًا ما.

- أنا بخير! لن يصفعني أحد. ربَّاه! (نهضتُ). كم الساعة؟

أخرج ستيفن هاتفه من جيبه: «إنها الساعة الثانية. لا يزال أمامنا بضع ساعات قبل أن يصل الناس إلى هنا».

أخذتُ نَفَسًا عميقًا: «حسنًا. ستيفن، هلَّا تذهب لتخبر أمي بأنني أعتقد أنه علينا نقل حفل الزفاف إلى الداخل؟ إذا دفعنا الأرائك إلى الجانب، فعلى الأرجح سيسعنا وضع طاولتين في غرفة المعيشة».

- سأجعل الشباب يقومون بذلك.

- شكرًا يا ستيفي. وتايلور، هل يمكنكِ...

فسألَتْ آملة: «أن أبقى وأصلح لكِ مكياجكِ؟».

- كلَّا. كنتُ سأسألكِ ما إذا كان بإمكانكِ الخروج أيضًا. أنا بحاجة إلى التفكير.

أخذا يتبادلان النظَرَات، ومن ثم خرجا من غرفتي وأغلقا الباب خلفهما.

حالما أراه، سيعود كل شيء منطقيًّا من جديد. لا بدَّ أن يكون كذلك.



الفصل الرابع والخمسون

كونراد

استيقظتُ في ذلك الصباح على ستيفن وهو يهزُّ سريري.

سأل قائلًا: «هل رأيتَ جير؟».

تمتمتُ وعيناي لا تزالان مغلقتين: «كنتُ نائمًا حتى قبل ثلاث ثوانٍ فاتت. كيف عساي أكون قد رأيته؟».

توقَفَ ستيفن عن هزِّ السرير وجلس على حافته: «لقد رحل يا رجل. لا يمكنني العثور عليه، وقد ترك هاتفه هنا. ما الذي حدث الليلة الماضية بحق الجحيم؟».

نهضتُ جالسًا. لا بدَّ أن بيلي قد أخبرته. اللعنة.

قلتُ وأنا أفرك عينيَّ: «لا أعلم».

- ماذا سنفعل؟

كان هذا كله خطئي.

نهضتُ من السرير وقلتُ: «اذهب وارتدِ ملابسك. سأذهب للبحث عنه. لا تخبر بيلي بأيٍّ شيء».

فقال وقد بدا عليه الارتياح: «يبدو ذلك جيدًا. ولكن ألا يجب أن تعرف بيلي؟ ليس لدينا الكثير من الوقت قبل بدء الزفاف. لا أريدها أن تستعد وتصبح جاهزة لو لن يأتي».

- إذا لم يعد في خلال ساعة، يمكنكَ إخبارها.

خلعتُ التي-شيرت الذي كنتُ أرتديه وارتديتُ القميص الكِتّاني الأبيض الذي جعلنا جير نشتريه جميعًا.

سألني ستيفن قائلًا: «إلى أين ستذهب؟ ربما عليَّ الذهاب معك».

- لا، فلتبقَ هنا وتعتني بها. سأجده أنا.

- أتعرف أين هو إذن؟

- أجل، أعتقد ذلك.

لم تكن لديَّ أدنى فكرة أين كان هذا النذل. كل ما كنتُ أعرفه هو أنني عليَّ إصلاح الأمر.

وفي طريقي للخارج أوقفتني لوريل قائلة: «هل رأيتَ جير؟ أحتاج إلى إعطائه شيئًا ما».

- لقد خرج لإحضار شيءٍ ما من أجل حفل الزفاف. أنا ذاهب إلى مقابلته الآن. سأعطيه إياه.

سلَّمَتني مظروفًا. عرفتُ الورقة على الفور. كانت من قرطاسية أمي. كان اسم جير مكتوبًا على الجهة الأمامية بخط يدها.

قالت لوريل مبتسمة: «أتعلم.. أعتقد أنه لربما يكون الأمر ألطف بهذا الشكل، أي.. أن تسلِّمه أنت إياه. كانت بيك لتُفضِّل هذا، ألا تظن ذلك؟».

أومأتُ برأسي: «أجل، أعتقد أن ذلك كان ليسعدها».

لم يكن ثمة مجال لأن أعود من دون جير.

حالما خرجتُ، ركضتُ إلى سيارتي وانطلقتُ بها مسرعًا.

ذهبتُ إلى الممشى الخشبي أولًا، ثم إلى ساحة التزلج التي اعتدنا على التسكع فيها عندما كنا صغارًا، ثم إلى صالة الألعاب الرياضية، ومن ثم إلى مطعم كنا قد توقفنا عنده في أثناء طريقنا إلى المدينة. لطالما كان يحب مخفوق الحليب بنكهة الفراولة الذي يقدمونه. لكنه لم يكن هناك. قدتُ السيارة حول ساحة انتظار السيارات الخاصة بالمركز التجاري. لم أجد جير ولا سيارته. لم أتمكن من العثور عليه في أيِّ مكان، وكانت الساعة التي طلبتُ من ستيفن أن يمهلني إياها على وشك الانتهاء. لقد فشلت. سيخبر ستيفن بيلي بالأمر، ومن ثم ستصبح هذه مجرد مرة أخرى، مرة ملحمية أخرى أفسد فيها حياتها. ماذا لو أن جير قد ترك كازينز تمامًا؟ سيكون قد عاد إلى بوسطن بحسب معرفتي.

كم سيكون رائعًا لو أنني أحظى بلحظةٍ من الإلهام المفاجئ، بشيء من التبَصُّر عن مكانه، بذلك الحدس المتعلق بكوننا أخوين. ولكن كل ما أمكنني فعله هو مراجعة ذهنية لقائمة الأماكن التي ذهبنا إليها جميعها. أين من الممكن أن يذهب جيرمايا إذا كان غاضبًا؟ سيذهب إلى أمي. ولكن قبرها ليس هنا، إنه في بوسطن.

في كازينز، كانت أمي في كل مكان. ومن ثم خطرت ببالي.. الحديقة. لربما قد ذهب جير إلى حديقة الملجأ. بدت فكرة تستحق المحاولة. اتصلتُ بستيفن في طريقي إلى هناك: «أعتقد أنني أعرف أين هو. لا تخبر بيلي بأيِّ شيء».

- حسنًا. ولكن إن لم أسمع منك خبرًا خلال نصف ساعة، فسوف أخبرها. وفي كلتا الحالتين، سأنال منه لفعلته هذه.

أغلقنا الخط عند دخولي إلى ساحة انتظار السيارات الخاصة بالملجأ النسائي. رأيتُ سيارته على الفور. شعرتُ بمزيجٍ من الارتياح العميق والرهبة. كيف لي أن أقول له أيَّ شيء؟ فأنا المسؤول عن هذه الفوضى.

كان جير جالسًا على مقعد بجانب الحديقة، واضعًا رأسه بين يديه. ولا يزال يرتدي ملابس الليلة الماضية. رفع رأسه عندما سمعني قادمًا.

- إني أحذرك يا رجل. لا تقترب مني الآن.

واصلتُ المشي. وعندما صرتُ أقف أمامه مباشرة، قلتُ: «عُد إلى المنزل معي».

حدَّقَ إلى وجهي بعينين تتقدان غضبًا: «اللعنة عليك».

- من المفترض أن تتزوج خلال ساعتين من الآن. لا نملك الوقت لهذا الآن. اضربني وحسب. سيشعرك ذلك بالتحسن.

حاولتُ أن أمسك بذراعه، فدفعني بعيدًا.

- لا، هذا سيشعرك أنت بالتحسن. وأنت لا تستحق أن تشعر بذلك. ولكن بعد كل ذلك الهراء الذي ارتكبته، عليَّ أن أبرحك ضربًا.

- فلتفعل ذلك إذن. ومن ثم دعنا نذهب. بيلي في انتظارك. لا تجعلها تنتظر في يوم زفافها.

فصاح وهو يندفع نحوي: «اخرس! ليس لك أن تتحدث معي عنها».

- بحقك يا رجل. إني أتوسل إليك.

- لماذا؟ لأنك تحبها، صحيح؟ (ولم ينتظر مني ردًّا). ما أرغب في معرفته هو.. إذا كان لا يزال لديك مشاعر تجاهها، فلماذا أعطيتني الضوء الأخضر، هاه؟ لقد فعلتُ الشيء الصحيح. لم أذهب لفِعل ذلك من وراء ظهرك. لقد سألتك، مباشرة. وأخبرتني أنك قد تخطيتها.

- لم تكن تطلب إذني بالتحديد حين وجدتكما تقبِّلان بعضكما بعضًا في سيارتك. أجل، ما زلت أعطيك الضوء الأخضر، لأنني وثقتُ بك لتعتني

بها وتعاملها بالشكل الصحيح. ومن ثم ذهبت وخنتها في كابو في عطلة الربيع. لربما عليَّ أنا أن أسألك ما إذا كنت تحبها أم لا.

وحالما لفظتُ بآخر كلمة، كانت قبضة جير تلكم وجهي، بقوة. كان الأمر أشبه بأن تضربني موجة يبلغ ارتفاعها عشرة أقدام.. وكل ما استطعتُ سماعه هو صوت الطنين في أذني. ترنحتُ إلى الوراء.

لهثتُ قائلًا: «جيد. أيمكننا الخروج من هنا الآن؟».

لكمني ثانية. وهذه المرة سقطتُّ أرضًا.

صاح قائلًا: «اخرس! لا تُحدثني عمَّن يحب بيلي أكثر. أنا مَن أحبَّها دومًا. وليس أنت. لقد عاملتَها بحقارة. لقد هجرتها مراتٍ عديدة. أنت جبان. وحتى الآن، لا يمكنك الاعتراف بذلك في وجهي».

فقلتُ، وأنا ألفظ أنفاسي بصعوبة، وقد بصقتُ دمًا من فمي: «حسنًا. أنا أحبها. أعترف بذلك. أحيانًا.. أحيانًا أعتقد أنها الفتاة الوحيدة التي أستطيع أن أكون معها في حياتي. ولكن يا جير، لقد اختارتك. أنت الشخص الذي تريد الزواج به. وليس أنا (أخرجتُ المظروف من جيبي، وتعثرتُ وأنا أخطو نحوه، ثم دفعته نحو صدره). اقرأ هذه. إنها لك، من أمي. ليوم زفافك».

أخذ المظروف وهو يبتلع ريقه، ومزَّق جزءًا منه ليفتحه. راقبتُ وجهه وهو يقرأ، آملًا، بل متيقنًا، من أن يكون لدى أمي الكلمات الصحيحة. لطالما كانت تعرف ما يجب قوله لجيرمايا.

بدأ جير في البكاء وهو يقرأ، فأدرتُ رأسي بعيدًا.

قال أخيرًا: «سأعود. ولكن ليس معك. أنت لم تعد أخي بعد الآن. إنك ميِّت بالنسبة لي. لا أريدك في حفل زفافي. لا أريدك في حياتي. أريدك أن ترحل».

- جير...

- آمل أنك قلتَ لها كل ما كنت ترغب في قوله. لأنك بعد الآن، لن تراها مجددًا. ولن تراني. انتهى الأمر. أمري وأمرك انتهى. (سلَّمَني الرسالة). إنها لك وليست لي.

ثم غادر.

جلستُ على المقعد وفتحتُ الورقة. بدأَتْ بـــ: عزيزي كونراد.

ومن ثم بدأتُ في البكاء أيضًا.

الفصل الخامس والخمسون

خارج نافذتي، بعيدًا على الشاطئ، كان بإمكاني رؤية مجموعة من الأطفال الصغار يحملون دلاء ومجارف بلاستيكية، يحفرون بحثًا عن سرطانات البحر.

لقد اعتدت أنا وجير على فِعل ذلك فيما مضى. ثمة تلك المرَّة، أعتقد أنني كنتُ في الثامنة من عمري، مما يعني أن جيرمايا كان في التاسعة. كنَّا قد بحثنا عن سرطانات البحر طوال فترة ما بعد الظهر، وحتى عندما جاء كونراد وستيفن للبحث عنه، لم يغادر معهما.

قالا: «سنقود درَّاجتينا إلى المدينة ونستأجر لعبة فيديو، وإذا لم تأتِ معنا، فلا يمكنك اللعب الليلة».

قلتُ: «يمكنك الذهاب إذا أردت».

قلتُها وقد شعرتُ بالتعاسة لأنني علمتُ أنه سيختار الذهاب. فمَن سيختار البحث عن سرطانات البحر بدلًا من لعبة فيديو جديدة؟

تردد لثوانٍ، ثم قال: «لا يهمني».

ثم بقي.

شعرتُ بالذنب ولكني شعرتُ بالانتصار أيضًا، لأن جيرمايا اختارني. كنتُ أستحق أن يتم اختياري وتفضيلي عن أيٍّ شخص آخر.

لعبنا في الخارج حتى حلَّ الظلام. لقد جمَّعنا سرطانات البحر خاصتنا في كوب بلاستيكي، ومن ثم أطلقنا سراحها. شاهدناها تشق طريقها متجمعة عائدة إلى الرمال. بدت جميعها تعرف بالضبط إلى أين هي ذاهبة. وكأن في أذهانها وجهةً ما واضحة. الديار.

في تلك الليلة، لعب كونراد وستيفن لعبتهما الجديدة. واكتفى جيرمايا بمشاهدتهما. لم يسألهما ما إذا كان بإمكانه اللعب، وكان بمقدوري رؤية كم كان يرغب في ذلك.

في ذاكرتي سيظل دائمًا شخصًا من ذهب.

طرق أحدهم الباب.

فقلتُ وأنا ألتفت: «تايلور، إني بحاجة إلى دقيقة بمفردي».

لم تكن تايلور. كان كونراد. لقد بدا مرهقًا، منهكًا. وكان قميصه الكتاني الأبيض مجعَّدًا. وكذلك سرواله القصير. وعندما أمعنتُ النظر، وجدتُ عينيه محتقنتَين بالدم، وأمكنني رؤية كدمةٍ تتشكل على خدِّه. ركضتُ إليه.

- ماذا حدث؟ هل تشاجرتما؟

هزَّ رأسه نافيًا.

قلتُ وأنا أتراجع للوراء: «ليس من المفترض أن تكون هنا. سيأتي جيرمايا في أي لحظة».

- أعلم، فقط أرغب في أن أقول لكِ شيئًا ما.

عدتُ إلى النافذة وأدرتُ له ظهري: «لقد قلتَ الكثير بالفعل. فلتذهب وحسب».

سمعته يدير مقبض الباب، ومن ثم سمعته يغلق الباب من جديد. ظننته رحل، حتى سمعته يقول: «أتذكُرين قلادة اللانهاية؟».

ببطءٍ، استدرت لمواجهته: «ماذا بشأنها؟».

قذف شيئًا ما نحوي قائلًا: «خذي».

مددتُ يدي والتقطتُها في الهواء. قلادة فضية. رفعتُها وتفحصتها. قلادة اللانهاية. لقد خفَت بريقها عن ذي قبل؛ بدت نحاسية بعض الشيء الآن. ولكني عرفتها. بالطبع أدركتُ أنها هي.

سألتُ: «ما هذه؟».

- أنتِ تعرفين ما هذه.

هززتُ كتفيَّ: «لا، آسفة».

استطعت رؤية كم كان مجروحًا وغاضبًا.

- حسنًا إذن. إن كنتِ لا تذكرينها. سأذكِّركِ. لقد اشتريتُ تلك القلادة من أجل عيد ميلادكِ.

عيد ميلادي!

لا بدَّ أنها كانت بمناسبة عيد ميلادي السادس عشر. فقد كانت تلك السنة الوحيدة التي نسي فيها شراء هدية عيد ميلادٍ لي... في الصيف الماضي كنا جميعًا في منزل الشاطئ، عندما كانت سوزانا لا تزال على قيد الحياة. وفي العام التالي، عندما غادر كونراد وذهبتُ أنا وجيرمايا للبحث عنه، وجدتُها في مكتبه. وأخذتُها لأنني عرفتُ أنها لي. وقد استعادها لاحقًا. لم أعرف قط متى اشتراها أو لماذا، كنتُ أعرف فقط أنها لي. وبسماعه يقول هذا الآن، أنها هدية عيد ميلادي، لمسني في آخر مكان أردته أن يلمسني فيه: قلبي.

أمسكتُ بيده ووضعتُ القلادة في راحته: «أنا آسفة».

أمسك كونراد بالقلادة ومدَّها نحوي. وقال بهدوء: «إنها تخصُّكِ. لطالما كانت كذلك. لقد كنتُ خائفًا جدًّا من إعطائك إياها حينها. اعتبريها هدية عيد ميلادٍ مبكرة. أو متأخرة. يمكنكِ أن تفعلي بها ما تشائين. أنا فقط.. لا أستطيع

الاحتفاظ بها بعد الآن. (كنتُ أومئ برأسي. ثم أخذتُ القلادة منه). أنا آسف على إفساد كل شيء. لقد آذيتكِ مرةً أخرى، وأنا آسف لذلك. آسف جدًّا. لا أريد أن أفعل هذا بعد الآن. لذا... لن أبقى لحضور الزفاف. سأرحل الآن وحسب. ولن أراكِ مرة أخرى، لفترةٍ طويلة. لربما هذا أفضل. فالبقاء بالقرب منكِ بهذا الشكل.. مؤلم. وجير.. (تنحنح كونراد وتراجع خطوة للوراء، مفسحًا لمساحة بيننا). هو مَن يحتاج إليكِ».

عضضتُ شفتَيَّ لأمنع نفسي من البكاء.

وبصوتٍ أجش، قال: «أريدكِ أن تعلمي أنه بغض النظر عما يحدث، فقد استحق الأمر العناء بالنسبة لي. أن أكون معكِ، أن أحبكِ. لقد استحق كل ذلك العناء. (ثم أردف..) أتمنى لكما السعادة. اعتنيا ببعضكما بعضًا جيدًا».

كان عليَّ أن أحارب كل غريزة بداخلي كي لا أمد يدي نحوه، وألمس الكدمة التي كانت تتورم على خدِّه الأيسر. لن يرغب كونراد في أن أفعل ذلك. كنتُ أعرفه جيدًا بما يكفي لأعلم ذلك.

اقترب وطبع قبلة على جبيني، وقبل أن يبتعد أغمضتُ عينيَّ وحاولتُ جاهدة أن أحفظ هذه اللحظة في ذاكرتي. أردتُ أن أتذكره تمامًا كما كان في تلك اللحظة، كيف بدت ذراعاه بُنِّيَّتيْن مقابل قميصه الأبيض، وكيف كان شعره قصيرًا بعض الشيء من الأمام. وحتى الكدمة، التي كانت هناك بسببي.

ثم رحل.

وفقط في تلك اللحظة، أدركتُ أنني قد لا أراه مرةً أخرى... بدا هذا أشد سوءًا من الموت. أردتُ أن أركض خلفه. أن أخبره بأيِّ شيء، بكل شيء. فقط لا ترحل. أرجوكَ لا ترحل أبدًا. أرجوك كُن دائمًا بالقُرب مني، لكي أتمكن من رؤيتك على الأقل.

لأن الأمر بدا نهائيًّا. دائمًا ما اعتقدتُ أننا سنجد طريقًا للعودة إلى بعضنا بعضًا في كل مرة. وأنه مهما حدث، سنظل مرتبطين.. بماضينا، وبهذا المنزل. لكن هذه المرة، هذه المرة الأخيرة، بدت نهائية. بدت وكأنني لن أراه مرةً أخرى، أو أنني حين أراه، سيكون الأمر مختلفًا، سيكون ثمة جبل بيننا.

كنتُ متيقنةً في أعماق قلبي. تلك هي النهاية. لقد حسمتُ خياري، وكذلك هو. لقد تركني أذهب من بين يديه. شعرتُ بارتياح، وهو ما كنتُ أتوقعه. ما لم أتوقعه هو أن أشعر بهذا القدر من الحُزن.

وداعًا بيردي.

الفصل السادس والخمسون

كان يوم عيد الحب. كنتُ في السادسة عشر من عمري، وهو في الثامنة عشر. لقد صادف عيد الحب يوم الخميس في ذلك العام، وكان لدى كونراد دروس حتى الساعة السابعة في أيام الخميس، لذا كنتُ أعرف أننا لن نخرج في موعدٍ أو أي شيء من هذا القبيل. لقد تحدثنا عن الخروج يوم السبت، ربما نشاهد فيلمًا، ولم نذكر شيئًا بشأن عيد الحب. إنه فقط لم يكن الفتى الذي يقدِّم زهورًا وحلوى على شكل قلوب. هو ليس ذلك النوع من الفتيان. لا مشكلة، ليس بالشيء المهم. لم أكن قط هذا النوع من الفتيات أيضًا، لستُ مثل تايلور.

في المدرسة، وزع نادي الدراما الورود خلال الحصَّة الرابعة. وكان الناس يشترونها طوال الأسبوع في أثناء استراحة الغداء. كان بإمكانك إرسالها إلى أي مَن تريد. في السنة الأولى، لم يكن لدى أيٍّ منا حبيب، فأرسلتُ أنا وتايلور وردة إلى بعضنا بعضًا سِرًّا. أما في ذلك العام، فأرسل إليها حبيبها، ديفيس، عشرات الورود الوردية، واشترى لها عصابة رأس حمراء اللون كانت تتطلع إليها في المركز التجاري. وظلَّت مرتدية عصابة الرأس طوال اليوم.

كنتُ مستيقظة في غرفتي تلك الليلة، أقوم بواجباتي الدراسية، عندما تلقيتُ رسالة نصيَّة من كونراد. تقول: انظري من نافذتك. ذهبتُ للنظر، معتقدة أنه قد يكون هناك وابلٌ من الشهب في تلك الليلة. فقد كان كونراد يتابع هذا النوع من الأشياء.

ولكن ما رأيته كان كونراد، يلوِّح لي من فوق بطَّانية منقوشة مفروشة في فنائي الأمامي. وضعتُ يديَّ على فمي بقوة وأطلقتُ صرخة. لم أستطع أن أصدِّق. ثم حشرتُ قدميَّ في حذائي الرياضي، وارتديتُ معطفي المنتفخ فوق بيجامة نومي، وركضتُ إلى أسفل الدرَج بسرعةٍ كبيرة حتى إنني كدت أسقط متعثرة، وقفزتُ خروجًا من الشرفة الأمامية إلى ذراعيه.

- لا أصدق أنكَ هنا!

لم أستطع التوقف عن معانقته.

- لقد جئتُ بعد انتهاء اليوم الدراسي مباشرةً. متفاجئة؟

- متفاجئةٌ للغاية! لم أظن أنك كنتُ تدري أصلًا بأن اليوم هو عيد الحب!

ضحِكَ. قال وقد أمسك بكتفيَّ وبدأ يقودني إلى البطَّانية: «بحقكِ».

كان هناك تُرمُس وعلبة «توينكيز» (Twinkies).

قال كونراد وهو يمدد ساقيه على البطَّانية: «استلقِي. إنها ليلة اكتمال القمر».

فاستلقيتُ بجانبه ونظرتُ إلى السماء ذات السواد الحالك وذلك القمر الأبيض الساطع، وارتجفتُ. ليس لأنني كنتُ أشعر بالبرد، بل لأنني كنتُ سعيدة.

لفَّ طرف البطَّانية حولي. سأل وقد بدا قَلِقًا: «الجو بارد جدًّا؟».

هززتُ رأسي نافية.

فتح كونراد غطاء التُّرمُس وسكب منه في الغطاء. مرره لي وقال: «لم يعد ساخنًا للدرجة، ولكنه لا يزال يساعد».

نهضتُ جالسة وقد استندتُ إلى مرفقيَّ وأخذتُ رشفة. إنه مشروب الكاكاو. وقد كان فاترًا.

سأل كونراد: «هل بردَ؟».

- لا، إنه جيد.

ثم استلقينا على ظهرينا وحدَّقنا إلى السماء معًا. كانت مليئة بالنجوم، الكثير من النجوم. كان الجو باردًا حدَّ التجمد، ولكنني لم أكترث. أمسك كونراد بيدي، واستخدمها للإشارة إلى المجموعات النجمية وتوصيل النقاط ببعضها. وأخبرني بالقصص الكامنة وراء «حزام أوريون» و«كاسيوبيا». لم يواتِني قلبي لأخبره أنني كنتُ أعرفها بالفعل؛ لقد علَّمَني أبي عن تلك المجموعات النجمية عندما كنتُ طفلة. ولكني أحببتُ الاستماع إلى حديث كونراد فحسب. كانت لديه نفس الدهشة في صوته، ونفس الإجلال في كل مرَّة يتحدث فيها عن الفضاء والطبيعة.

سأل في وقتٍ لاحق: «أترغبين في العودة إلى الداخل؟».

كان يُدفئ يديَّ بيديه.

- لن أدخل حتى نرى شهابًا.

- قد لا نرى أيَّ شهب.

تمعَّجتُ في سعادة: «لا بأس إن لم نفعل. إني أرغب في المحاولة وحسب».

فقال مبتسمًا: «أتعلمين أن علماء الفضاء يطلقون عليها «الغبار البين كوكبي»؟».

كررتُ قائلة: ««الغبار البين كوكبي» (وقد أعجبني الإحساس بنُطق الكلمات على لساني..)، إنه يبدو كاِسم فرقة موسيقية».

زفرَ كونراد نفحة من الهواء الساخن على يديَّ، ومن ثم وضعها في جيب معطفه.

- أجل، يبدو كذلك نوعًا ما.

- الليلة، إنها... السماء تبدو.. (حاولتُ إيجاد كلمة توفي الشعور الذي جعلني منظر السماء أشعر به، وتوفي مدى جمالها). الاستلقاء هنا وتأمُّل النجوم بهذا الشكل، يشعرني كما لو أنني مستلقية على سطح أحد الكواكب. إنها واسعةٌ للغاية.. لا متناهية.

- علمتُ أنكِ ستشعرين بذلك.

ابتسمتُ. كان وجهه قريبًا من وجهي، وكان بمقدوري الشعور بالحرارة المُنبعثة من جسده. لو أدرتُ رأسي إلى الجانب، سنتبادل القُبَل. غير أني لم أفعل. كان بقائي بالقرب منه كافيًا.

- أحيانًا أعتقد أنني لن أثق بفتاةٍ أخرى قط مثلما أثق بكِ.

نظرتُ إليه، مدهوشة. لم يكن ينظر إليَّ، كان لا يزال ينظر إلى السماء، لا يزال مُركِّزًا.

لم نرَ أيَّ شهبٍ قط، ولكن الأمر لم يهمني ولو قليلًا. وقبل أن تنتهي الليلة قلتُ: «هذه واحدةٌ من أجمل لحظات حياتي».

- وأنا أيضًا.

لم نكن نعلم ما الذي كان ينتظرنا حينها. كنا مجرد مراهقَين، نتأمل السماء في إحدى ليالي فبراير الباردة. لذا لا، هو لم يمنحني زهورًا أو حلوى. لقد منحني القمر والنجوم. منحني اللانهائية.

الفصل السابع والخمسون

طرَقَ الباب مرة واحدة: «هذا أنا».

- تفضَّل.

كنتُ أجلس على السرير. وقد ارتديتُ فستاني من جديد. فسيصل الناس عمَّا قريب.

فتح جيرمايا الباب. كان يرتدي قميصه الكتَّاني وسرواله القصير الكاكي. لم يكن قد حلق ذقنه بعد. ولكنه قد ارتدى ملابسه، كان وجهه خاليًا من أي علامات، لا كدمات. واعتبرتُ ذلك علامة جيدة.

جلس على السرير بجانبي: «أليس فألًا سيئًا أن نرى بعضنا بعضًا قبل الزفاف؟».

غمرني الارتياح: «إذن سيكون هناك زفاف؟».

- حسنًا، هأنذا مرتدٍ ملابسي وجاهز تمامًا، وأنتِ كذلك. (طبع قبلةً على خَدِّي). تبدين رائعة بالمناسبة.

- إلى أين ذهبت؟

فقال وهو يعتدل في جلسته: «كنتُ فقط بحاجة إلى بعض الوقت للتفكير. أنا مستعدٌّ الآن».

ثم مال نحوي وقبَّلني مرة أخرى، ولكن هذه المرة على شفتيَّ.

تراجعتُ للوراء قائلة: «ما خطبك؟».

- لقد أخبرتكِ، كلُّ شيء على ما يرام. إننا سنتزوج، أليس كذلك؟ أما زلتِ تريدين الزواج؟

قالها بهدوء، ولكن كان بإمكاني سماع حِدَّة في صوته لم أسمعها من قبل.

- ألا يمكننا على الأقل التحدُّث عمَّا حدث؟

فقال جيرمايا في انفعال: «لا أريد التحدث عن الأمر. لا أريد حتى أن أفكر فيه مرةً أخرى».

- حسنًا، أنا أريد التحدث عنه. أنا بحاجة إلى ذلك. إني أرتعب خوفًا يا جير. لقد رحلتَ فجأة. ولم أعرف حتى ما إذا كنت ستعود أم لا.

- هأنذا هنا، أليس كذلك؟ أنا دائمًا هنا من أجلكِ.

حاول تقبيلي مجددًا. وهذه المرة دفعته بعيدًا.

فرك فكَّه بعنف. ثم نهض وبدأ يتجول بخطواتٍ مضطربة ومتوترة في جميع أرجاء الغرفة.

- إني أريدكِ بالكامل. أريد كل جزءٍ منكِ. ولكنكِ لا تزالين تحجبين نفسكِ عني.

- ما الذي نتحدث عنه هنا؟ الجنس؟

- هذا جزءٌ من الأمر. ولكن الأمر أكبر من ذلك. إني لا أمتلك قلبكِ بالكامل. كوني صادقة. أنا محق، أليس كذلك؟

- نعم! لستَ محقًّا.

- كيف تظنين شعوري، وأنا أعلم بأنني خيارٌ ثانٍ؟ وأنا أعلم أنه لطالما كان من المُفترض أن تكونا أنتما الاثنان معًا؟

- أنتَ لست خياري الثاني. إنك الأول!

هزَّ جيرمايا رأسه بالنفي: «كلَّا، لن أكون الأول أبدًا. سيظل كونراد الأول دائمًا. (ضرب كفه على الحائط). ظننتُ أنني سأكون قادرًا على فِعل هذا، ولكني لا أستطيع».

- لا تستطيع ماذا؟ لا تستطيع الزواج بي؟

كان ذهني يدور كالدوَّامة، ومن ثم بدأتُ أتحدث، بسرعة: «حسنًا، ربما أنتَ على حق. إن كل شيء جنوني للغاية الآن. لن نتزوج اليوم. سننتقل فقط إلى تلك الشقة. شقة غاري، الشقة التي أردتَها. لا مانع لديَّ فيها. يمكننا الانتقال في الفصل الدراسي الثاني. حسنًا؟ (لم يقل أيَّ شيء، ولذلك قلتُها ثانية، وهذه المرة بقدر أكبر من الذعر). حسنًا يا جير؟».

- لا أستطيع. إلا إذا كنتِ تستطيعين أن تنظري إليَّ الآن، أن تنظري في عينيَّ وتخبريني أنكِ لم تعودي تحبين كون.

- أنا أحبكَ يا جير.

- تلك ليست إجابة سؤالي. أعرف أنكِ تحبينني. سؤالي هو، هل تحبينه أيضًا؟

أردتُ أن أجيبه بـ«لا». فتحتُ فمي، ولكن لمَ لا تخرج الكلمات؟ لماذا لا أستطيع قول ما يحتاج إلى سماعه؟ سيكون من السهل جدًّا قولها وحسب. كلمة واحدة وسينتهي كل هذا. لقد أراد المسامحة ونسيان كل شيء. كان بإمكاني أن أرى هذا في وجهه: كل ما كان يحتاج إليه هو سماعي أقول له لا. كان لا يزال سيتزوجني. فقط لو قلتُ تلك الكلمة. تلك الكلمة الواحدة.

- نعم.

استنشق جير نَفَسًا بحدَّة. حدَّقنا إلى بعضنا بعضًا للحظة طويلة، ومن ثم خفض رأسه.

تقدَّمتُ نحوه وملأتُ الفراغ بيننا. قلتُ: «أعتقد.. أعتقد أنني سأظل دائمًا أحبه بعض الشيء. سيظل دائمًا في قلبي. ولكنه ليس مَن أختاره. أنا أختاركَ أنت يا جيرمايا».

طوال حياتي، لم أشعر قط بأنني أملك الخيار عندما يتعلق الأمر بكونراد. والآن علمتُ أن ذلك لم يكن صحيحًا. كنتُ أملك الخيار. لقد اخترتُ التخلِّي.. اخترتُ الابتعاد، آنذاك والآن. لقد اخترتُ جيرمايا. اخترتُ الفتى الذي لن يهجرني أبدًا.

كان رأسه لا يزال محنيًّا. طلبتُ منه أن ينظر إليَّ، وأن يصدقني فقط لمرةٍ واحدة أخرى.

ثم رفع رأسه وقال: «هذا غير كافٍ. أنا لا أريد فقط جزءًا منكِ. أنا أريدكِ كلك.. أريدكِ بالكامل».

امتلأت عيناي بالدموع.

مشى نحو طاولة زينتي والتقط رسالة سوزانا.

- لم تقرئي رسالتكِ بعد...

- لم أكن أعلم حتى ما إذا كنت ستعود!

مرَّر إصبعه على طول حواف المظروف، وهو يحدِّق إليه: «لقد حصلتُ على رسالة أيضًا. ولكنها لم تكن لي. كانت تخص كونراد. لا بدَّ أن أمي قد خلطت بين المظروفين. وفي الرسالة قالت.. قالت إنها لم تره واقعًا في الحب إلا مرة واحدة. وتلك المرة كانت معكِ. (ثم نظر إليَّ حينها..) لن أكون السبب الذي يمنعكِ من الذهاب إليه. لن أكون عذركِ. يجب عليكِ حسم قراركِ بنفسك، وإلا فلن تتمكني أبدًا من تخطيه ونسيانه».

همستُ قائلة: «لقد حسمته بالفعل».

هزَّ جيرمايا رأسه نافيًا: «كلَّا، لم تفعلي. وأسوأ ما في الأمر.. هو أنني كنتُ أعلم دائمًا بأنكِ لم تفعلي ورغم ذلك طلبتُ منكِ أن تتزوجيني. لذا أعتقد أن جزءًا من اللوم يقع عليَّ أيضًا، هاه؟».

- لا.

أكمل وكأنه لم يسمعني: «سوف يخذلكِ، لأن هذا ما يفعله دائمًا. ذلك هو كونراد».

لبقية حياتي، سأظل أتذكر تلك الكلمات. كل ما قاله لي جيرمايا في ذلك اليوم، يوم زفافنا، سيظل محفورًا في ذاكرتي. سأظل أتذكر كلمات جيرمايا ونظراته إليَّ وهو يقولها. نظراته المُحملة بالأسى، وبالمرارة. كرهتُ نفسي لكوني أنا الشخص الذي جعله يشعر بالمرارة، لأنه كان شعورًا لم يعرفه جير من قبل.

رفعتُ يدي لأضع راحتي على خده. كان ممكنًا أن يدفع يدي بعيدًا، أو أن يتراجع عند لمستي له. ولكنه لم يفعل. ومجرد هذا الشيء الصغير أخبرني بما أحتاج إلى معرفته: أن جير سيظل جير ولا يمكنُ لأيِّ شيء على الإطلاق تغيير ذلك.

قال: «ما زلتُ أحبكِ».

ومن طريقة قوله علمتُ أنني إذا أردتُ ذلك، فسيتزوجني. حتى بعد كل ما حدث.

ثمة لحظات في حياة كل فتاة تحمل معنى أكبر مما ندركه في حينها. عندما تنظر إلى الوراء، تقول، كانت تلك واحدة من اللحظات التي غيَّرت حياتي، لحظة الوقوف بين مُفترق طرق، ولم أتوقع حتى حدوثها. لم أكن أملك أدنى فكرة. ومن ثم هناك لحظات تدرك أنها كبيرة، وحاسمة. وأنه أي كان ما ستفعله حينها، فسيكون له تأثير. ترى حياتك وهي من الممكن أن تسير في اتجاه واحد من اثنين. لحظات إما أن تغتنمها وإما تخسرها إلى الأبد. وعليك أن تحسم قرارك.

كانت هذه واحدة من تلك اللحظات. لحظة كبيرة. لا يسعها أن تكون أكبر من ذلك.

انتهى الأمر بعدم هطول أمطار في ذلك اليوم. وقد نقل رفاق جيرمايا من الأخويَّة الطاولات والكراسي والمزهريات إلى الداخل هباءً.

ثمة شيء آخر لم يحدث في ذلك اليوم: أنا وجيرمايا لم نتزوج. لم يكن الأمر صائبًا. لم يكن صائبًا لأيٍّ منَّا. أحيانًا كنتُ أتساءل عما إذا كنا قد تسرعنا بقرار الزواج لأن كلينا كان يحاول إثبات شيءٍ ما للآخر وربما حتى لنفسه. ولكني من ثم أفكر في أن هذا غير صحيح، لقد أحببنا بعضنا بعضًا حقًّا. وكنا فعلًا نكنُّ أفضل النيَّات... لم يكن مُقَدَّرًا لهذا أن يحدث وحسب.

بعد مرور بضع سنوات

عزيزتي بيلي،

إني الآن أتخيلكِ اليوم، في يوم زفافكِ، تبدين متألقة وبهيَّة، أجمل عروسٍ على الإطلاق. أتخيلكِ في الثلاثين أو نحو ذلك، امرأةٌ قد خاضت الكثير والكثير من المغامرات والقصص الرومانسية. أتخيلكِ تتزوجين برجل حصيفٍ، وقوي، وأهل للثقة، رجل يملك عينين طيِّبتين حنونتَين. أنا واثقة من رجلكِ الشاب شخص رائع تمامًا، حتى لو لم يكن اسمه الأخير فيشر! ها.

أنتِ تعلمين أنني لم أكن لأحبكِ أكثر من ذلك لو كنتِ ابنتي. حبيبتي بيلي، فتاتي المميزة. إن رؤيتكِ تكبرين كانت واحدة من أعظم مباهج حياتي. فتاتي التي كانت تتلهَّف وتتوق لكثيرٍ من الأشياء... لقطة صغيرة يمكنكِ تسميتها مارجريت، وحذاء تزلج بألوان قوس قزح، وصابون استحمام فقَّاعي قابل للأكل! وفتى يُقَبِّلكِ كما قَبَّل «ريت» «سكارليت».

آمل أنكِ قد وجدتِه يا عزيزتي.

عيشا بسعادة. وأحسنا إلى بعضكما بعضا.

مع كل حبي دائمًا، سوزانا.

آه يا سوزانا، لو كان بوسعكِ رؤيتنا الآن.

لقد أخطأتِ بشأن بضعة أشياء. لستُ في الثلاثين بعد. إنني في الثالثة والعشرين، على وشك إتمام الرابعة والعشرين. وبعد أن انفصلتُ عن جيرمايا، عاد إلى العيش في منزل أخويته، وأنا انتهى بي المطاف بالعيش مع أنيكا بعد كل شيء. في السنة الثالثة، سافرتُ للدراسة في الخارج. ذهبتُ إلى إسبانيا، حيث حظيتُ بالكثير والكثير من المغامرات.

إسبانيا هي المكان الذي تلقيتُ فيه رسالتي الأولى منه. رسائل حقيقية، كتبها بخط يده، وليست رسائل بريد إلكتروني. لم أجب رسائله، ليس في البداية، ولكنها ظلَّت تصلني، واحدة في الشهر، كل شهر. والمرة الأولى التي رأيته فيها من جديد، كانت في سنةٍ أخرى، في سنة تخرجي من الجامعة. وأدركتُ الأمر في الحال.

إن رجلي الشاب شخص طيِّب وصالح وقوي، تمامًا مثلما وصفتِه. ولكنه لا يُقبِّلني كما قَبَّل «ريت» «سكارليت». إنه يمنحني قبلاتٍ أجمل. وثمة شيء آخر كنتِ محقة بشأنه. إن اسمه الأخير بالفعل «فيشر».

إني مرتدية الفستان الذي اخترتُه أنا وأمي معًا، فستان باللون الأبيض الكريمي، له أكمام قصيرة من الدانتيل وظهر مكشوف. وشعري، شعري الذي أمضينا ساعة في تثبيته مرفوعًا، يتساقط من الكعكة الجانبية، وتتطاير خصلاته الطويلة المبللة حول وجهي بينما نركض نحو السيارة تحت المطر الغزير. البالونات في كل مكان. وحذائي مخلوع، إني حافية القدمين، وأحمل سترته الرمادية فوق رأسي. وهو يحمل إحدى فردتَي حذائي ذي الكعب العالي -ولكنه ليس عالٍ جدًّا- في كلتا يديه.

يركض أمامي، ويفتح باب السيارة.

لقد تزوجنا للتو.

يسألني: «هل أنتِ متأكدة؟».

أقول وأنا أدلف إلى الداخل: «لا».

سيكون الجميع في انتظارنا في قاعة الاستقبال. لا ينبغي لنا تركهم ينتظرون. ولكن من ناحيةٍ أخرى، ليس الأمر وكأنهم يستطيعون البدء من دوننا، فعلينا أن نرقص رقصتنا الأولى. على أنغام أغنية «ابقَ» (Stay) لـ«موريس ويليامز» وفرقة «ذا زودياكس».

أنظر من النافذة، وها هو جير هناك واقفًا في حديقة المنزل. ذراعه حول كتفَي حبيبته، وتلتقي أعيننا. يلوِّح لي تلويحة صغيرة، فألوِّح له بدوري، وبعثتُ له قبلة في الهواء. يبتسم ثم يلتفت إلى حبيبته من جديد.

يفتح كونراد باب السيارة، ينزلق دخولًا إلى مقعد السائق. قميصه الأبيض مبلل.. أستطيع رؤية بشرته من خلاله. إنه يرتجف. يمسك بيديَّ، ويشبك أصابعي في أصابعه، ثم يضعها على شفتيه.

- فلنفعلها، إن كلينا مُبلَّل بالفعل.

يدير المحرِّك، ومن ثم ننطلق. نتوجه نحو المحيط. ويدانا متشابكتان معًا طوال الطريق. عندما نصل إلى هناك، نجد الشاطئ خاويًا، نركن السيارة فوق الرمال. ولا يزال المطر يهطل.

أقفز من السيارة، وأربط تنورة فستاني ثم أصرخ قائلة: «مستعد؟».

فيُشَمِّر ساقَي بنطاله، ثم يمسك بيدي ويقول: «مستعد».

نركض نحو الماء، نتعثر في الرمال، نصرخ ونضحك كالأطفال الصغار. وفي الثانية الأخيرة يرفعني وكأنه يحملني للمرور عبر عتبة الباب.

حذَّرته وذراعيَّ معقودتان بشدة حول رقبته: «إن كنتَ تجرؤ على محاولة رميي في الماء الآن كالمعتاد، فسوف تسقط معي».

فيقول وهو يرمي بنا في الماء: «سأذهب أينما تذهبين».

هذه بدايتنا. هذه هي اللحظة التي استحال فيها الأمر حقيقة. إننا متزوجان. إننا لا متناهيان. أنا وكونراد. أول فتى رقصتُ معه في حياتي، وأول مَن بكيتُ عليه، وأول مَن أحببتُه على الإطلاق.